

# كِتَابُ التَّحْنِثِ فِي الْمُرَاتِي

تأليف  
أبي العباس محمد بن يزيد  
المعروف بالمبرد  
المتوفى سنة ٢٨٦هـ

وضع حواشيه  
خليل المنصور

دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

## جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©  
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت  
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠  
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

هذا كتاب التعازي والمراثي لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن أبي عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر ابن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم الثمالي الأزدي «أبو العباس» المعروف بالمبرد إمام العربية ببغداد في زمانه وأحد أئمة الأدب والأخبار مولده في البصرة ووفاته ببغداد من أشهر كتبه «الكامل» و «المذكر والمؤنث» مخطوط و «المقتضب» و «التعازي والمراثي» و «شرح لامية العرب» مع شرح الزمخشري و «إعراب القرآن» و «طبقات النحاة البصريين» و «نسب عدنان وقحطان» و «المقرب» مخطوط قال الزبيدي في شرح خطبة القاموس: المبرد بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم بكسر.

قال ابن الكلبي في نسبه: عوف بن أسلم هو ثماله والأسد هو الأزدي الثمالي الأزدي البصري المعروف بالمبرد النحوي أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وأخذ عنه نفطويه وغيره من الأئمة. كان المبرد وأبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب صاحب كتاب «الفصيح» عالمن متعاصرين قد ختم بهما تاريخ الأدباء وفيهما يقول بعض أهل عصرهما من جملة أبيات وهو أبو بكر بن أبي الأزهر:

أيا طالب العلم لا تجهلن      وعُذ بالمبرد أو ثعلب  
تجد عند هذين علم الورى      فلا تك كالجمال الأجرب  
علوم الخلائق مقرونة      بهذين في الشرق والمغرب  
وكان المبرد يحب الاجتماع في المناظرة بثعلب والاستكثار منه وكان ثعلب يكره ذلك ويمتنع عنه.

وكان المبرد كثير الأمالي حسن النوادر، طلب بعض الأكابر من المبرد معلماً لولده فبعث شخصاً وكتب معه قد بعثت به وأنا أتمثل فيه:

إذا زرت المسوك فإن حسبي شفيعاً عندهم أن يخبروني

وقال أبو العباس المبرد: ما تنادر أحد عليّ ما تنادر به سذاب الوراق فإني اجتزت يوماً به وهو قاعد بباب داره فقال لي: إلى أين؟ ولاطفني وعرض عليّ القرى فقلت له: ما عندك؟ فقال: عندي أنت وعليه أنا يشير إلى اللحم المبرد بالسذاب.

كانت ولادة المبرد يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشر ومائتين وقيل سبع ومائتين وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة وقيل ذي القعدة سنة ست وثمانين وقيل خمس وثمانين ومائتين ببغداد ودفن في مقابر باب الكوفة في دار اشترت له وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي رحمه الله تعالى ولما مات نظم فيه وفي ثعلب أبو بكر الحسن بن علي المعروف بابن العلاف أبياتاً سائرة وكان ابن الجواليقي كثيراً ما ينشدها وهي:

ذهب المبرد وانقضت أيامه	وليذهب إثر المبرد ثعلب
بيت من الآداب أصبح نصفه	خرباً وباقي بيته فسيخرب
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا	للدهر أنفسكم على ما يسلب
وتزوّدوا من ثعلب فبكأس ما	شرب المبرد عند قريب يشرب
وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسه	إن كانت الأنفاس مما يكتب

لعل في ما أوردناه عن المبرد كفاية للتعريف بأحد عمالقة الأدب العربي ومدخلاً إلى كتابه الذي نحن بصددّه وقد جمع فيه عيون الشعر ودرر الخطب في التعازي والمراثي بأسلوبه الشائق ومعناه الرائق نقدمه للطلاب الراغب مختصر الحواشي والتذييلات بما لا يضر بفائدة ولا يفلت شاردة.

والله الموفق للصواب



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذي يرث الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، الذي كتب على عباده الفناء، واستأثر بالبقاء، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وعلى آله الطيبين الأخيار وسلم كثيراً.

قال أبو العباس محمد بن يزيد (الأزدي) النحوي، المعروف بالمبرد رحمه الله تعالى:

دعانا إلى تأليف هذا الكتاب واجتلاب محاسن من تكلم في أسباب الموت من المواعظ والتعازي والمراثي على قدر ما يحضر، فإننا ابتدأناه عن غير خلوة بفكر ولا تمييز لكتب، وإنما اقتضينا اقتضاباً ثمة بالله وتوكلاً عليه مصابناً برجل استخفنا لذلك وبعثنا عليه، وهو أبو إسحاق القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم<sup>(١)</sup>. وإنما نسبناه التماساً للتنويه باسم سلفه الصالحين.

ولقد كان - رحمة الله عليه - في أكثر الأمور أنجع وأنفع. ولو غدّ كامل لا سقطة فيه لكان إياه، لكن الله جل ثناؤه جعل في المخلوقين النقص، وجعلهم ضعفاء، وحكم بأنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً. ولقد كانت أنصباؤه في ذلك القليل كالمحتوية على أكثره - رحمة الله عليه - مع ما جمع الله جل وعز فيه من حكم عادل، ورأي فاضل وأدب بارع، ولُب ناصع، وتصرف في العلوم، وحلم يُربي على الحلوم، وفي الله تعالى ذكره خلف من كل هالك وعزاء من كل مصيبة. ورسول الله ﷺ الأسوة والقُدوة، وكل خطب، إذا ذكرت وفاته، صغير، وكل رزء حقير؛ عليه رحمة الله وبركاته.

(١) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي: فقيه مالكي جليل التصانيف من بيت علم وفضل كان من نظراء المبرد ولي قضاء المدائن وبغداد والنهروانان ثم قضاء القضاة توفي فجأة ببغداد وكان موته سبب تأليف كتاب التعازي والمراثي (٢٠٠ - ٢٨٢ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٣١٠).

يروى عن علي بن أبي طالب - عليه السلام - من وجوه، سمعنا ذلك وبعضها يزيد على بعض، أنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ تولى غسله العباس، وعلي، والفضل، فقال علي: لم أراه يعاد فاه في الموت ما كنت أراه في أفواه الموتى. ثم لما فرغ علي من غسله وأذنته في أكفانه، كشف الإزار عن وجهه، ثم قال: بأبي أنت وأمي، طُبتَ حياً، وَطُبتَ ميتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والأنبياء، خُصِصَتْ حتى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّن سِوَاكَ، وَعَمَمَتْ حتى صارت المصيبة فيك سواء. ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفذنا عليك الشؤون. ولكن ما لا يُدْفَعُ كَمَدٌ وإدبارٌ محالفان (وهما داء الأجل، وَقَلًا لك. بأبي أنت أُمي). أذكُرنا عند ربك، واجعلنا من همك. قال: ثم نظر إلى قِذَاةٍ في عينه فَلَطَّهَا بلسانه ثم رَدَّ الإزارَ على وجهه.

وقال رسول الله ﷺ: «تَعَزَّوْا عَنْ مَآ تَأْكُم بِي».

وهذا كلام تلقاه عنه المؤمنون ثم أدَّوه إلى مَنْ بعدهم من إخوانهم المؤمنين، فاحتذى هذا المثال يقيناً وإيماءً جماعة كلهم سَلَكُهُ فاهتدى، وَوَصَفُهُ فَأَحْسَنَ، فمنهم عبد الله بن أراكَة الثَّقَفِيّ، فإنه أُصِيبَ بابنٍ له فأسرف أخوه عبد الله بن عبد الله في البكاء فوعظه وعزاه فقال:

[الطويل]

وَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ إِذْ جَدَّ بَاكِياً:	تَعَزَّ وَماءِ الْعَيْنِ مِنْهُمْ لِيَجْرِي
لَعَمْرِي لَئِنْ أَتَبَعْتَ عَيْنَيْكَ مَا مَضَى	بِهِ الدَّهْرُ أَوْ سَاقَ الْحِمَامِ إِلَى الْقَبْرِ
لَتَسْتَنْفِذَنَّ مَاءَ الشُّؤُونِ بِأَسْرِهِ	وَلَوْ كُنْتَ تَمْرِيهِنَّ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْرِ
تَأْمَلْ! فَإِنَّ الْبُكَاءَ رَدَّ هَالِكاً	عَلَى أَحَدٍ، فَاجْتَهْدُ بِكَاءِكَ عَلَى عَمْرٍو
وَلَا تَبْكُ مَيْتاً بَغْدَ مَيْتِ أَجْنَهُ	عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ وَآلِ أَبِي بَكْرٍ

## بَابُ مِنَ التَّعَاذِي

وهو أكثر ما تكلم فيه الناس، لأنه لم يَغْرَ أحدٌ من مصيبةٍ بحميم، ذلك قضاء الله على خَلْقِهِ. فكلُّ تكلم إما متعزياً وإما معزياً، وإما متصبراً محتسباً.

قال أبو الحسن المدائني<sup>(١)</sup>: كانت العربُ في الجاهلية - وهم لا يرجون ثواباً ولا يخشون عقاباً - يتحاضون على الصبر، ويعرفون فضله، ويُغيرونَ بالجزع أهله، إيذاراً للحرزم وتزئناً بالحلم، وطلباً للمروءة، وفراراً من الاستكانة إلى حسن العزاء، حتى إن كان الرجل منهم ليفقدُ حميمه فلا يُعرفُ ذلك فيه. يُصدقُ ذلك ما جاء في أشعارهم، ونثي من أخبارهم. قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّة<sup>(٢)</sup> في مَرِئِيَّتِهِ أخاه عبد الله:

[الطويل]

قَلِيلُ التَّشْكِي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ      مَعَ الْيَوْمِ أَذْبَارَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ  
صَبَا مَا صَبَا حَتَّى إِذَا شَابَ رَأْسُهُ      وَأَخَذَتْ حِلْمًا قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعُدِ  
قال أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>: كان يونس بن حبيب<sup>(٤)</sup> يقول: هذا أشعر ما قيل في هذا الباب.

وقال أبو خراش الهذلي<sup>(٥)</sup>:

[الطويل]

(١) أبو الحسن المدائني: علي بن محمد بن عبد الله بصري انتقل من المدائن إلى بغداد فعُرفَ بالمدائني عالم إخباري. (١٣٥ - ٢٢٥ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٣٢٣).

(٢) دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ الجشمي البكري: شاعر فارس من قبيلة هوازن أدرك الإسلام ولم يسلم (٨/... هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٣٩).

(٣) أبو عبيدة: معمر بن المثنى إمام اللغويين في البصرة (١١٠ - ٢٠٩ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٧٣).

(٤) يونس بن حبيب الضبي: كنيته «أبو عبد الرحمن» إمام النحاة في البصرة (٩٤ - ١٨٢ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ٢٦١).

(٥) أبو خراش الهذلي: خويلد بن مرة مضرّي من بني هذيل شاعر فارس أسلم في زمن عمر (١٥/... هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٢٥).

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ «عُرْوَةَ» لَاهِيَا      وَذَلِكَ رُزْءٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ  
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ      وَلَكِنْ صَبْرِي يَا أُمَيِّمَ جَمِيلُ  
وقال أبو ذؤيب<sup>(١)</sup>:

[الطويل]

وَإِنِّي صَبَرْتُ النَّفْسَ بَعْدَ ابْنِ عَنَبَسٍ      وَقَدْ لَجَّ مِنْ مَاءِ الشُّؤُونِ لَجُوجُ  
لَأُخْسَبَ جَلْدًا أَوْ لِيُنْبَأَ شَامِتُ      وَلِلشَّرِّ بَعْدَ الْقَارِعَاتِ فَرُوجُ  
وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ<sup>(٢)</sup>:

[المنسرح]

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا      إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا  
وقال أبو ذؤيب:

[الكامل]

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أَرِيهِمْ      أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَغُّعُ  
والشيء يُذكر بالشيء: يروى أن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهما  
السلام - دخل على معاوية وهو في عِدة له غليظة، فقال معاوية: ساندوني ثم  
تمثل بهذا البيت:

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أَرِيهِمْ      أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَغُّعُ  
فَسَلَّمَ الحسينُ عليه السلام ثم تمثل:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا      أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ  
(فاستظرف الجواب كون البيتين من قصيدة واحدة).

وقال عمرو بن مغدي كَرَبٍ<sup>(٣)</sup>:

[مجزوء الكامل]

(١) أبو ذؤيب: خويلد بن خالد مضري من بني هذيل شاعر مخضرم شارك في فتوح أفريقيا وتوفي عائداً في مصر (٢٧/هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٢٥).

(٢) أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ بن مالك التميمي: أبو شريح شاعر جاهلي من قبيلة تميم وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى. (٩٨ - ٢ ق هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣١).

(٣) عمرو بن معدي كَرَبٍ بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: أبو ثور فارس شاعر وفد على رسول الله وأسلم وارتد بعد وفاته ثم عاد إلى الإسلام شهد اليرموك والقادسية حيث قتل هناك (٢١/هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٨٦).

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ      بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لَخَدَا  
مَا إِنْ هَلَكْتُ لِفَقْدِهِ      لَيْسَ الْبُكَاءُ يَرُدُّ زُنْدَا  
أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ      وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدَا  
وقال حارثة بن بذر الغداني<sup>(١)</sup>:

[السيط]

الصَّبْرُ أَجْمَلُ وَالْذُّنْيَا مُفْجَعَةٌ      مَنْ ذَا الَّذِي لَمْ يُجْرَعْ مَرَّةً حَزَنًا؟  
وما جاء في هذا أكثر مِنْ أَنْ يُؤْتَى سَلَى غَابِرِهِ.

وتعزيتك الرجل تسليتك إيَّاه. والعزاء هو السلو وحسن الصبر على المصائب وخير من المصيبة العوض منها والرضى بقضاء الله والتسليم لأمره تَنْجُزًا لما وَعَدَ من حسن الثواب، وجعل للصَّابرين من الصلاة عليهم والرحمة. فإنه يقول تبارك وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥]. وقال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ [الحج: ٣٤]. وقال تبارك اسمه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ أَمْرَهُ﴾ [التغابن: ١١] - يقول الاسترجاع. خَبَّرَنِي بِذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْفُقَهَاء.

وروى أبو الحسن عن الفضل بن شبيب قال: قيل للضحَّاك بن قيس<sup>(٢)</sup> من قَالَ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، كَانَ مِمَّنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى وَأَدَّى الْفَرَائِضَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ.

قال الأصمعي عن بعض العلماء: لو وُكِّلَ النَّاسُ بِالْجَزَعِ لَلَجُّوا إِلَى الصَّبْرِ.

وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ<sup>(٣)</sup> أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَجْرَنَا عَلَى مَا لَا بُدَّ لَنَا

(١) حارثة بن بذر بن حصين التميمي الغداني: شاعر بصري مات غرقاً في حربه مع الخوارج (-/ ٦٤ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٥٨).

(٢) أبو بحر الضحَّاك بن قيس بن معاوية التميمي: الأحنف سيد بني تميم موصوف بالحلم والدهاء (٣ ق هـ - ٧٢ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٢٧٦).

(٣) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد: أحد علماء وفقهاء البصرة (٢١ - ١١٠ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٢٦).

منه ، وأثابنا على ما لو كَلَّفْنَا غَيْرَهُ لَصِرْنَا فِيهِ، إِلَى مَعْصِيَتِهِ .

قال الأصمعي وأبو الحسن : جَزَعَ سليمانُ بن عبد الملك على ابنه أيوب فقال له رجلٌ من القُرَّاء : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ حَدَثَ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَظَنَ أَنَّهُ يَغْرَى مِنَ الْمَصَائِبِ فِيهَا لَغَيْرُ جَيِّدِ الرَّأْيِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا تَسَلَّى بِهِ .

وكان عليُّ بن أبي طالبٍ رضوانُ اللَّهِ عليه يقول : عَلَيَكُمْ بِالصَّبْرِ ، فَإِنَّ بِهِ يَأْخُذُ الْحَازِمُ وَإِلَيْهِ يَعُودُ الْجَارِعُ .

ورُوي عن أبي الحسن ، عن أبي عمرو بن المبارك قال : دخلَ زيادُ بن عثمان بن زياد على سليمان بن عبد الملك ، وقد تُوفي ابنه أيوب ، فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ <sup>(١)</sup> كَانَ يَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ الْبَقَاءَ فَلْيُوطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَائِبِ .

قال أبو الحسن عن علي بن سليمان بن الحسن : الْخَيْرُ الَّذِي لَا شَرَّ فِيهِ الشُّكْرُ مَعَ الْعَافِيَةِ ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ . فَكَمْ مِنْ مَنْعَمٍ عَلَيْهِ غَيْرُ شَاكِرٍ ، وَمِنْ مُبْتَلَى غَيْرُ صَابِرٍ .

قال : وَمِنْ أَحْسَنِ التَّغْزِيَةِ إِبْلَاحُ فِي إِجْزَازِ . قال أبو الحسن : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا سَمِعْنَا فِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي الْحَكَمِ اللَّيْثِيِّ عَنْ شَيْبَةَ بْنِ نَصَاحٍ <sup>(٢)</sup> قَالَ : لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ صَرَخَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ <sup>(٣)</sup> ، فَنَادَتْ مُنَادٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ، يَسْمَعُونَ حَسَّهُ وَلَا يَرَوْنَ شَخْصَهُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، أَعْلَى رَسُولِ اللَّهِ تَبْكُونَ ، أَمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ تَصْرَخُونَ ؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : مَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَبْكِي وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ نَصْرُخُ ، وَلَكِنْ عَلَى انْقِطَاعِ الْوَحْيِ عَنَّا . قَالَ : ثُمَّ نَادَى الثَّانِيَةَ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ، وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

إِنَّ فِي اللَّهِ عِزَاءً مِنْ كُلِّ مَصِيبَةٍ ، وَعِوَضاً مِنْ كُلِّ مَرَزِئَةٍ ، وَدَرَكاً مِنْ كُلِّ فَائِتٍ ،

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر الثقفي : من أعيان التابعين توفي في البصرة (-/٩٦ هـ) (الأعلام : ج ٣ ، ص ٣٠٢) .

(٢) شَيْبَةُ بْنُ نَصَاحٍ الْمَخْزُومِيُّ الْمَدَنِيُّ : قَاضِي وَإِمَامُ الْمَدِينَةِ فِي الْقَرَاءَاتِ وَمِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ (-/١٣٠ هـ) (الأعلام : ج ٣ ، ص ١٨١) .

(٣) أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ : صَحَابِيَّةٌ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (-/٤٠ هـ) (الأعلام : ج ١ ، ص ٣٠٦) .

وَحَلَفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ، فَبِاللَّهِ فَتَقُوا، وَإِيَّاهُ فَارْجُوا. الْمَحْبُورُ مَنْ حَبَرَهُ الثَّوَابُ،  
وَالْخَائِبُ مَنْ أَمِنَ الْعِقَابَ.

قال أبو الحسن عن الحسن بن دينار<sup>(١)</sup> عن علي بن زيد<sup>(٢)</sup> عن أنس بن مالك<sup>(٣)</sup> أن رسول الله ﷺ وضع إبراهيم في حجره وهو يجود بنفسه فقال: «لولا أن الماضي فرط الباقي وأن الآخر لا يبق بالاول لحزننا عليك يا إبراهيم». ثم دمعت عينه فقال: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون».

قال أبو الحسن: أخبرنا عن مسامة عن أبان عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «لأن أقدم فرطاً أحب إلي من أن أدع مئة مستلثم». وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من عزي مصاباً فله مثل أجره»<sup>(٤)</sup>.

قال أبو الحسن عن بعض أصحابه قال: عزي أبو بكر عمر على طفل له، فقال: «عوضك الله منه ما عوضه منك».

تفسير هذا أنه يقال: إن الطفل يعوض من أبويه الجنة.

قال أبو الحسن عن أبي بكر<sup>(٥)</sup> عن أبي المليلح<sup>(٦)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله جل ذكره: «إذا أخذت صفى عبدي فصبر لم أرض له ثواباً دون الجنة»<sup>(٧)</sup>.

---

(١) أبو سعيد الحسن بن دينار البصري: اسم أبيه عامل ولكنه نسب إلى زوج أمه دينار كان قدرياً روى عن الحسن البصري وروى عنه سفيان الثوري. (لسان الميزان: ج ٢، ص ٢٠٣) (البيان والتبيين: ج ٢، ص ٤٩).

(٢) أبو الحسن علي بن زيد بن جدعان: فقيه بصري، ضرير من حفاظ الحديث (-/١٢٩ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٢٨٩).

(٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري «أبو ثمامة - أو أبو حمزة» خادم رسول الله ﷺ ولد بالمدينة وتوفي بالبصرة (١٠ قبل الهجرة - ٩٣ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٤).

(٤) أخرجه الترمذي وأبو ماجه في السنن.

(٥) أبو بكر الهذلي: في البيان والتبيين اسمه «عبد الله بن سلمى» وفي التهذيب «سلمى بن عبد الله بن سلمى» وقيل اسمه روح وهو من خطباء هذيل. (البيان والتبيين: ج ١، ص ٢٣٧).

(٦) أسامة بن عمير: كما جاء في البيان والتبيين واسمه في التهذيب عامر أو زيد بن أسامة وهو من خطباء هذيل. (البيان والتبيين: ج ١، ص ٢٣٧).

(٧) أخرجه الترمذي وابن ماجه في السنن.

## باب من الشعر

مراثي الجاهلية المشهورة المستحسنة المستجادة المقدمة معلومة موسومة .  
 منها قصيدة متمم بن نويرة<sup>(١)</sup> في أخيه «مالك»، على أن سائر أشعاره غير مذكوم،  
 وإن تقدمت العينية التي أولها .

[الطويل]

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينِ هَالِكٍ      وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا  
 ومنها قصيدة ذريد في أخيه عبد الله التي أولها .

[الطويل]

أَرَتْ جَدِيدَ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ      بِعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ  
 ومنها قصيدة كعب بن سعد الغنوي<sup>(٢)</sup> يرثي فيها أخاه، وهي التي أولها :  
 تَقُولُ سُلَيْمَى مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا      كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرَابُ طَبِيبُ  
 ومنها قصيدة أعشى باهلة، أبي قحافة<sup>(٣)</sup> وهي التي أولها :

إِنِّي أَتَنِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا      مِنْ عَلَوٍ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ  
 ومراثي الخنساء ومراثي ليلى الأخيلية، وسندكر من ذلك طرفاً ومن مراثي  
 أوس بن حجر في فضالة بن كلدة الأسدي<sup>(٤)</sup>، ومراثي لبيد في أخيه أربد،

(١) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي «أبو نهشل» شاعر فحل صحابي اشتهر في  
 الجاهلية والإسلام كان قصيراً أعوراً أشهر شعر، رثاؤه لأخيه «مالك» سكن في المدينة (٣٠ / هـ)  
 (الأعلام: ج ٥، ص ٢٧٤).

(٢) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي: شاعر جاهلي من بني غنّي قتل أخواه في ذي قار ومنزله في «رملة  
 إنسان» موضع شرقي «الرجام» وهو اسم جبل (١٠ / ق هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٢٧).

(٣) عامر بن الحارث بن رياح الباهلي: شاعر جاهلي من همدان يكنى «أبا قحفان» (٠ / ٠) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٥٠).

(٤) فضالة بن كلدة: شاعر جاهلي من بني أسد وصديق أوس بن حجر التميمي (٠ / ٠) =



وعدي المهلهل فيمن بكاه من قومه اختيارات بارعة وننبه على ما فيها ولمن اختيرت ثم ننحط إلى شعر الإسلام من قديم ومحدث وما بينهما إن شاء الله . ونفصل ذلك بالمواعظ كلاماً وشعراً والتعازي على ما يحضر ونوفق له إن شاء الله .

فمما اخترنا من قصيدة مُتَمِّم وكان الذي تولى قتل أخيه بأمر خالد بن الوليد بن المُغيرة - ضرار بن الأزور الأسدي وحدثنا التَّوْزِي<sup>(١)</sup> في إسناده أن ضراراً هذا أتى رسول الله ﷺ لِيُسَلِّمَ ففعل وقال :

تَرَكْتُ الْخُمُورَ وَضَرَبَ الْقِدَا ح وَاللَّهُوَ تَضْلِيَّةً وَابْتِهَالًا  
وَكَرِيَّ الْمَحْبَّرِ فِي غَمْرَةٍ وَشَدِي عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْقِتْلَا  
فَيَا رَبِّ لَا أَغْبَنَنَّ صَفْقَتِي فَقَدْ بَغَتْ أَهْلِي وَمَالِي بِدَالَا  
فقال رسول الله ﷺ : مَا غَبَنْتَ صَفْقَتَكَ يَا ضَرَارَ .

ثم نرجع إلى اختيارنا من العينية، ففيها من حُرِّ الكلام وصادق المدح قوله :

[الطويل]

إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ الْقِدَاحَ وَأَوْقَدَتْ لَهُمْ نَارُ أَيْسَارٍ كَفَى مَنْ تَضَجَّعَا<sup>(٢)</sup>  
بِمَثْنَى الْأَيْدِي ثُمَّ لَمْ تُلَفِ مَالِكَا عَلَى الْفَرْثِ يَخْمِي اللَّحْمَ أَنْ يُتَمَزَّعَا<sup>(٣)</sup>  
وقوله :

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةً<sup>(٤)</sup> حَقْبَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ نَتَّصِدَعَا  
وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا أَصَابَ الْمَنَايَا رَهْطٌ كِسْرَى وَتُبَّعَا  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَثْ لَيْلَةً مَعَا  
وفيها مما يُختار :

= (الأعلام: ج ٥، ص ١٤٦).

(١) عبد الله بن محمد بن هارون «التَّوْزِي» من «توز» بلدة بفارس من كبار علماء اللغة توفي سنة ٢٣٨ هـ رغبة الأمل: ج ١، ص ١٦٩.

(٢) الأيسار: مفردها يسر (المجتمعون على الميسر) وتضجع في الأمر: لم يقم به .

(٣) يتمزع: يفرق .

(٤) ندمانا جذيمة: نديمان لجذيمة الأبرش وهما مالك وعقيل قتلها بعد أن نادماه دهرأ (الأعلام: ج ٥، ص ٢٧٤) ترجمة متمم بن نويرة .

أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ  
سَقَى اللَّهُ أَرْضاً حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ  
وَأَثَرَ بَطْنِ الْوَادَيْنِ بِدِيْمَةٍ  
تَحِيَّتِهِ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيَا  
فَمَا وَجَدُ أَظَارِ ثَلَاثِ رَوَائِمِ  
يُذَكِّرُنَ ذَا الْوَجْدِ الْقَدِيمِ بِوَجْدِهِ  
بِأَوْجَدِ مِنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مَالِكَا

يريدُ بالسَّمِيعِ : المسموع .

ومما يُسْتَحْسَنُ مِنْ شَعْرِهِ فِيهِ :

وَعَيْثُ يَسُحُّ الْمَاءَ حَتَّى تَرِيْعَا<sup>(١)</sup>  
ذِهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجِنَاتِ فَأَمْرَعَا<sup>(٢)</sup>  
تُرْشُحُ وَنَسِيمِيَا مِنْ النَّبْتِ خِرْوَعَا<sup>(٣)</sup>  
وَأَضْحَى تُرَاباً فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلَقْعَا  
رَأَيْنَ مَجْرَأً مِنْ فَصِيلٍ وَمَضْرَعَا<sup>(٤)</sup>  
إِذَا حَنَّتِ الْأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا  
وَنَادَى بِهِ الثَّاعِي السَّمِيعُ فَأَسْمَعَا

[الطويل]

وَأَيْفَاعُ صِدْقٍ لَوْ تَمَلَّيْتُهُمْ رَضَى  
كَدَابٍ ثُمُودٍ إِذْ رَعَا سَقْبُهُمْ ضَحَى<sup>(٥)</sup>  
مَا كُلُّهُمْ يُعْنَى وَلَكِنَّهُ الْفَتَى

كُھُولٌ وَمُزْدٌ مِنْ بَنِي عَمِّ مَالِكٍ  
سُقُوا بِالْعُقَارِ الصَّرْفِ حَتَّى تَتَابَعُوا  
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ فَتَى لِعَظِيمَةٍ؟

وهذا يشبه قولَ طرفة :

عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنَّنِي

ومن ذلك قوله في أخرى :

[الطويل]

كَسَاقِطَةٍ إِخْدَى يَدَيْهِ مِنَ الْخَبْلِ<sup>(٦)</sup>  
وَلَا ظِلٌّ إِلَّا أَنْ تُعَدَّ مِنَ النُّخْلِ

وَكُلُّ فَتَى فِي النَّاسِ بَعْدَ ابْنِ أُمِّهِ  
وَيَغْضُ الرِّجَالُ نَخْلَةً لَا جَنَى لَهَا

وهذا مِنْ جَيِّدِ الْكَلَامِ لَصَحَّةِ مَعْنَاهُ ، وَلِأَنَّهُ وَافَقَ حَقًّا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(١) الرُّبَابُ : السحاب والتَّرِيْعُ : التردد .

(٢) الذِّهَابُ : مفردُها ذِهْبَةٌ : السحابة الغزيرة .

(٣) الوَسْمِي : أول النبات والخِرْوَع : اللين من كل شيء .

(٤) الْأَظَارُ : جمع ظئر المرضعة لغير ولدها من الناس والإبل والروائم : التي تعطف على الرضيع وتدرّ له .

المجر والمصرع : مصدران من الجرّ والصرع .

(٥) السَّقْبُ : ولد الناقة .

(٦) الْخَبْلُ : قطع اليد أو الرجل .

«الناس كإبل مئة، لا تكاد ترى فيها راحلة» وقد قال الآخر لشجرات ضرب بهن مثلاً:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيكَ ظِلٌّ وَلَا جَنَى      فَأَبْعَدَكُنَّ اللَّهُ مِنْ شَجَرَاتِ  
والرجل - رحمه الله - الذي أنشأنا هذا الكتاب بسببه، ومن أجل وفاته،  
نأمن أن يلحق وصفنا إياه تزيد أو تكلف لإجماع العامة فيه على قول الخاصة.  
فكان شيء وقع إلهاماً، وكان مادحه يستملي مدحه من قول القائل:

جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ      فَالْنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ  
وَالنَّاسُ مَأْتُمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدُ      فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ  
تَجْرِي عَلَيْكَ دُمُوعٌ مَنْ لَمْ تُولِهِ      خَيْراً لَأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرُ  
ويشاكل هذا المعنى قول عمارة بن عقيل<sup>(١)</sup> لخالد بن يزيد بن مزيد<sup>(٢)</sup>:

أَرَى النَّاسَ طُرّاً حَامِدِينَ لِخَالِدٍ      وَمَا كُلُّهُمْ أَفْضَتْ إِلَيْهِ صَنَائِعُهُ  
قال: النصب في «كلهم» أحب إليّ، والرفع جيد.

وَلَنْ يَشْرَكَ الْأَقْوَامُ أَنْ يَحْمَدُوا الْفَتَى      إِذَا كَرُمَتْ أَعْرَافُهُ وَطَبَائِعُهُ  
فَتَى أَمَعَنْتَ ضَرَاؤُهُ فِي عَدُوِّهِ      وَخَصَّتْ وَعَمَّتْ فِي الصَّدِيقِ مَنَافِعُهُ  
وإن سلم أحد من أن يكون له عدو فإسماعيل بن إسحاق القاضي رحمه الله  
عليه، ذلك الرجل. ولكن من سلم من أن يُعادى لجناية فغير سالم من حاسد  
باغ.

وحدثني الرياشي<sup>(٣)</sup> قال: حدثني محمد بن عبد الله الأنصاري<sup>(٤)</sup> في إسناده  
قال: صلى أبو بكر رحمه الله عليه صلاة الصبح يوماً، فلما انفتل قام متمم بن  
نويرة في آخر الناس، وكان رجلاً أعور دميماً، فأتكا على قوسه ثم قال:

---

(١) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية: من أحفاد جرير الشاعر سكن بادية البصرة ومدح  
الخلفاء العباسيين أخذ عنه النحويون وعمي قبل موته (١٨٢ - ٢٣٩ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص  
٣٧).

(٢) خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني: أمير ووال عباسي جواد وهو محدوح أبي تمام توفي سنة ٢٣٠ هـ  
(الأعلام: ج ٢، ص ٣٠١).

(٣) أبو الفضل العباس بن الفرّج بن علي بن عبد الله الرياشي البصري: لغوي وراوي عالم بأيام العرب  
قتل في فتنّة الزنج في البصرة (١٧٧ - ٢٥٧ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٦٤).

(٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن المثنى بن أنس بن مالك: فقيه تولى قضاء البصرة ثم بغداد أيام  
الرشيد رجع إلى البصرة وتوفي فيها (٢١٥ هـ) (تاريخ بغداد: ج ٣، ص ٤٠٨).

نِعْمَ الْقَتِيلُ، إِذَا الرِّيحُ تَنَافَحَتْ      خَلَفَ الْبُيُوتِ، قَتَلَتْ يَا بَنَ الْأَزُورِ  
أَدْعَاؤُهُ بِاللَّهِ ثُمَّ غَدَرَتْهُ      لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدُرِ

وأوماً إلى أبي بكر، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله ما دعوته ولا غدرت به، ثم اتكأ متمم على سِيَةِ قَوْسِهِ حتى دمعت عينه العوراء، ثُمَّ أَتَمَّ شَعْرَهُ فَقَالَ:

لَا يُمْسِكُ الْعَوْرَاءُ تَحْتَ ثِيَابِهِ      حُلُّو شَمَائِلُهُ عَفِيفُ الْمِثْزَرِ  
وَلَنِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ كُنْتُ وَحَاسِرًا      وَلَنِعَمَ مَأْوَى الطَّارِقِ الْمُتَنَوِّرِ

فقام إليه عمرُ فقال: لَوَدِدْتُ أَنَّكَ رَثَيْتَ أَخِي بِمَا رَثَيْتَ بِهِ أَخَاكَ. فقال له: يا أبا حفص، لو أعلمُ أن أخِي صَارَ حَيْثُ صَارَ أَخُوكَ مَا رَثَيْتُهُ يَقُولُ: إِنْ أَخَاكَ قُتِلَ شَهِيدًا. فقال عمر: مَا عَزَانِي أَحَدٌ بِمِثْلِ تَعَزِيَّتِكَ.

وفي حديث آخر أنه رثى زيد بن الخطاب<sup>(١)</sup> فلم يُجِدْ، فقال له عمر: لم أرك رثيت زيدا كما رثيت أخاك مالكا، فقال: إنه والله يُحَرِّكُنِي لِمالِكٍ مَا لَا يُحَرِّكُنِي لِزَيْدٍ. وقال له عمر يوماً: إِنَّكَ لَجَزُلٌ فَأَيْنَ كَانَ أَخُوكَ مِنْكَ؟ فقال: كَانَ، وَاللَّهِ، أَخِي فِي اللَّيْلَةِ ذَاتِ الْأَزِيرِ وَالْأَصْوَاتِ وَالصُّرَادِ، يَرْكَبُ الْجَمَلَ الثَّفَالَ بَيْنَ الْمُزَادَتَيْنِ الْمُتَلَوْنَتَيْنِ، وَيَجْتُبُ الْفَرَسَ الْجَرُورَ<sup>(٢)</sup>، وَعَلَيْهِ الشَّمْلَةُ الْفَلُوتُ<sup>(٣)</sup>، وَفِي يَدِهِ الرَّمْحُ الثَّقِيلُ حَتَّى يَصْبَحَ مَتَهَلِّلًا، وَلَقَدْ أُسْرْتُ مَرَّةً فِي بَعْضِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَمَكِثْتُ فِيهِمْ سَنَةً أَحَدَتْهُمْ وَأَغْنَيْهِمْ، فَمَا أَطْلَقُونِي. فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ، وَقَفَ عَلَيْهِمْ مَالِكٌ فِي شَهْرٍ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ، فَحَادَثْتُهُمْ سَاعَةً ثُمَّ اسْتَوْهَبَنِي مِنْهُمْ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ فَوَهَبُونِي لَهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّ سَاعَةً مِنْ مَالِكٍ أَكْثَرُ مِنْ حَوْلٍ مِنِّي.

قال: وأما مَرِثِيَةُ دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ فَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقْدُمُهَا جِدًّا، وَهِيَ أَهْلُ ذَاكَ. وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الْمَرِثِيَةِ أَنَّ أَخَاهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصِّمَّةِ أَحَدَ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ ابْنِ هَوَازِنَ، غَزَا قِبَائِلَ غُطْفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مُرَّةَ، وَفَزَازَةَ وَأَشْجَعَ وَعَبْسَ بْنَ بَغِيضٍ. فَاسْتَحَ أَمْوَالَهُمْ وَانْصَرَفَ، فَلَمْ يَجَاوِزْ بَعِيدًا حَتَّى أَنَاخَ وَأَمَرَ بِالْإِبِلِ تُنَحَرُ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ دُرَيْدٌ: يَا أَبَا فُرْعَانَ، إِنَّ غُطْفَانَ غَيْرُ نَائِمَةٍ عَنْ أَمْوَالِهَا فَتَقْدُمُ شَيْئًا ثُمَّ

(١) زيد بن الخطاب: قتل في اليمامة وكانت الراية معه فحزن عليه عمر كثيراً كان زيد أسن منه وأسلم قبله (١٢/٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٥٨).

(٢) الفرس الجور: الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه وإنما يجبر الحبل.

(٣) الشملة الفلوت: التي لا تكاد تثبت على حاملها.

أَنخ. فقال: لا والله لا أَرِيْمُ حتى آخذ مِرْبَاعِي<sup>(١)</sup> وأنتقع نقيعتي، فأمر بالإبل فَجَرَتْ، وأجلسوا رِيِيَّتَهُمْ<sup>(٢)</sup> فلما سطعت الدواخنُ قالَ له الرِيِيَّةُ: إني أرى عِبْرَةً قد ارتفعت أكثر من هذه الدواخنِ. قالوا: فتأمل ماذا ترى. قال: أرى قوماً على خيلهم كأنهم الصبيان. قالوا: هذه فزازة، لا بأس، فتأمل. قال: أرى قوماً كأنهم غَمِسُوا في الجَابِ<sup>(٣)</sup> فقالوا: تلك أشجع ولا بأس، تأمل. قال: أرى قوماً كأنما يتقلعون من صخر، يقلعون دوابهم ببوادهم. قالوا: تلك عبسٌ والموت فلم ينشَبُوا أن التقى القومُ فاقتتلوا شيئاً، ثم نادوا: أُردي، والله، فارسٌ هو أبو فرعان، فأقبل دريدٌ فإذا به صريعاً، وأصاب دريداً جراحات. وله خبر في ذلك اليوم ليس من هذا. ففي ذلك يقول في كلمته هذه:

وَقُلْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ  
أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللُّوَى  
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى  
فَمَا أَنَا إِلَّا مَنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ  
فَقُلْتُ لَهُمْ: ظُنُّوا بِالْفَقِي مُقَاتِلِ  
فَنَادَوْا وَقَالُوا: أَزَدَتِ الْخَيْلُ فَارِساً  
فَجِئْتُ كَأُمِّ الْبَوْرِ رِيَعَتْ فَأَقْبَلْتُ  
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا الرِّمَاحُ تَنُوشُهُ  
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ  
كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٍ نِصْفُ سَاقِهِ  
قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظُ  
وَهَوْنٌ وَجِدِي أَنَّنِي لَمْ أَقْلُ لَهُ:

وَرَهْطِ أَبِي السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمُ شُهْدِي  
فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النَّضْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ  
غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدٍ  
غَوِيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشَّدِ  
سَرَاتِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ  
فَقُلْتُ: أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرَّدِي؟  
إِلَى جِذَمٍ مِنْ جِلْدٍ سَقَبٍ مُقَدَّدِ<sup>(٤)</sup>  
كَوَقَعِ الصَّيَاصِي فِي التَّسِيحِ الْمُمَدَّدِ<sup>(٥)</sup>  
فَمَا كَانَ وَقَافاً وَلَا طَائِشَ الْيَدِ  
بَعِيدٌ مِنَ السَّوَاءِ طَلَأُ أَنْجِدِ  
مَعَ الْيَوْمِ أَذْبَارَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ  
كَذَبْتُ، وَلَمْ أَبْخُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

وأشعارُ الجاهلية مشهورةٌ معروفةٌ، وإنما نملي منها العيون. ألا ترى إلى قوله «قليلُ التشكي للمصيبات» ثم وصله بقوله «حافظٌ مع اليوم أذبارَ الأحاديثِ

(١) المرباع: ربع الغنمة والنقيعة ما نحر من النهب قبل القسمة.

(٢) الرِيِيَّة: العين والحارس.

(٣) الجَاب: طين أحمر يُصنع به.

(٤) جِذَم: قطع.

(٥) صياصي: مفردها صِيصِيَّة: شوكة الحائك التي يسوي بها السداة واللحمة.

في غدي» كيف قرّن فيه معنًى ظريفاً بآخر مثله في الظرافة التي لا يمتنع اللبيب من قبولها واستحسنائها والمعرفة بحقيقة ما فيها كما قلنا في الذي قبله .

وكذلك قول كعب بن سعد الغنوي :

وَدَاعَ دَعَا : يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى التَّدْيِ ؟      لَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ  
فَقُلْتُ : ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعْ الصُّوْتَ رَفْعَةً      لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ <sup>(١)</sup> مِنْكَ قَرِيبُ  
ألا ترى ما وصفه به من الجود الذي هو عادة يجتمع عليها ثم لم يعدل به أحداً ؟ .

وكذلك قول أعشى باهلة في مرثيته المنتشر بن وهب حيث يقول في جلده ، إذ كان جل ما فيه مما يمدح به فيما مكان به موصوفاً :

مَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ وَصَبِ      وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ <sup>(٢)</sup>  
مَاضِي الْعَزِيمِ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْصَلِتِ      بِالْقَوْمِ لَيْلَةً لَا مَاءَ وَلَا شَجَرِ <sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّهُ عِنْدَ صَدَقِ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ      بِالْيَأْسِ تَلْمَعُ مِنْ قُدَامِهِ الْبُذُ

ولا نعلم بيتاً في هذا المعنى من يمين النقية وبركة الطلعة أبرع من هذا ، فإنما نملي هذا الضرب من العيون . ومثل ذلك قوله :

لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْفُفُهُ      وَلَا تَرَاهُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ <sup>(٤)</sup>

قال أبو العباس : وحدثنا الرياشي في إسناده ذكره قال : أنشد مُنْشِدُ أبا بكرٍ الصديق (رضي الله عنه) قول زهير في هَرَمِ بن سنان :

أَنْ نِعْمَ مُعْتَرَكُ الْجِيَاعِ إِذَا      حَبَّ السَّفِيرِ وَسَابِئُ الْخَمْرِ <sup>(٥)</sup>  
وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدُّرْعِ أَتَتْ إِذَا      دُعِيَتْ : نَزَالٍ وَلَجَّ فِي الدُّغْرِ  
وَمُرْهَقُ النَّيْرَانِ يُحْمَدُ فِي الْـ      لَأَوَاءِ غَيْرِ مُلْعَنِ الْقَدْرِ <sup>(٦)</sup>

فجعل أبو بكر يقول عند كل بيت : هكذا كان رسول الله ﷺ حتى أنشده :

(١) أبو المغوار : أخو كعب الذي يرثيه .

(٢) الشُرْسُوف : رأس الضلع مما يلي البطن .

(٣) المنصلت : الماضي في الحوائج .

(٤) يتأرى : ينحبس ويقتفر : يتعرق العظم .

(٥) معترك الجيع : موضع اجتماعهم والسفير : ورق الشجر تطيره الريح . وسابئ الخمر : مشربها .

(٦) مُرْهَقُ النيران : موقدها ليلاً ليعشو إليها الضيف .

وَالسُّتْرُ دُونَ الْفَاجِشَاتِ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِثْرٍ  
فَقَالَ: هَكَذَا، وَاللَّهِ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ: أَشَعَرُ شَعْرَانِكَ  
زُهَيْر.

وَيُرَوَّى مِنْ غَيْرِ وَجْهِ - حَدَّثَنَا مَسْعُودُ بْنُ بَشْرٍ وَغَيْرُهُ - أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ  
مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ<sup>(١)</sup>، حَضَرَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:  
[الكَامِل]

بَكُّوا حَذِيفَةً لَا تُبَكُّوا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قَبَائِلُ لَسْمٍ تُخْلَقُ  
ثُمَّ قَالَ: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِيَزِيدَ خَيْرًا لَأَبْقَى لَهُ هَذَا الْفَتَى. فَهَذَا مِنَ الْأَبْيَاتِ  
الْجَامِعَةِ كَنَحْوِ مَا ذَكَرْنَا.

وَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْكِندِيَّةُ فِي تَوَلَّاهَا فِي إِخْوَتِهَا:

[الطَوِيل]

أَبَوْا أَنْ يَفِرُّوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ فَمَاتُوا وَأَطْرَافُ الْقَنَا تَقْطُرُ الدَّمَاءَ  
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةَ وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا  
هَوَتْ أُمُّهُمْ مَآذَا بِهِمْ يَوْمَ صُرِّعُوا بِجَيْشَانِ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصْرُمَا<sup>(٢)</sup>  
وَالْقَائِل:

[الْوَافِر]

أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى وَلَهْفَ الْبَاكِياتِ عَلَى قُصَيٍّ  
لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى قُصَيٍّ مِنيَّةَ بَيْنِ سَلْعٍ وَالسُّلَيِّ<sup>(٣)</sup>  
وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى قُصَيٍّ جَرِيرَةَ رُمُجِهِ فِي كُلِّ حَيٍّ

فَأَحْسَنُ الشَّعْرِ مَا خَلَطَ مَدْحًا بِتَفْجَعٍ، وَاشْتِكَاءَ بِفَضِيلَةٍ، لِأَنَّهُ يَجْمَعُ التَّوَجُّعَ  
الْمَوْجِعَ تَفَرُّجًا، وَالْمَدْحَ الْبَارِعَ اعْتِذَارًا مِنْ إِفْرَاطِ التَّفْجَعِ بِاسْتِحْقَاقِ الْمَرْتَبَةِ. وَإِذَا  
وَقَعَ نَظْمٌ ذَلِكَ بِكَلَامٍ صَحِيحٍ وَلَهْجَةٍ مَعْرَبَةٍ وَنَظْمٍ غَيْرِ مُتَفَاوِتٍ فَهُوَ الْغَايَةُ مِنْ كَلَامِ  
الْمَخْلُوقِينَ.

(١) مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ: أَمِيرٌ لِلأُمَوِيِّينَ مَاتَ بِالشَّامِ (١٠٠ هـ) قَالَ فِيهِ عُمَرُ بْنُ  
عَبْدِ الْعَزِيزِ: هَذَا فَتَى الْعَرَبِ. (الأعلام: ج ٧، ص ١٩٤).

(٢) جَيْشَانُ: مَدِينَةُ وَكُورَةُ بِالْيَمَنِ يَنْسَبُ إِلَيْهَا الْخُمْرُ السُّودُ (معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٠٠).

(٣) سَلْعٌ وَالسُّلَيُّ: سَلْعُ جَبَلٍ فِي دِيَارِ هَذِيلَ وَالسُّلَيُّ مَوْضِعٌ فِي بِلَادِ عَامِ (معجم البلدان: ج ٣، ص  
٢٣٧) وَ (ج ٣، ص ٢٤٤).

واعلم أنَّ قولَ الخنساءِ من أجملِ الكلامِ حيثُ تقول :

[البسيط]

وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالِينَا وَسَيِّدُنَا      وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ  
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ      كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فجعلته موضعاً للسؤددِ ومعنيّاً بأمرِ العشيرة لقوله : «لوالينا وسيدنا»، وجواداً مفضلاً نحاراً في وقت الإقتار والشتوة، ثم قالت : «وإن صخرًا لتأتُم الهداة به» فجعلته إمام الأئمة، ثم جعلته علماً - والعلم : الجبل -، فلم تقتصر على ذلك حتى جعلت في رأسه ناراً، شهرةً في الكرم، وناراً على علم في الهداية.

وقول الله عز وجل : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾<sup>(١)</sup> إنما هي الجبال. وقال جرير :

إِذَا قَطَعْنَا عِلْمًا بَدَا عِلْمٌ

ومن عجيب ما قيل قولُ النابغة في حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ<sup>(٢)</sup> إكباراً لشأنه، واستعظاماً لموته، وتعجباً من ذهاب مثله :

[الطويل]

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ      وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالُ جُنُوحُ؟  
وَلَمْ تَلْفِظِ الْمَوْتَى الْقُبُورَ وَلَمْ تَزُلْ      نُجُومُ السَّمَاءِ وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ  
فَعَمَّا قَلِيلٍ ثُمَّ جَاءَ نَعِيُّهُ      فَظَلَّ نَدِيُّ الْحَيِّ وَهُوَ يَنُوحُ

وذكرنا أوساً ومراثيه في فضالة بن كِلْدَةَ الأَسَدِيِّ. وكان من خبره معه أنه قصده من أرض بني تميم، فلما قارب منزله، جالت به ناقته فرمت به فكسرت فخذه. فأقام ليلته مكانه لا يريم حتى إذا أصبح نظر وهو في عام خصيب إلى جوار من صبيات بني أسد، قد خرجن يجتنين الكمأة، فجعل ينسبهن حتى وقف على ابنة فضالة، فقال لها: خذي هذا الحجز فأتي به أباك، فقول لي له: قد زارك ابنُ هذا، وخبريه بحالي، فلما أتته قال: أتاناً، والله، بمدح كثير أو بدم كثير. فأتاه، فضرب عليه قبة، ولم يزل يعالجه حتى برأ.

قال الأصمعي: وفي بني أسد حداقة بالجبر. قال: وسمعت أعرابياً من بني

(١) سورة الزحمن: الآية ٢٤.

(٢) حِصْنُ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بدر الفزاري: قائد قبيلة ذبيان في يوم شعب جبلة يضرب بأبيه المثل في سرعة السير (البيان والتبيين: ج ٣، ص ٣٧).



أسد يقول: أنا أجبرُ الناسَ لِفَكَ أو تَرْقُوةً. قال الأصمعي: وهما أَشَدُّ ما يُجْبَرُ. ففي ليلته تلك يقول:

[المتقارب]

خُذِلْتُ عَلَى لَيْلَةٍ سَاهِرَةٍ      بِصَخْرَاءٍ شَرَجَ إِلَى نَاطِرَةٍ  
تَزَادُ لِيَالِي فِي طُولِهَا      فَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلَا سَاكِرَةٍ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ أَطَاوَلَ شَوْكِ السُّيَالِ      تَشْكُ بِهِ مَضْجَعِي شَاكِرَةٍ<sup>(٢)</sup>  
وفي حليلة بنت فضالة بن كلدة التي ذهبت إلى أبيها برسالتِهِ يقول:

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا ذَمَّتْ ثَوَاءَ ثَوِيَّهَا      حَلِيمَةً إِذْ أَلَقَتْ مَرَايِي مُقْعَدِ  
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانَتِي      وَحَلَّ بِفَلَجٍ فَالِدَثِينَةِ عُودِي<sup>(٣)</sup>  
وَلَمْ تُلْهِهَا التَّكَالِيفُ إِنَّهَا      كَمَا شِئْتُ مِنْ أَكْرُومَةٍ وَتَخَرُّدِ<sup>(٤)</sup>  
سَاجِزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مَثُوبٌ      وَقَضْرُكَ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي  
فأقام عند فضالة مدةً يسيرةً ثم مات فضالة ففيه يقول قصائد نذكر بعضها والمختار منها:

قال أبو عبيدة: كان أوس بن حجر شاعرَ مُضَرٍ في الجاهلية حتى نشأ زهيرٌ والنابعةُ فوضعا منه، ولكنه شاعرٌ تميمٍ غير مدافعٍ فمما قال فيه:

[المنسرح]

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا      إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا  
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاخَةَ وَالنَّدَا      جُدَّةَ وَالْبَاسَ وَالْقَوَى جُمَعَا  
الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الظُّدَا      نَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا  
وَالْمُثَلِّفُ الْمُخْلِفُ الْمُرَزُّ لَمْ      يُمْتَنِعْ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمُتْ طَبَعَا  
وَالْحَافِظُ النَّاسَ فِي تَحُوطٍ إِذَا      لَمْ يُرْسَلُوا خَلْفَ عَائِدِ رَبَعَا  
وَعَزَّتِ الشُّمَالُ الرِّيَّاحَ وَقَدْ      أَمْسَى كَمِيعُ الْفَتَاةِ مُلْتَفِعَا  
وَشُبُّهُ الْهَيْدَبُ الْعَبَامُ مِنَ الْأَقْدَا      حَوَامٍ سَقَبَاءَ مُلَبَّسَاءَ فَرَعَا  
وَكَانَتْ الْكَاعِبُ الْمُمْنَعَةُ الْحَا      سُنَاءٍ فِي زَادِ أَهْلِهَا سَبُعَا  
لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ وَالْمُدَامَةُ وَالْفِدَا      ثِيَانُ طَرًّا وَطَامِعُ طَمِعَا

(١) ساكرة: ساكنة الريح.

(٣) الضمانة: العاهة. وفلج والدثينة: موضعان.

(٢) شاجرة: طاعة.

(٤) الخريدة: البكر.

وَذَاتُ هَذَا عَارِ نَوَاشِرُهَا      تَضَمَّتْ بِالمَاءِ تَوَلَّيَا جَدِعا  
تأويل ما في هذه القصيدة مما ليس بواضح إلا بعد نظر:  
قوله:

أيتها النفس اجمللي جزعا      إن الذي تحذرين قد وقعا  
تقول العرب: «الْحَذَرُ أَشَدُّ مِنَ الْوَقِيعَةِ». وإنما حَقُّ الشيء المتخوَّف أن  
يكون صاحبه مُرتاعاً حَذَرَ وقوعه، فإذا وقع البأس ارتفع ذلك الحذرُ.  
ومن ذلك ما يتدارسه الصالحون: إذا استأثر الله عزَّ وجل بشيء فآله  
عنه.

ويُحكى عن بعض الأعاجم من مُلوِكهم أنه مات له ابنٌ فلم يجرع عليه،  
وأقبل على شأنه، فسُئِلَ عن ذلك فقال: إنما الروعة قبلَ وقوع المَخُوفِ، فإذا  
وقع فعلى اللبيب ألا يُنسبَ إلى الوقوف متفكراً في إثْرِ ما لا يُدْرِكُ، ولكن ليزجر  
النفسَ عن خطائِها، ويعمل الشغل فيما يُجدي عليه.  
وقوله:

الألمعي الذي يظنُّ لك الظنَّ      نَ كَأَن قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا  
الألمعي: الحديدُ القلب الذي يوقعُ الشيءَ موقعه. وهذا مثَلٌ لا نعلمه  
لأحدٍ قبله. وكان مولانا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوله  
بأوضح من هذا. كان يقول: لا يَعِيشُ بِعِلْمٍ أَحَدٌ حَتَّى يَعِيشَ بِظَنِّهِ، وقال  
الزُّبَيْرُ بن العَوَّام: لا عَاشَ بِخَيْرٍ مَنْ لَمْ يَرِهِ ظَنُّهُ ما لَمْ تُرِهِ عَيْنُهُ. وقال عمرو بن  
العاص: ظَنُّ الرَّجُلِ قِطْعَةٌ مِنْ عِلْمِهِ، وَلِسَانُهُ قِطْعَةٌ مِنْ عَقْلِهِ.

وقوله: «المُخْلِيفُ المَتْلِفُ» قد جَمَعَ فيه ما يغني عن التفسير والتزويد إذ  
يقول: يُتْلَفُ جوداً وكرماً، ويُخْلَفُ نَجْدَةً واكتساباً.

وقوله: «لَمْ يُتَمَتَّعْ بِضَعْفٍ» أي لم يُقَرَّنْ به. تقول: أمتَعَ الله بفلانٍ أي أبقاه  
الله حتى يتمتع به أحباؤه. وكما قال جرير لعبد العزيز بن الوليد:

[الوافر]

إذا جَدَّ الرَّحِيلُ بِنَا فَرُخْنَا      فَأَحْسَنَ ذُو الْجَلَالِ بِكَ المَتَاعَا  
وقوله: «ولم يمتَّ طَبَعاً» يقال: طَبَعَ يَطْبَعُ طَبَعاً إذا غلبَ عليه الحرصُ حتى  
يُغْطِي على قلبه. ويقال: طَبِيعُ السيفِ إذا ركبهُ الصدأ حتى يغطي على صميمِ

الحديدة. وقوله: «والحافظُ الناسَ في تحوط» يقال للسنّة الجديّة: «تَحُوط» و «قَحُوط» بالتاء والقاف جميعاً. وقوله: «إذا لم يُرسلوا خلف عائذٍ رُبعا» العائذ: التي معها ولدها، فإذا كانت السنّة الجديّة نحروا الفصالَ لثلاث تضرّ بالأمهات. وقوله: «وعزّت الشمالُ الرياحَ» يقول: غلبت الرياحَ وتلك علامةُ الجذبِ والقحطِ، لأن الجنوبَ هي التي تأتي بالندى والمطرَ. ويقال عز فلانٌ فلاناً إذا قهره. وقول الله جل ثناؤه: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾<sup>(١)</sup> أي كان أعزّ مني في المخاطبة. وقولهم في المثل: «مَنْ عَزَّ بَزَّ» أي من غلبَ كان استلب. و «الكميع»: الضجيع. يقال: كَامَعَهَا. يقال: أَضْحَى كَمِيعُهَا ملتفعاً. والمُلتفع: المُلْتَحِف. فهو منقبضٌ عنها مشغولٌ بما يلاقي من القرّ. وقوله: «وكانت الكاعبُ الممنعةُ الحسناءُ» الكاعب: التي كَعَبَ ثدياها. قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَكَوَّعِبَ أَتْرَابًا﴾<sup>(٢)</sup> والمُمنّعة: المحفوظة المخبأة، كانت كالسبعِ في زادِ أهلها، وإنما من شأنها أن تُتَرَفَّ وتُنْعَم إذا كانت في هذه الصفة.

وقوله: «وَشَبَّهَ الْهَيْدَبُ الْعِبَامُ» فالهيدبُ: المسترخي، والعبامُ: الثقل الذي لا يكاد ينبعثُ، فشبهه في انقباضه بالسَّقْب، وهو ولدُ الناقةِ إذا كان ذكراً، وإن كان أنثى فحائلٌ. «مُلَبَّسًا فَرَعًا» أي قد جُعِلَ عليه جلدُ الفَرَع، وهو فصيلٌ كانوا يتقربون به في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ: «لا فَرَع» فأبطله الإسلام.

وقوله: «وذات هِذَم» فا (لأهدام) خُلِقَانُ الثياب، فَيَصِفُ الْفَقِيرَةَ وَأَنَّهُ كَانَ لَهَا مَلَجًا. وقوله: «عَارٍ نَوَاشِرُهَا»: من الضُرِّ والجوع والبؤس. والنواشرُ: عروقُ الذراع، كما قال زهير:

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقَمَتَيْنِ كَأَنَّهَا رَوَاجِعُ وَشَمٍ فِي نَوَاشِرٍ مِغْصَمٍ  
وقوله «تُضْمِتُ بِالماءِ» أي تَسْكُنُ طفلُهَا بالماء، وتسكنه إذ لم يكن له ثَقْلٌ. و «الجَدِغُ»: السيءُ الغذاء، وكذلك الْجَحْنُ وَالْقَتِينُ. ومما قال فيه مما اخترناه:

أَلَمْ تُكْسَفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ وَالْ	كَوَاكِبُ لِلْجَبَلِ الْوَاجِبِ
لِفَقْدِ فُضَالَةٍ لَا تَسْتَوِي أَلْ	فُقُودُ وَلَا خَلَّةُ الذَّاهِبِ
أَلْهَفًا عَلَى حُسْنِ أَخْلَاقِهِ	عَلَى الْجَابِرِ الْعَظَمِ وَالْحَارِبِ

(١) سورة ص: الآية ٢٣.

(٢) سورة النبأ: الآية ٣٣.

عَلَى الْأَزْوَعِ السَّقْبِ لَوْ أَنَّهُ  
لَأَضْبَحَ رُثْمًا دَقَاقَ الْحَصَى  
وَرَفَبْتِهِ حَثَمَاتِ الْمُملُو  
وَيَكْفِي الْمَقَالَةَ أَهْلَ الرِّحَا  
وَيَخْبُو الْخَلِيلَ بِخَيْرِ الْجَبَا  
بِرَأْسِ النَّجِيبَةِ وَالْعَبْدِ وَالْ  
وَبِالْأَذْمِ تُخْدَى عَلَيْهَا الرُّجَا  
فَمَنْ يَكُ ذَا نَائِلٍ يَسْعَ مِنْ  
هُوَ الْوَاهِبُ الْعِلْقَ عَيْنَ التَّفِيدِ  
نَجِيحُ مَلِيحُ أَخُو مَأْقِطِ  
فَأَبْرَحْتَ فِي كُلِّ خَيْرٍ فَمَا

يَقُومُ عَلَى ذُرْوَةِ الصَّاقِبِ  
كَمَثْنِ الثَّبِيِّ مِنَ الْكَائِبِ  
لِكَ بَيْنَ السُّرَادِقِ وَالْحَاجِبِ  
لِ غَيْرِ مَعِيبٍ وَلَا عَائِبِ  
ءِ غَيْرِ مُكِبٍّ وَلَا قَاطِبِ  
وَلَيْدَةٍ كَالْجَوْدِرِ الْكَاعِبِ  
لُ وَبِالشُّوْلِ فِي الْفَلْقِ الْعَاشِبِ  
فَضَالَّةً فِي أَثَرِ لَاحِبِ  
س وَالْمُتَعَلِّي عَلَى الْوَاهِبِ  
نِقَابٌ يُخْبِرُ بِالْغَائِبِ  
يُعَاشِرُ سَغِيكَ مِنْ طَالِبِ

وهذه القصيدة أمليناها بأسرها لأنها جمعت تقدّم كل بيت منها وكثرة المعاني والاختصار .

قوله : «لِلْجَبَلِ الْوَاجِبِ» فالواجب : الساقط ، يقال للبعير إذا بَرَكَ فَسَمِعَ صَوْتُ كَرْكَرَتِهِ<sup>(١)</sup> . (وَجَبَ) ، وكذلك كل ساقط . قال أبو عبيدة : وأظن قولهم في الشيء : وَجَبَ أي وقع . وقوله «لِفَقْدِ فَضَالَةٍ» ثم قال : الْأَزْوَعِ السَّقْبِ ، يعني فضالة . وهذا كقولك : إني لأثني على زيد ، ثم تقول : على الشريف الكريم ، وأنت تعنيه . و «السَّقْبِ» : الطويل . وله مواضع هذا أحدها . و «الْخَلَّةُ» : الْخَلْلُ الذي قد تركه ، وكان مسدوداً به . وأصل الْخَلَّةُ : الثُّلْمَةُ . يقال : فلان به خَلَّةٌ أي ليس أمره مستوياً ، وفلان مُخْتَلَّ الجسم كذلك .

وقوله «لا تستوي الْفُقُودُ» ، أي الْمَصَائِبُ لاختلاف أوزان أهلها . فمن ذلك مَنْ يوجد منه الْعِوضُ ، ومنهم من يَعْسُرُ وجودُ مثله . وأقول أنا : كمن أنشأنا هذا الْكِتَابَ من أجله ، يَنْعُدُ في الوهم إدراكَ نظيره ومُدَانِيهِ ، فضلاً عن مُسَاوِيهِ .

و «الصَّاقِبِ» - الذي ذكر - : جَبَلٌ معروفٌ بعينه . يقول : فلو تحاملَ عليه . وليس «يقوم» من القيام على القدم ، من قولك : «فلانُ يقومُ بأمرِ أهله» ، «ويقومُ بهذا الأمر» أي يدافع عنه . فيقول : لو دافع الْجَبَلُ الْعَظِيمُ متحاملاً عليه لأصبح

(١) الْكَرْكِرَةُ : رَحَى زور البعير والناقة وهي إحدى الثفنيات الخمس وقيل هو الصدر من كل ذي خف .

الجبَلُ رَثْماً كظهر النبي - وهو رمل بعينه - من الكائب، أي كمكان هذا من هذا .  
ومثله أبو عبيدة فقال: كقولك كظهر المربد من البصرة، و «المرتوم» المحطوم  
المدقوق. يقال: رَثَمَ أَنْفَهُ أي دَقَّه.

وقوله «دقاق الحصى» أي دقيق، مثل قولك: رجل طَوَالٌ وطَوِيلٌ وجُسَامٌ  
وجَسِيمٌ وخَفَافٌ وخَفِيفٌ.

وقوله «ورقبته حَتَمَاتِ الملوك» يقول: إذا أَحْتَمَ على الملوك أمراً أو في أمر  
يخافه، أطاعه الملك وأجابه. ويقول بعضهم: هي الحُتْمَةُ، وينشده حُتَمَاتٌ مثل  
ظُلْمَةٍ وظُلُمَاتٍ. وذكر قرب مكانه من الملوك فقال: بين السُّرادق والحاجبِ .  
وقوله «ويَكْفِي المقالة أهل الرحال» يقول: إذا حضر اسْتُغْنِيَ به عن غيره لبيانه  
وصوابه، فقد كَفَى مَنْ وراءه غير معيب عندهم ولا عائب لهم. وهذه الأبيات إذا  
اعتُبرت فأكثرها يشتمل البيت منه على معانٍ. وقوله:

وَيَخْبُو الْخَلِيلَ بِخَيْرِ الْحَبَا      غَيْرَ مُكِبٍّ وَلَا قَاطِبٍ  
أي يُتَبَعُ ما يفعله بأجملِ البشر ولا يُكَبُّ مُفَكِّراً يندم على ما فعل، ولا طالباً  
حيلة يدفع بها السائل، كما قال القائل:

لَا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ      لِيَتَطَلَّبَ الْعِلَاتِ بِالْعِيدَانِ  
وقوله «وبالشَّوْلُ في الفَلَقِ العاشِب» يقول: يُعْطِيهَا في أحسن حالاتها.  
والفَلَقُ: المَطْمَئِنُّ من الأرض، وهو موضعُ الكَلَأِ لاستقرار الماء به. وكانت  
العرب تقول للرجل إذا حَسُنَتْ إِبْلُهُ وَسَمِنَتْ: أَخَذَتْ إِبْلَهُ رِمَاحَهَا، وَأَخَذَتْ إِبْلَهُ  
سِلَاحَهَا. واستنجدت عليه أي مَنَعَتْهُ أَنْفُسَهَا من أن توهب أو تُنَحَرَ ضَنْناً بِهَا، كقول  
القائل:

[الخفيف]

لَا أَخُونُ الصَّدِيقَ مَا حَفِظَ الْعَهْدَ      دَ وَلَا تَأْخُذُ السُّلَاحَ لِقَاحِي  
وقال رسولُ الله ﷺ: «هَلَكَ الْفَدَّادُونَ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهَا فِي نَجْدَتِهَا  
وَرَسَلَهَا»<sup>(١)</sup>، أي من أعطاه بسهولة ومع امتناعها لحسنها. وهو وقت نجدتها  
عليه.

(١) نجدتها ورسَلها: عسرَها ويسرَها.

وقال ﷺ لقيس بن عاصم<sup>(١)</sup>: «نعم المَالُ الأربعون، والكُثْرُ الستون، وهلك أصحاب المئين إلا من نحرَ سمينها وأفقرَ ظهرها، وَمَنَحَ غزيرتها، وَأَطْرَقَ فحلها، وأعطاهَا في نَجْدِتها وَرَسُولِهَا».

وقالت ليلي الأُخَيْلِيَّةُ :

[الطويل]

وَلَا تَأْخُذْ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا      لِسَوْبَةٍ فِي صِرَ الشَّتَاءِ الصَّنَابِرِ  
الْفِدَادُونَ: أصحاب الإبل الكثيرة.

وقوله «نَجِيحٌ مَلِيحٌ أَخُو مَاقِطٍ» يقول: هو في السِّلَمِ سَهْلٌ مُبْتَدِلٌ حُلُوٌّ مقبول، ولا يمنعه ذلك من أن يكون جَلْدًا في الحرب. وَالْمَاقِطُ: موضع مُجْتَلَدِ القوم. وهو مع هذا فَطْنٌ طَبْنٌ، مُنْقَبٌ طَوَافٌ ببدنه وفكره، يَظُنُّ فَيُصِيبُ. فذلك قوله «يُخْبِرُ بِالْغَائِبِ».

وقوله «نُقَابٌ» أي مُنْقَبٌ في الأمور، كما قال الله جلَّ وعز: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ، هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال امرؤ القيس:

[الوافر]

وَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى      رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ  
ومن هذا قِيلَ للطَّرَقَاتِ فِي الْجَبَلِ: الثُّقُوبُ وَالتُّقَابُ، واحداها ثَقْبٌ. وقال ابن الأَئِمِّهِمُ التَّغْلِبِيُّ<sup>(٣)</sup> يَصِفُ خَيْلًا:

[الخفيف]

وَتَرَاهُنَّ شُرْبًا كَالسَّعَالِي      يَتَطَلَّغْنَ مِنْ ثُغُورِ الثُّقَابِ  
وقال أيضاً يرثيه:

[الكامل]

أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ لِحْيٍ مُفْرَدٍ      صَقِعَ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي شَوَالٍ؟  
وَإِذَا ذَكَرْتُ أَبَا ذُلَيْجَةَ أَسْبَلْتُ      عَيْنِي قَبْلُ وَكَيْفُهَا سِرْبَالِي

(١) قيس بن عاصم بن سنان المنقري «أبو علي» أحد أمراء العرب وعقلائهم شاعر وفارس شجاع وفد على النبي ﷺ في وفد تميم قال في النبي ﷺ هذا سيد أهل الوبر واستعمله على صدقات قومه توفي نحو ٢٠ هـ (الأعلام: ج ٥، ص ٢٠٦).

(٢) سورة ق: الآية ٣٦.

(٣) ابن الأَئِمِّهِمُ التَّغْلِبِيُّ: اسمه عمير شاعر إسلامي كان نصرانياً قبل للأخطل وهو يموت: من تخلف على قومك؟ قال: عمير بن الأيهم. (الأمالي لأبي علي إسماعيل القالي: ج ١، ص ٤٥).

وَمَعْصَبِينَ عَلَى نَوَاجٍ سُدَّتْهُمْ  
وَقَوَارِصٍ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ تُثْقَى  
لَا زَالَ رِيحَانٌ وَقَفُوْ نَاضِرٌ  
فَلَنِعْمَ وَقَدْ الْحَيُّ يَنْتَظِرُونَهُ  
وَلَنِعْمَ مَا أَوَى الْمُسْتَضِيفُ إِذَا دَعَا  
وَالْخَيْلُ خَارِجَةٌ مِنَ الْقُسْطَالِ

قوله «مَعْصَبِينَ» يعني ملوكاً قد غَضَبُوا بالتيجان. و «النواجي»: الخيل السَّراع. وقوله «صَقَّعَ من الأعداء في شوال»، الصَّقْع: المَتَحِيرُ الذي لا يدري أين يتوجه. يقال: صَقَّعَ وَصَعَقَ، وبنو تميم تقول: صِيعَ، هي لغتهم. فكأنه الذي أصابته الصاعقة فتحير لتوقع الغارة كما يتحير المتوقع الصاعقة. وقال «في شوال» لأنه شهرُ حِلٍّ، ففيه يُغَيَّرُ الناس بعضهم على بعض. فإن قال قائل: أفليس شهرُ الحِلِّ ثمانية، فما باله خَصَّ هذا؟ فالجواب في ذلك أنه إذا ذَكَرَ الشَّيْءُ غَيْرُ المقصود دخل ما كان نظيره في حُكْمِهِ. قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. ولم يقل على ظهورهم ولم يذكر الارتفاق لأنه يُعْلَمُ أن الأمر في ذلك واحد. وكذلك قوله جل وعز: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>. ولم يذكر البرد. وقوله:

وَقَوَارِصٍ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ تُثْقَى دَاوَيْتَهَا وَسَمَلَتْهَا بِسِمَالِ

يقال: سَمَلَ بين العشيرة إذا أصلح، وإنما أراد به السيد الذي يَأْتَمرون بأمره. و «الْفَغُو»: نَوْرُ الحَنَاءِ، يقال له الْفَغُو والفاغية. وهو من أَطْيَبِ الرِّيحَانِ رائحةً. قال أبو عبيدة: قوله «يجري عليك بمسبل هطال» قال: يعني: مع مسبل، أي مع غيث مسبل. قال: فالباء تقوم مقام «مع» يافتى، قال أبو العباس: والذي قال صواب وتفسيره أقرب مما قال. وتأويل هذا عند النحويين أن الباء للإلصاق، و «مع» للمقاربة، فهما يلتقيان في هذا الموضع. تقول: مررت بزيد، فالباء ألصقتُ مُروري به. وكذلك: كتبتُ بالقلم أو ضربتُ بالسيف. فهذا حقيقة معناه. وقوله «وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدُّزَعِ وَالسُّرْبَالِ» أي نعم الشيء في الأمن والفرج. و «المستضيف»: المَلَجَأُ، يافتى. يقال: أَرَهَقَ فلان فدعا لمضوفة، كما قال الشاعر:

[الطويل]

(٢) سورة النحل: الآية ٨١.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوقَةٍ أَشْمُرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِثْرِي  
ويقال «قَسَطَلٌ وَقَسْطَالٌ» لما يثور من الغبار.  
وقال أيضاً يرثي فضالة قصيدة أولها:

[البسيط]

عَيْنِي لَا بُدَّ مِنْ سَكْبٍ وَتَهْمَالٍ

اخترنا منها أبياتاً نادرة كما شرطنا في أول الكتاب. من ذلك قوله:

جُمًّا عَلَيْهِ بِمَاءِ الشَّانِ وَاخْتِفَالًا	ليس الفُقُودُ ولا الهَلَكِي بِأُمَثَالِ
أَمَّا حَصَانٌ فَلَمْ تُحْجَبْ بِكَلَّتِهَا	قَدْ طُفْتُ فِي كُلِّ هَذَا النَّاسِ أَحْوَالِي
عَلَى امْرِئٍ سُوْقَةٍ مِمَّنْ سَمِعْتُ بِهِ	أُنْدَى وَأَكْمَلَ مِنْهُ أَيَّ إِكْمَالِ
أَوْهَبَ مِنْهُ لِذِي أَثَرٍ وَسَابِغَةٍ	وَقَيْنَةٍ عِنْدَ شَرْبِ ذَاتِ أَشْكَالِ
وَخَارِجِي يَزُمُ الْأَلْفَ مُغْتَرِضًا	وَهَوْنَةٍ ذَاتِ شُمْرَاخٍ وَأَحْجَالِ <sup>(١)</sup>
أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ يُوصَى بِأَزْمَلَةٍ	أَمْ مَنْ لَأَشْعَثَ ذِي طُمُرَيْنِ طُمْلَالِ <sup>(٢)</sup>
أَمْ مَنْ يَكُونُ خَطِيبَ الْقَوْمِ إِذْ حَقَلُوا	لَدَى مُلُوكٍ أُولِي كَيْدٍ وَأَقْوَالِ
أَمْ مَنْ لِقَوْمٍ أَضَاعُوا بَعْضَ أَمْرِهِمْ	بَيْنَ الْقُسُوطِ وَيَبْنِ الدِّينِ أَزْوَالِ <sup>(٣)</sup>
خَافُوا الْأَصِيلَةَ وَاعْتَلَتْ مُلُوكُهُمْ	وَحُمِّلُوا مِنْ أَدَى غُرْمٍ بِأَثْقَالِ
أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ يَكْفِي الْعَشِيرَةَ إِذْ	أُمْسُوا مِنَ الْأَمْرِ فِي لَبْسٍ وَبَلْبَالِ
أَمْ مَنْ لِأَهْلِ لُويٍّ فِي مُسَكَّعَةٍ	فِي أَمْرِهِمْ خَالَطُوا حَقًّا بِإِطْطَالِ <sup>(٤)</sup>
أَمْ مَنْ لِعَادِيَةِ تُزْدِي مُلْمَلَمَةٍ	كَأَنَّهَا عَارِضٌ مِنْ هَضْبٍ أَوْعَالِ <sup>(٥)</sup>
وَمَا خَلِيجٌ مِنَ الْمَرْوَةِ ذُو حَذَبِ	يَزْمِي الضَّرِيرَ بِخُشْبِ الطَّلَحِ وَالضَّالِ
يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ	وَلَا مُغِبٌ يَتَرَجُّ بَيْنَ أَشْبَالِ <sup>(٦)</sup>
لَيْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَرْدِيِّ هَبْرِيَّةٌ	كَالْمَرْزُبَانِيِّ عِيَالِ <sup>(٧)</sup>
يَوْمًا بِأَجْرًا مِنْهُ حَدٌّ بِادِرَةٍ	عَلَى كَمِي بِمَهُوَ الْحَدِّ قَصَالِ <sup>(٨)</sup>

(١) الهَوْنَةُ: الفرس المطواعة والأحجال: جمع حجل: بياض في قائمة الفرس.

(٢) طُمْلَالٌ: القبيح التقشف أو العاري من الثياب.

(٣) القسوط: الجور والعدول عن الحق. أزوال: جمع زول الشجاع.

(٤) مُسَكَّعَةٌ: مضللة لا يهتدي فيها.

(٥) مُلْمَلَمَةٌ: مجموع بعضه إلى بعض.

(٦) الْمُغِبُّ: الأسد. وتَرَجُّ: مأسدة.

(٧) عِيَالٌ: متبخر.

(٨) المهور: السيف الرقيق. وقصال: قاطع.



لَا زَالَ مِنْكَ وَرَيْحَانٌ لَهُ أَرْجُ عَلَى صَدَاكَ بِصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالٍ  
يَسْقِي صَدَاكَ وَمُمْسَاهُ وَمُضْبِحُهُ رِفْهًا وَرَمْسُكَ مَحْفُوفٌ بِأَظْلَالٍ  
وَرَثْتَنِي وَذَاقُوا أَمَامَ وَخُلَّتْهُمْ وَذُكْرَةٌ مِنْكَ تَغْشَانِي بِإِجْلَالٍ  
فَلَنْ يَزَالَ ثَنَائِي غَيْرَ مَا كَذِبٍ قَوْلَ أَمْرِيءٍ غَيْرَ نَاسِيهِ وَلَا سَالٍ  
لَعَمْرُ مَا قَدَرِ أَجْدَى بِمَضْرَعِهِ لَقَدْ أَخْلَ بِعَرْشِي أَيَّ إِخْلَالٍ  
قَدْ كَانَتْ النَّفْسُ لَوْ سَامُوا الْفِدَاءَ بِهَا إِلَيْكَ مُسْمِحَةً بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ

هذا آخر الشعر. قال أبو العباس: قوله: «لِذِي أَثَرٍ» يعني سيفاً له فِرْنْدٌ وهو  
الرونق. : «يَزُمُّ الْأَلْفَ» أي يتقدمها كأنه يقودها، يعني فرساً. و «الخارجي» :  
الذي يَخْرُجُ بِنَفْسِهِ. أنشدني الرياشي لأعرابي يمدح عبد الله بن جعفر الهاشمي :

[الوافر]

أَبَا الْعَبَّاسِ، لَسْتُ بِخَارِجِي وَمَا إِنْ بَخَرُ جُودِكَ بِأَنْتِحَالِ  
وقوله: «ذَاتُ شَمْرَاخٍ» فإنما يعني فرساً ذات عُرَّة. و «الشمرَاخ» من الغرر:  
السائلة في الوجه إذا دقت وطالت.

وقوله «لَأَشَعَثَ ذِي طَمْرَيْنٍ» إنما يريد أنه يجبر الفقير. و «الأطلس» :  
الأعبر، ومن ثم قيل للذئب: أطلس. وإنما نسب الفقير إلى الطُلُوسَةِ لسوء حاله  
ودناءة لبسته.

و «الأقوال» : الملوك، واحدهم قيل، وأصله قَيْلٌ فخفضوه كما قالوا في  
الْمَيِّتِ: مَيِّتٌ، وفي الهَيِّنِ والليِّن: هَيِّنٌ وَلَيِّنٌ. وقالوا في الْجَمْعِ: أَقْوَالٌ كما قالوا  
في الميت: أموات، ويقولون: هو من مَقَاوِلَةٍ كِنْدَةٍ.

و «القُسُوطُ» : العصيان. يُقَالُ: قَسَطَ يَقْسِطُ إِذَا جَارَ وَخَالَفَ. قال الله عز  
وجل: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾<sup>(١)</sup>. ويقال: أقسط يقسط إذا عدل،  
والله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. وقوله «بين القُسُوطِ وبين الدين» . يقول: هم بين الطاعة  
وبين المعصية. و «الأزْوَالُ» هم الْمُتَصَرِّفُونَ. يقال: رَجُلٌ زَوَلٌ وَقَوْمٌ أَرْوَالٌ.  
وأنشدني التُّوزِّي:

[الرجز]

وَقَدْ أَثْوَدَ بِالسُّكْرَامِ الْأَرْوَالَ مُعَدِّيَا لِذَاتِ لَوْثٍ شِمْلَالٍ

(١) سورة الجن: الآية ١٥.

وقوله «وَأَعْتَلْتُ مَلُوكَهُمْ» أي لم يعطوهم شيئاً. فذلك قوله «خَافُوا الْأَصِيلَةَ وَأَعْتَلْتُ مَلُوكَهُمْ» أي خافوا أن يستأصلوا. وقوله: «وَحُمِّلُوا» أي لزمتهم حمالات وَغُرْمٌ، فهو كان يُصلح هذا كله بالتَّجْدَةِ والغُرْمِ.

وقوله: «وَذَاتِ أَوْعَالٍ» هي هَضْبَةٌ معروفة بِعَيْنِهَا و «المَرُوت»: أرض بعينها فيها نبات ومسائل، وهي من أرض العالية<sup>(١)</sup>.

وقوله «يَرْمِي الضَّرِيرَ بِخُشْبِ الطَّلَحِ والضَّالِّ»، الضَّرِير: الوادي، وهو ناحيته. وقوله: «كالمَرْزَبَانِي» يريد كسرى، وإنما يعني هاهنا الأسد، فيقول هو منفرد بِغَيْضَتِهِ تهابه الأسد أن تَنْزِلَ مَعَهُ كما قال أبو زُبَيْد:

[البسيط]

أَفَرَّ عَنْهُ بَنِي الْخَالَاتِ جُرْأَتُهُ لَا الصَّيْدُ يَمْنَعُ مِنْهُ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ  
وقوله: «رِفْهًا» يقول: دائماً، في كل يوم يسقي صداه. وقوله: «حَمَلْتَنِي وَدَّ أَقْوَامٌ» يعني أهل بيت فضالة.

---

(١) أرض العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمایرها إلى تهامة فهي العالية ودون ذلك السافلة (معجم البلدان: ج ٤، ص ٧١).

## وهذا باب من التعازي والمواظ

ثم نعود إن شاء الله إلى الشعر وَنَصِلُهُ بمثل هذا والقوة لله جلّ ذكره .

يُرَوَّى عن جعفر بن محمد<sup>(١)</sup> أنه قال: مات أخ لبعض ملوك اليمن فعزاه بعض العرب فقال في تعزيتة: اعلم أنّ الخلق للخالق. والشكر للمنعم، والتسليم للقادر، ولا بدّ مما هو كائن، ولا سبيل إلى رجوع ما قد فات. وقد أقام معك ما سيذهب عنك أو ستتركه، فما الجزع مما لا بدّ منه، وما الطمع فيما لا يُرجى؟ وما الحيلة فيما سيُنقل عنك أو تنتقل عنه؟ قد مضت لنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفرع بعد أصله. وأحقّ الأشياء عند المصائب الصبر. وأهل هذه الدنيا سَفَرٌ لا يحطّون الرّكاب إلّا في غيرها. فما أحسن الشكر عند النعم، والتسليم عند الغير. فأغترّب بمن قد رأيت من أهل الجزع، هل ردّ أحد منهم إلى شيء من درك. واعلم أنّ أعظم من المصيبة سوء الخلف منها. وإنما ابتلاك المنعم وأخذ منك المعطي. وما ترك أكثر. فإنّ نسيت الصبر فلا تغفل عن الشكر، وكلاً فلا تدع. وما أصغر المصيبة اليوم مع عظم المصيبة في غد، فاستقبل المصيبة بالحسنة تستخلف بها نعمة فإنما نحن في الدنيا أغراض تتّصل فيها المنايا، ونهب المصائب، مع كل جرعة شرق وفي كل أكلة غصص. لا تُنال نعمة إلّا بفراق أخرى ولا يستقبل مُعمّر يوماً من عمره إلّا بهدم آخر من أجله، ولا تحدث له زيادة في أكلة إلّا بنفاد ما قبلها من رزق، ولا يخيا له أثر إلّا مات له أثر. فنحن أعوان الحتوف على أنفسنا، وأنفسنا تسوقنا إلى الفناء، فمن أين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار لا يرفعان من شيء شرفاً إلّا أسرعاً في هدم ما رفعاً وتفريق ما جمعاً

(١) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي «أبو عبد الله» الملقب بالصادق سادس الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية من أجلاء التابعين أخذ عنه أبو حنيفة ومالك له أخبار مع الخلفاء العباسيين كان جريئاً صداداً بالحق له رسائل في كتاب يقال إن جابر بن حيان جمعها مولده ووفاته في المدينة (٨٠ - ١٤٨ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٢٦).

فَاطْلُبِ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرًا مِنَ الْخَيْرِ مُعْطِيهِ، وَشَرًّا مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ.  
وَالسَّلَامُ.

قال أبو العباس: وعن جُوَيْرِيَةَ بنِ أَسْمَاء<sup>(١)</sup> عن عمه أَنَّ إِخْوَةَ ثَلَاثَةِ شَهْدُوا  
يَوْمَ «تُسْتَر»<sup>(٢)</sup>، فَاسْتَشْهَدُوا، فَخَرَجَتْ أَمَّهُمْ إِلَى السُّوقِ يَوْمًا لِبَعْضِ شَأْنِهَا، فَتَلَقَّاهَا  
رَجُلٌ قَدْ حَضَرَ أَمْرَهُمْ فَعَرَفْتُهُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ بَنِيهَا. فَقَالَ: اسْتَشْهَدُوا. فَقَالَتْ: أَمَقْبَلِينَ  
أَمْ مُذْبِرِينَ؟ فَقَالَ: بَلْ مُقْبَلِينَ. فَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَالُوا الْفَوْزَ وَحَاطُوا الذَّمَّارَ،  
بِنَفْسِي هُمْ وَأُمِّي وَأَبِي.

وقال خالد بن عطية قال عمر عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك: الحمد  
لله الذي جعل الموت حتمًا واجبًا على خَلْقِهِ، ثُمَّ سَوَّى فِيهِ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: ﴿كُلُّ  
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾<sup>(٣)</sup>. فَلْيَعْلَمْ ذَوُو النُّهْيِ أَنَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى قُبُورِهِمْ، مُفْرَدُونَ  
بِأَعْمَالِهِمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ عِنْدَ اللَّهِ مَسْأَلَةً فَاحِصَةً فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ  
أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه: اسْتَشْهَدَ ابْنُ لَأْبِي أُمَامَةَ  
الْحَمَصِيِّ فَكُتِبَ عَمْرُؤُ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى آلَائِهِ وَقَضَائِهِ وَحَسَنِ بَلَائِهِ.  
قَدْ بَلَغَنِي الَّذِي سَاقَ اللَّهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ مِنَ الشَّهَادَةِ. فَقَدْ عَاشَ بِحَمْدِ  
اللَّهِ مَأْمُونًا، وَأَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ شَهِيدًا، وَقَدْ وَصَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ».

وقال يزيد بن عمر الكلابي: قال رجل لعمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه  
عبد الملك:

[الطويل]

تَعَزَّزَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلِئْلِهِ      لِمَا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ وَيُولَدُ  
هَلْ ابْنُكَ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ      لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْمَنِيَّةِ مَوْرِدُ  
وقال أبو البيداء الأسدي عن شيخ من أهل الحَرَّة<sup>(٥)</sup>، أَنَّ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ

(١) جُوَيْرِيَةُ بنِ أَسْمَاء بن عبيد الضبعي البصري: كان ثقة عالمًا بالحديث (-/١٧٣ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٤٨).

(٢) تُسْتَر: أعظم مدينة في خوزستان اليوم وهو تعريب شوشتر (معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٩٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٥ وسورة الأنبياء: الآية ٣٥ وسورة العنكبوت: الآية ٥٧.

(٤) سورة الحجر: الآية ٩٢.

(٥) الحَرَّة: إحدى حرّتي المدينة «الشرقية حرة واقم» (معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٤٩).

العزیز خطب الناس بعد وفاة ابنه عبد الملك، ونهى عن البكاء عليه، وقال: إن الله جلّ ذكره لم يجعل لمسيءٍ ولا لمُحْسِنٍ خلوداً في الدنيا، ولم يَرْضَ بما أعجَبَ أهلها ثواباً لأهل طاعته، ولا ببلائها عقوبةً لأهل معصيته، فكلُّ ما فيها من محبوب متروكٌ، وكلُّ ما فيها من مكروه مُضْمَحَلٌّ. كَتَبَ على أهلها الفناء، وأخبر أنه يرث الأرض ومن عليها. فَاتَّقُوا اللهَ، واعملوا ليومٍ ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾<sup>(١)</sup>.

ودخل عمرُ بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك - وكان موته بالطاعون، وكانوا يقولون: إذا مُسَّ الطاعون، وهو قرحة، فَوُجِدَ لَيْنًا طُمَعَ لصاحبه في البُزءِ منه، وإن كان خشناً يُثَسَّ من صاحبه، فدخل عمر على ابنه فقال: دعني أَمَسَّ قرحتك، ففكرة عبد الملك أن يَمَسَّها أبوه فَيَجْزَعُ، وكانت خشنة، فقال: أَوْ تُغْفِنِي يا أمير المؤمنين؟ فعلم عمرُ لِمَ مَنَعَهُ، فقال: وَلِمَ يا بني؟ فوالله لأنَّ أقدَمَكَ فأجَدَكَ في ميزاني أحبُّ إليَّ من أنْ تُقدِّمَنِي فتجدَنِي في ميزانك. فقال: وأنا والله يا أمير المؤمنين لأنَّ يكونَ ما تحبُّ أحبُّ إليَّ من أنْ يكونَ ما أُحِبُّ. فلمسها فقال: يا عبد الملك، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وروى عبد الله بن مسلم<sup>(٤)</sup> وغيره أنَّ خَنَسَاءَ دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدائرٌ من شَعَرٍ، فقالت لها: يا خنساء، اتَّخَذِينَ الصَّدَارَ وقد نهى رسول الله ﷺ عنه؟ فقالت: يا أم المؤمنين، إن زوجي كان رجلاً مثلاً فأملقنا فقال: لو أتيت معاوية فاستعنته؟! فلقيني صخرٌ أخي فقال: أين تريدين؟ فأخبرته، فشاطرني ماله فأتلفه زوجي، ففعل ذلك ثلاث مرات، فقالت امرأته: لو أعطيتها من شرارها، تعني الإبل، فسمعتة يقول:

[مشطور الرجز]

وَالله لَا أَمْنُهَا شَرَّارَهَا      وَلَوْ هَلَكْتُ عَطَلْتُ خِمَارَهَا  
وَاتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا

(١) سورة لقمان: الآية ٣٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٠.

(٣) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

(٤) أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء المصري، فقيه من أصحاب مالك جمع بين الفقه والحديث والعبادة توفي بمصر (١٢٥ - ١٦٧ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ١٤٤).

فلما هلك اتخذت هذا الصدار، ونذرت لا أضعه حتى أموت.

وقال أبو محمود: قالت الخنساء: كنت أبكي صخوراً على ما فاته من الحياة، فأنا اليوم أبكي له من النار.

ويروى أن عائشة رضي الله عنها أنشدتها الخنساء بعض أشعارها في صخر، أحسبه قولها:

[الوافر]

أَلَا يَا صَخْرُ إِنِّ أَبْكَيْتَ عَيْنِي      لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَهْرًا طَوِيلًا  
بَكَيْتُكَ فِي نِسَاءٍ مُغُولَاتٍ      وَكُنْتُ أَحَقُّ مَنْ أَبْدَى الْعَوِيلَا  
دَفَعْتُ بِكَ الْخُطُوبَ وَأَنْتَ حَيٌّ      فَمَنْ ذَا يَذْفَعُ الْخُطْبَ الْجَلِيلَا؟  
إِذَا قُبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ      رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا

فقالت لها عائشة: أتبكين صخوراً وإنما هو جَمْرَةٌ في النار؟ قالت: يا أم المؤمنين، ذلك والله أشدُّ لجزعي عليه.

وقال مسلمة<sup>(١)</sup>: لما قُتل عبد الله بن عامر بن مسمع بالزاوية<sup>(٢)</sup> أتوا الحجاج برأسه، فقال: اذهبوا برأسه إلى عامر بن مسمع يعني أباه فأتوه به، فجعله في ثوبه وأقبل به إلى الحجاج وهو يبكي، فقال: أجزعت عليه؟ فقال: لا، بل جزعت له من النار. فإن رأى الأمير أن يأذن لي في دفنه، فأذن له، فدفنه.

وقال مسلمة بن محارب: قُتل معاوية بن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في الحرب التي كانت بين قتيبة<sup>(٣)</sup> وبين سفيان بن معاوية. فلما ولي سفيان البصرة أرسل إلى خالد بن صفوان<sup>(٤)</sup> أن ابنك قُتل، وقُتل ابني. فأرسلت

(١) مسلمة بن عبد الله بن محارب الفهري البصري النحوي: صاحب فصاحة (لسان الميزان: ج ٦، ص ٣٤).

(٢) الزاوية: موضع قرب البصرة كانت فيه الوقعة بين الحجاج وابن الأشعث (٨٣ هـ) (معجم البلدان: ج ٣، ص ١٢٨).

(٣) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي «أبو حفص» أمير فاتح ولي الرني أيام عبد الملك وافتتح أكثر بلدان ما وراء النهر وفي خلافة سليمان بن عبد الملك نزع الطاعة فقتله وكيع بن حسان التميمي (٤٩ - ٩٦ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ١٨٩).

(٤) خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهم التميمي المنقري: من فصحاء العرب المشهورين له أخبار مع عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ولد ونشأ بالبصرة (-/ ١٣٣ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٩٧).

إليك أتعزّي بك وتتعزّي بي . فقال : أصلح الله الأمير ، أنا وأنت كما قالت  
الباكية :

[المجث]

أَسْعِدْنِي أَخَوَاتِي      فَالْوَيْلُ لِي وَلَكُنْهُ  
فقال سفيان : جَدَّدْتَ لي حزناً . فقال : أصلح الله الأمير ، فَلْيُسَلِّ عَنْكَ مَا  
جَدَّدْتَ لك العلمُ بأنك غيرُ باق .

وقال كُلَيْب بن خَلْف : قال عبد الكريم المازني لعبد الله بن عبد الله بن  
الأهثم<sup>(١)</sup> : كيف كان جزعك على أهل بيتك ؟ فقال : ما ترك حُبَّ الغداء والعشاء  
في قلبي حزناً على أحد .

وقال يزيد بن عياش بن جُعْدَبَة : كان عبد الله بن الزبير إذا أصابته مصيبة  
يقول : إِنْ ابْتَلَيْتُ فَقَدْ قُتِلَ أَبِي وَإِمَامِي عَثْمَان . فَصَبَرْتُ .

وقال قائل لعبد الملك بن مروان : أَدْرَكَتَ قَتْلَ أمير المؤمنين عثمان ؟  
فقال : نعم . قال : فكيف كان جزعك عليه ؟ قال : شغلني الحَنَقُ لأن أدرك بثأره  
عن الحزن عليه .

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني عن إسماعيل بن يسار<sup>(٢)</sup> : مات ابن  
لأَرْطَاة بن سُهَيْة المُرِّي<sup>(٣)</sup> ، من غُطْفَان ، يقال له عَمْرُو ، فأقام على قبره حَوْلاً ،  
يأتيه كلُّ غداة فيقول : يا عمرو ، هل أنت غَادٍ معي ؟ فلما كان رأس الحَوْلِ تمثَّل  
قولَ لبید :

[الطويل]

إِلَى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْنِكما      وَمَنْ يَبْكُ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدْ اغْتَدَرَ  
ثم ترك قبر ابنه .

---

(١) عبد الله بن عبد الله بن الأهثم : من بني منقر ولي خراسان ووفد على الحلفاء وخطب عند الملوك  
وأولاده خطباء . (البيان والتبيين : ج ١ ، ص ٢٣٦) .

(٢) إسماعيل بن يسار النسائي : أصله من سبي فارس ومن موالي تيم بن مرة ثم انقطع إلى آل الزبير  
حيث وفد مع عروة بن الزبير ومدح عبد الملك بن مروان ثم أولاده من بعده توفي نحو ١٣٠ هـ  
(الأعلام : ج ١ ، ص ٣٢٩) .

(٣) أَرْطَاة بن سهية المُرِّي : يكنى أبا الوليد ويتنسب إلى أمه «سُهَيْة» شاعر فارس عاش في دولة بني أمية  
عمي قبيل وفاته (-/ ٦٥ هـ) (الأعلام : ج ١ ، ص ٢٨٨) .

وقال أبو عمرو بن يزيد: مات أخُ لمالك بن دينار<sup>(١)</sup> فبكى وقال: يا أخي لا تقرُّ عيني بعدك حتى أعلم أفي الجنة أنت أم في النار، ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك.

وقال مسلمة بن محارب: لما أتت معاوية وفاة زياد استرجع وقال:

[الطويل]

وَأُفِرِدْتُ سَهْمًا فِي الْكِنَانَةِ وَاحِدًا      سَيُزْمَى بِهِ أَوْ يَكْسِرَ السَّهْمَ كَاسِرُ  
وقال أبو زكريا العجلاني وغيره أن معاوية نعي إليه سعيد بن العاصي<sup>(٢)</sup>  
وعبد الله بن عامر<sup>(٣)</sup> فاسترجع وقال:

[الطويل]

إِذَا مَاتَ مَنْ خَلَفَ أَمْرِي وَأَمَامَهُ      وَأُفِرِدَ مِنْ جِيرَانِهِ فَهُوَ سَائِرُ  
وقال عبد الله بن مسلم: بكى رجل على شاة له أصيب بها فأكثر، فرآه رجل من باهلة يقال له الحارث بن حبيب فقال:

[السريع]

يَا أَيُّهَا الْبَاكِي عَلَى شَاتِهِ      يَبْكِي بُكَاءَ غَيْرِ إِسْرَارِ  
إِنَّ الرِّزْيَاتِ وَأُمَثَالَهَا      مَا لَقِيَ الْحَارِثُ فِي الدَّارِ  
دَعَا بَنِي مَعْنٍ وَأَشْيَاعَهُمْ      فَكُلُّهُمْ يَغْدُو بِمِخْفَارِ  
وكان للحارث المذكور عشرة بنين، فحلب يوماً في علبة ووضعها فمَجَّ فيها أسودٌ صالح، فبعث بالعلبة إلى بنيهِ، وهو لا يدري، فشربوها فماتوا جميعاً. وقيل: بل كانوا سبعة، فسقط عليهم حائط فقتلهم.

وقال خالد بن يزيد بن بشر: جَزَعَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى ابْنِهِ أَيُّوبَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ رَجُلًا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ لَغَيْرِ جَيْدِ الرَّأْيِ.

---

(١) مالك بن دينار البصري: أبو يحيى من رواة الحديث يكتب المصاحف بالأجرة توفي بالبصرة نحو ١٣١ هـ (الأعلام: ج ٥، ص ٢٦٠).

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي: صحابي من الولاة الفاتحين ولأه معاوية المدينة حتى مات (٣ - ٥٩ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٩٦).

(٣) عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة الأموي «أبو عبد الرحمن» ولد في مكة أمير فاتح ولي البصرة زمن سنان ثم صرفه معاوية عنها فرجع إلى مكة وتوفي فيها (٤ - ٥٩ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٩٤).



وقال صدقة بن عبد الله المازني<sup>(١)</sup>: مات حنظلة بن عبد الله الأسدي فجزعت عليه امرأته، فنهتها جاراتها وقلرن لها: إن هذا يُخبط أجرك، فقالت: [السريع]

تَعَجَّبَ الدَّهْرُ لِمَخْزُونَةٍ      تَبْكِي عَلَى ذِي شَيْبَةٍ شَاكِ  
إِنْ تَسْأَلِينِي الْيَوْمَ مَا شَفَّنِي      أَخْبِرْكَ قَوْلًا لَيْسَ بِالْكَاذِبِ  
إِنْ سَوَّادَ الْعَيْنِ أَوْدَى بِهِ      حُزْنٌ عَلَى حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ  
وكان حنظلة قد كتب لرسول الله ﷺ.

وقال إسحاق بن أيوب وعامر بن حفص<sup>(٢)</sup> ومسلمة بن محارب: قدم عروة بن الزبير<sup>(٣)</sup> على الوليد بن عبد الملك ومعه محمد بن عروة<sup>(٤)</sup> فدخل محمد دار الدواب، فضربته دابة فخر ميتاً، ووقعت في رجل عروة الأكلة<sup>(٥)</sup>، ولم يدع وزده تلك الليلة. فقال له الوليد: اقطعها، وإلا أفسدت عليك جسدك، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير. ولم يمسه أحد. وقال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾<sup>(٦)</sup>.

وقدم على الوليد في تلك السنة قوم من بني عبس، فيهم رجلٌ ضرير فسأله الوليد عن عينيه فقال: يا أمير المؤمنين، بث ليلة في بطن وادٍ ولا أعلم عبسياً يزيد ماله على مالي؛ فطرقنا سبيل فذهب بما كان لي من أهلٍ وولد ومال غير بغير وصبي مولود. وكان البعير صعباً فنذ. فوضعت الصبي واتبع البعير، فلم أجازه إلا قليلاً حتى سمعت صيحة ابني، فرجعت إليه ورأس الذئب في بطنه وهو يأكله، ولحقت البعير لأحبسه فنفعني برجله على وجهي فحطمه وذهب بعيني فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصر. فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاء.

(١) صدقة بن عبد الله المازني: محدث دمشقي كبير توفي سنة ١٦٦ هـ (مرآة الجنان: ج ١، ص ٣٥٢).

(٢) عامر بن حفص: عالم بالأنساب يلقب بسُحَيْم (-/١٩٠ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٢٥٠).

(٣) عروة بن الزبير بن العوام: «أبو عبد الله» أحد الفقهاء السبعة بالمدينة (٢٢ - ٩٣ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٢٢٦).

(٤) محمد بن عروة: بارع الجمال يدعى زين المواعظ (الوافي بالوفيات: ج ٤، ص ٩٤).

(٥) الأكلة: داء يقع في العضو فيأكل منه.

(٦) سورة الكهف: الآية ٦٢.

وَشَخَّصَ عَرُوءَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَتَتْهُ قَرِيْشٌ وَالْأَنْصَارُ فَقَالَ لَهُ عِيْسَى بْنُ طَلْحَةَ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ: أَبَشِّرْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَقَدْ صَنَعَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا، وَاللَّهُ مَا بِكَ حَاجَةٌ إِلَى الْمَشْيِ. فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعَ اللَّهُ إِلَيَّ، وَهَبْ لِي سَبْعَةَ بَنِينَ فَمَتَّعَنِي بِهِمْ مَا شَاءَ، ثُمَّ أَخَذَ وَاحِدًا وَتَرَكَ سِتَّةَ، رَوَّهَبَ لِي سِتَّ جَوَارِحَ، فَمَتَّعَنِي بِهِنَ مَا شَاءَ، ثُمَّ أَخَذَ وَاحِدَةً ثُمَّ تَرَكَ لِي خَمْسًا: يَدَيْنِ وَرَجُلًا وَسَمْعًا وَبَصْرًا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ لَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَقَدْ أَبْقَيْتَ، وَلَنْ كُنْتُ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ.

وَكَثُرَ الْمَوْتُ سَنَةً بِالْبَصْرَةِ، فَقِيلَ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَلَا تَرَى؟ فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعَ رَبُّنَا. أَقْلَعَ مُذْنِبٌ، وَأَنْفَقَ مُنْسِكٌ، وَلَمْ يُغْلَطْ بِأَحَدٍ.

وَقَالَ مَخْلَدُ بْنُ حَمْزَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَالَ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمُّهُ، قَدْ خَذَلَنِي النَّاسُ فَمَا بَقِيَ مَعِيَ إِلَّا مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الصَّبْرِ أَكْثَرُ مِنْ سَاعَةٍ، وَالْقَوْمُ يُغْطُونَنِي مَا أُرَدْتُ، فَمَا رَأَيْكَ؟ قَالَتْ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَامْضِ عَلَى حَقِّكَ، وَلَا تَمَكَّنْ غُلَمَانَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ: وَفَّقَكَ اللَّهُ، هَذَا رَأْيِي، وَإِنِّي لِحَسَنِ الظَّنِّ بِرَبِّي، فَإِنْ هَلَكْتُ فَلَا يَشْتَدَّ عَلَيَّ جَزَعُكَ، فَإِنَّ ابْنَكَ لَمْ يَتَعَمَّدْ إِيَّانَ ذَنْبِيَّةٍ، وَلَا عَمَلًا بِفَاحِشَةٍ، وَلَمْ يَجْزُ فِي حُكْمٍ، وَلَمْ يَسْنَعْ بِغَدْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَثَرَ عِنْدَهُ مِنْ رَضَى رَبِّهِ. اللَّهُمَّ، إِنِّي لَا أَقُولُ هَذَا تَزَكِيَةً لِنَفْسِي وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِي، وَلَكِنِّي أَقُولُهُ لَتَسْلُوَ عَنِّي.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ مَيْمُونٍ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى أُمِّهِ: فَقَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أُمُّهُ؟ قَالَتْ: إِنِّي لَوَجَعَةٌ، قَالَ: إِنْ فِي الْمَوْتِ لِرَاحَةٍ. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَمُوتَ حَتَّى آتِيَ عَلَى أَحَدٍ طَرَفِيكَ: إِمَّا ظَفَرْتُ فَقَرَّرْتُ عَيْنِي، وَإِمَّا قُتِلْتُ فَاحْتَسَبْتُكَ، وَإِنْ أَحَبَّهُمَا إِلَيَّ أَنْ تَكُونَ تَصَلِّيَ عَلَيَّ وَتَدْفِنَنِي. فَمَا دَمَعَتْ عَيْنُهُ وَلَا عَيْنُهَا. فَمَا نَدَرِي مِنْ أَيِّهِمَا نَعُجِبُ.

وَلَقَدْ قَالَ: إِنِّي لَا أَمُنُ إِنْ قُتِلْتُ أَوْ أُصْلِبْتُ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا بَنِيَّ إِنَّ الشَّاةَ لَا تَأْلُمُ لِلسَّلَخِ. فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَهُوَ يَتَمَثَّلُ:

[الطويل]

فَلَسْتُ بِمُتَّبِعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا

قال أبو الحسن المدائني: وأخبرنا يزيد بن عياض قال: لما مات علي بن الحسين ضربت امرأته على قبره فسطاطا، فأقامت فيه حولا ثم رجعت إلى بيتها. فسمعوا قائلاً يقول: أدركوا ما طلبوا. فأجابه مجيب: بل يسوا فانصرفوا.

قال: وأخبرنا علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران عن أبيه  
قال: عزى رجل عمر بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك، فقال عمر: الذي نزل  
بعبد الملك أمر كذا نتظره، فلما وقع لم تُنكره.

قال: وأخبرنا بشر بن عبد الله بن عمر قال: قام عمر على قبر ابنه عبد  
الملك، فقال: رحمك الله يا بُني، لقد كنت ساراً مولوداً، وبارأ ناشئاً، وما أُحِبُّ  
أني دعوتك فأجبتي؟!!

وقال الأصمعي: دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وهو يجود  
بنفسه، فقال: كيف تَجِدُك يا بُني؟ قال: أجدني في الموت، فاحتسبني يا أمير  
المؤمنين، فإن ثواب الله خير لك مني. قال: رضي الله عنك يا بُني، فإنك لم  
تزل تُسرّ أباك وأنت في الخرق، وما كنت قط أسراً إليّ منك حيث يصيرك الله في  
ميزاني، فرضي الله عنك وعن كل شاهد وغائب دعا لك بخير. فجعل الناس  
يَدْعُونَ له رَجَاءً أن يَدْخُلُوا في دعوة عمر. وعاش عمر بعده أربعين يوماً ثم  
هَلَكَ.

وقال الأصمعي: قال عمر: إنما الجزع قبل فوات الشيء فإذا فاتك الشيء  
قَالَ عنه.

وقال الأصمعي: كتب رجل إلى عمر يعزيه، فأجابه: إني لم أزل في صحة  
منه وسلامة، مُوطَّناً نفسي على فراقه. والسلام.

وأخبرنا أبو الحسن عمن حدّثه عن مسلمة قال: لما مات عبد الملك كشف  
أبوه عن وجهه وقال: رحمك الله يا بُني، سررت بك يوم بُشِّرْتُ بك، ولقد  
عُمِّرْتُ مسروراً بك وما أتت علي ساعة أنا بك فيها أسراً مني بك من ساعتى هذه،  
أما والله إن كنت لتدعو أباك إلى الجنة.

وتحدث المدائني عن سليمان بن أرقم أن عمر بن عبد العزيز قال لأبي  
قِلَابَةَ<sup>(١)</sup> - وكان وَلِيَّ غَسَلِ ابنه - : إذا غَسَلْتَهُ وكَفَفْتَهُ فَأَذِنِي به قبل أن تُغَطِّي وجهه.  
فنظر إليه فقال: رحمك الله يا بُني وغفر لك.

وتحدث عن يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه قال: اسْتَشْهَدَ ابْنُ

---

(١) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي «أبو قِلَابَةَ» ناسك من أهل البصرة ومن رجال الحديث الثقات  
وعالم بالقضاء والأحكام تهرب من القضاء إلى الشام ومات هناك (١٠٤ هـ) (الأعلام: ج ٤،  
ص ٨٨).

لأبي أمانة الحمصي فكتب عمر إلى أبي أمانة: «الحمد لله على آلائه وقضائه وحسن بلائه. فقد بلغني الذي ساق الله إلى عبد الله بن أبي أمانة من الشهادة، فقد عاش بحمد الله في الدنيا مأموناً، وأفضى إلى الآخرة شهيداً، وقد وصل إليكم من الله خير كثير إن شاء الله».

وتحدث عن جعفر بن هلال بن -باب عن أبيه قال: كتب عمر إلى عماله: «إن عبد الملك بن عمر كان عبداً من عبيد الله أحسن إليه وإلى أبيه فيه، أعاشه ما شاء ثم قبضه إليه. وكان ما علمت - والله به أعلم - خيراً، من صالحه شباب أهل بيته قراءة للقرآن وتحريراً للخير. وأعوذ بالله أن تكون لي محبة في شيء من الأمور تُخالف محبة الله، فإن ذلك لا يَحْسُنُ بي في إحسانه إليّ، وتتابع نعمه عليّ. وقد قلت عند الذي كان بما أمر الله عز وجل أن أقول عند المصيبة ثم لم أجد بحمد الله إلا خيراً، ولا أعلم ما بكت عليه باكية، ولا ناحث عليه نائحة، ولا اجتمع لذلك أحد، فقد نهينا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه.

وتحدث عن محمد بن عباد<sup>(١)</sup> أن بلغه أن عبد الملك بن عمر لما مات، فخرج بسريره ليصلي عليه، صَفَّ عمر الناس خلفه ثم قام حيال صدره أو رأسه ثم قال: هكذا يقوم ولي الرجل من الرجل، ومن المرأة يقوم حيال وسطها. فلما صار إلى القبر دخل فيه وأخذ برأس ابنه حتى وضعه في اللحد. ثم قال: هكذا يصنع ولي الرجل بالرجل. ثم قام على قبره وجعل القبر بينه وبين القبلة. فلما رآه الناس قائماً قاموا، فقال: اجلسوا، فإنما يجب القيام على أولياء الميت.

وتحدث عن مسلمة بن عثمان أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز: هل يكون المؤمن في حالة تنزل به المصيبة فلا يَأْلُم لها؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، لا يكون أن يستوي عندك ما أحب وما تكره، أو تكون الضراء والسراء عند أحد سواء. ولكن مُعَوِّل المؤمن الصبر.

وقال عن عبد الله بن الأسود: لما مات عاصم بن عمر بن عبد العزيز جزع عليه أخوه عبد الله فرثاه. وأنشدني هذا اشعر الرياشي:

[الطويل]

إِنْ تَكُ أَخْزَانٌ وَفَائِضٌ عِبْرَةٌ      أَثَرْنَ دَمًا مِنْ دَاخِلِ الْجَوْفِ مُنْقَعًا

(١) محمد بن عباد بن كاسب: كاتب زهير ومولى بجيلة من سبي دابق وكان شاعراً راوية وطلابة للعلم

علامة (البيان والتبيين: ج ١، ص ٣٥).

تَجَرَّعْتُهَا فِي عَاصِمٍ فَاخْتَسَبْتُهَا      لِأَعْظَمُ مِنْهَا مَا اخْتَسَى وَتَجَرَّعَا  
فَلَيْتَ الْمَنَايَا كُنَّ صَادِقْنَ غَيْرَهُ      فَعِشْنَا جَمِيعاً أَوْ ذَهَبْنَ بِنَا مَعَا  
وقال إبراهيم بن عبد الله<sup>(١)</sup> بن حسن بن علي بن أبي طالب  
يرثي أخاه محمد بن عبد الله<sup>(٢)</sup>:

[البيط]

أَبَا الْمُنَازِلِ يَا عُبَرَ الْفَوَارِسِ مَنْ      يُفَجِّعُ بِمِثْلِكَ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِّعَا  
اللَّهُ يَغْلَمُ أَنِّي لَوْ خَشِيتُهُمْ      وَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَهُمْ فَزَعَا  
لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أُسْلِمْ أَخِي لَهُمْ      حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعاً أَوْ نَمُوتَ مَعَا  
وكان قتله في المعركة عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله<sup>(٣)</sup>  
وهو الذي قتل إبراهيم أخاه.

وقال أبو الحسن: أخبرنا العباس بن معاوية قال: عزى محمد بن الوليد بن  
عُتْبَةَ بن أبي سفيان عمر بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك فقال: يا أمير  
المؤمنين، لِيَشْغَلْكَ مَا أَقْبَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَيْكَ عَمَّنْ هُوَ فِي شُغْلٍ عَمَّا دَخَلَ عَلَيْكَ،  
وَأَعْدِدْ لِمَا تَرَى عُذَّةً تَكُونُ لَكَ جُنَّةً مِنَ الْحَزَنِ وَسِثْرًا مِنَ النَّارِ. فقال عمر: فَهَلْ  
رَأَيْتَ حَزْناً يُنْكَرُ أَوْ غَفْلَةً أَنْبَهَ لَهَا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لو أن رجلاً ترك تعزية  
رجلٍ لِعِلْمِهِ وَاتَّبَاهُ لَكُنْتَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَضَى أَنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.

وقال أبو الحسن: دخل مسلمة<sup>(٤)</sup> على عمر في مرضه، فقال: يا أمير  
المؤمنين، أَلَا تُوصِي؟ قال: وهل لي مال أوصي فيه؟ فقال مسلمة: هذه مئة ألف  
أبعث بها إليك فهي لك أوص فيها. قال: فهلاً غير ذلك يا مسلمة؟ فقال: وما

(١) إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب: «الطالبي» أحد الأمراء الأشراف  
الشجعان كان شاعراً عالماً بأخبار العرب وأيامهم وأشعارهم قتل في وقعة هائلة بين شيعة وجيوش  
المنصور على أبواب الكوفة (٩٧ - ١٤٥ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٤٨).

(٢) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب «أبو عبد الله» الملقب بالنفس الزكية  
كان غزير العلم شجاعاً حازماً وسخياً طلبه المنصور وقتل بعض أقاربه فثار محمد وقتل في المدينة  
(٩٣ - ١٤٥ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٢٢٠).

(٣) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله (ابن أخي السفاح) تولى على الكوفة سنة ١٣٢ هـ  
استنزل المنصور عن ولاية العهد وعزله عن الكوفة سنة ١٤٧ هـ (١٠٢ - ١٦٧ هـ) (الأعلام: ج  
٥، ص ١١٠).

(٤) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم: أمير قائد من أبطال عصره من بني أمية في دمشق يلقب  
بالجرادة الصفراء له فتوحات مشهورة كان أولى بالخلافة من إخوته (١٢٠ / . . هـ) (الأعلام: ج  
٧، ص ٢٢٤).

ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: تردّها من حيث أخذتها. فبكى مسلمة وقال: يرحمك الله، فقد أَلَنْتُ مَنَّا قلوباً كانت قاسية، وزرعت لنا في قلوب المؤمنين مودّة، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً.

وقال أبو الحسن عن سعيد بن عامر<sup>(١)</sup> عن محمد بن عمرو بن علقمة<sup>(٢)</sup> قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول: ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فانتزعها منه وعاضه من ذلك الصبر إلا كان ما عوّضه أفضل مما انتزع منه. ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال مقسم، وهو مولى لبعض أهل المدينة، يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

[البيط]

لَوْ أَغْظَمَ الْمَوْتُ خَلْقًا أَنْ يُلَاقِيَهُ      لَاغْظَمَ الْمَوْتُ أَنْ يَلْقَاكَ يَا عُمَرُ  
لَهْفِي عَلَيْكَ وَلَهْفَ الْمُوجِعِينَ مَعِي      عَلَى الْعُدُولِ الَّتِي تَغَيَّى لَهَا الْجُفَرُ  
ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى عَيْنٌ لَهُمْ شَبَهَا      تَضُمُّ أَغْظَمَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْجُدُرُ  
فَقَدْ بَلَغْتَ وَلَمْ تَبْلُغْ فَعَالَهُمْ      مَا فَوْقَهُ لِإِمَامٍ مُبْصِرٍ بَصَرُ

قال أبو الحسن: قال محمد بن حرب الهلالي: كان رسول الله ﷺ إذا عزّى يقول: أجركم الله ورحمكم. وإذا منّا قال: بارك الله لكم وبارك عليكم.

وقال ابن الأعرابي<sup>(٤)</sup>: وقف جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس على قبر أخيه محمد بن سليمان فقال: اللهم إني أمسيت أرجوك له وأخافك عليه، اللهم فصدّق رجائي وأمرْ خوفي، إنك على كل شيء قدير.

قال الأصمعي: ولّى عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه كعبَ بنَ سور<sup>(٥)</sup> قضاء

(١) سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي: صحابي ولاء عمر إمرة حمص كان زاهداً توفي بحمص (٢٠/هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٩٧).

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني: ثقة روى عنه مالك في موطأه توفي سنة ١٤٤ هـ (البيان والتبيين: ج ٣، ص ١٤٣).

(٣) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٤) أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي: راوية نسابة علامة في اللغة كوفي (١٥٠ - ٢٣١ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ١٣١).

(٥) كعب بن سور بن بكر الأزدي: تابعي بعثه عمر قاضياً لأهل البصرة وبقي إلى وقعة الجمل حيث قتل بسهم (٣٦/هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٢٧).

البصرة. قال أبو العباس: وكان سبب ذلك أنه حضر مجلس عمر، فجاءت امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي صَوَّام، قَوَّام. فقال عمر: إن هذا لَرَجُلٌ صالح، ليتني كنتُ كذا. فرَّدت عليه الكلام فقال عمر كما قال. فقال كعب بن سور الأزدي: يا أمير المؤمنين، إنها تشكو زوجها، تخبر أنه ليس لها منه حظ. فقال: عليّ بزوجها. فأتي به، فقال له: ما بالها تشكوك، وما رأيت امرأة أكرم شكوى منها؟ فقال: يا أمير المؤمنين:

[الرجز]

إِنِّي امْرُؤٌ أَفْرَعَنِي مَا قَدْ نَزَلَ فِي الْحَجَرِ وَالنَّخْلِ وَفِي السَّبْعِ الطُّوْلِ  
فقال له كعب:

[الرجز]

إِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا يَا بَعْلُ فَأَوْفِهَا الْحَقَّ وَصُمْ ثُمَّ وَصَلْ  
فقال عمر لكعب: اقض بينهما. فقال: نعم، يا أمير المؤمنين، أحلّ الله للرجل أربعاً، فأوجب لكل واحدة ليلة، فلها في كل أربع ليالٍ ليلة، ويصنع بنفسه في الثلاث ما شاء. فألزمه ذلك. وقال لكعب: اخرج قاضياً على البصرة.

قال أبو العباس: اتصل هذا بخبر الأصمعي.

فلم يزل عليها حتى قُتل عثمان. فلما كان يوم الجمل، خرج مع أهل البصرة وفي عنقه مصحف، فقتل هو برمئذ وثلاثة إخوة له أو أربعة. فجاءت أمهم فوجدتهم في القتلى، فحملتهم وجعلت تقول:

[المتقارب]

أَيَا عَيْنٍ بَكِّي بِدَمْعٍ سَرِبَ عَلَى فِثْيَةٍ مِنْ خِيَارِ الْعَرَبِ  
فَمَا ضَرَّهُمْ غَيْرُ حَيْنِ النُّفُوسِ سِوَى أَيْ أَمِيرِنِي قُرَيْشٍ غَلَبَ  
وقال أبو الحسن: أخبرني مخبر قال: كتب غيلان<sup>(١)</sup> إلى رجل من إخوانه أصيب بابنه فجزع عليه: أمّا بعد. فإن الله أعطاك هبته، وجعل عليك أدبه ومؤنته، وأنت تخشى فتنته، فاشتد بذلك سرورك. فلما قبض الله هبته، وكفاك أدبه ومؤنته، وأمنت فتنته، اشتد لذلك جزعك، فأقسم بالله أن لو كنت تقيّاً لَعَزَّيْتَ

(١) غيلان بن مسلم الدمشقي «أبو مروان»: كاتب بليغ صلب على باب كيسان بدمشق بعد فتوى الأوزاعي بصلبه تنسب إليه الغيلانية وهي فرقة من القدرية (-/ ١٠٥ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص

على ما هُنْتُتَ عليه، وَلَهُنْتُتَ على ما نَزَيْتَ عليه. فإذا أتاك كتابي فاصبر على الأمر الذي لا غنى بك عن ثوابه، ولا «سبر لك على عقابه». واعلم أن كل مصيبة لم يذهب فرح ثوابها حزنها، فذلك الحزن الدائم.

وقال أبو الحسن: لما هلك ابن عمر بن ذر<sup>(١)</sup> وقف عليه أبوه وهو مُسَجَّى فقال: يا بني، ما علينا من موتك غضاضة، وما بنا إلى أحد سوى الله من حاجة. فلما دُفِنَ قام على قبره فقال: يا ذر غفر الله لك، لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، لأننا لا ندري ما قلت وما قيل لك. اللهم، إني قد وهبت له ما قصّر فيه مما افترضته عليه من حقّي، فهَبْ لي ما قصّر فيه من حقك، واجعل ثوابي عليك له، وزدني من فضلك فإني إليك من الراغبين! فسئل عنه فقيل: كيف كان معك؟ فقال: ما مشيتُ معه بليل قطّ إلا كان أمامي، ولا بنهار قطّ إلا كان خلفي، وما علا سطحاً قطّ وأنا تحته.

قال أبو الحسن: أخبرني بعض قریش، يرفع الحديث إلى ابن عباس قال: هلك رجل من أهل المدينة فشهد جنازته عبد الله بن العباس رضي الله عنهما فلما دُفِنَ الرجل قال بعض من شاهده: ليت شعري إلى ماذا صار صاحبنا؟ فسمعه ابن عباس فقال: أما تدري؟ قال: لا والله، قال: لكنني والله، أدري، قال الله جل ثناؤه: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وليس صاحبنا من المكذبين الضالين. فإن أخطأه أن يكون من المقربين فلن يخطئه أن يكون من أصحاب اليمين. قال: ففرح جميع القوم بما سمعوا.

وقال عن عوانة<sup>(٣)</sup>: لما بلغ خالد بن الوليد موث أبي بكر رضي الله عنه قال: الحمد لله الذي أَمَاتَ أَحَبَّ خَلْقِهِ إِلَيَّ، واستخلف أبغض الأمة إِلَيَّ. وقد استخلف عليكم أمين أمتكم، يعني أبا عبيدة بن الجراح.

وقال الأصمعي: قام خالد بن الوليد على رأس أبي عبيدة، فستره بردائه من

---

(١) عمر بن ذر: من رجال الحديث كوفي من رؤساء المرجئة (-/١٥٣ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٤٦).

(٢) سورة الواقعة: الآية ٨٨ - ٩٣.

(٣) عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض «أبو الحكم» مؤرخ كوفي كلبى ضرير عالم بالأنساب والأشعار اتهم بوضع الأخبار للأمويين (-/١٤٧ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٩٣).



الشمس، فقيل له: ما أردت إلى هذا؟ قال: أردت إعزاز الإسلام.

وقال أبو الحسن عن محمد بن الفضل عن أبي حازم<sup>(١)</sup> قال: مات عقبة بن عياض بن غنم الفهري فعزى رجل أباه فقال: لا تجزع عليه، فقد قُتل شهيداً - وكان من سادة الجيش - فقال: وكيف لا أصبر وقد كان في حياته زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات.

وأخبر عن عامر بن الأسود قال: استشهد لمولى لبني نوفل بنون، فعزاه رجل فقال: آجرك الله في الباقيين، ومتعتك بالفانين. فقال له رجل: لعلك غلطت. فقال: لا، إن الله يقول: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأخبر عن عمر بن مجاشع قال: قال نافع، مولى عمر بن الخطاب: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: نسأل الله تمام النعمة. فقال: أتدري ما تمام النعمة؟ إن تمام النعمة النجاة من النار.

وسمع ﷺ رجلاً يقول: اللهم، ارزقني صبراً. فقال: يا عبد الله، سألت بلاءً، فأسأل الله العافية.

وعن عمر بن مجاشع قال: قال رجل لابن عمر وعزاه: أعظم الله أجرك. فقال ابن عمر: نسأل الله العافية.

قال: وهذا حديثٌ ثُمليه وقد مضى في صدر الكتاب ناقصاً فأتممناه في هذا الموضع ليتوفر ويتصل به ما بعده:

تحدث المدائني عن يعقوب بن داود<sup>(٣)</sup> عن بعض أشياخه أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب<sup>(٤)</sup> كان عاملاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام على اليمن، فخرج إلى عليّ، واستخلف على صنعاء عمرو بن أراكة الثقفي. فوجه

---

(١) سلمة بن دينار (أبو حازم): عالم المدينة يقال له الأعرج كان عالم المدينة زاهداً عابداً ومحدثاً ثقة (الأعلام: ج ٣، ص ١١٣).

(٢) سورة النحل: الآية ٩٦.

(٣) يعقوب بن داود بن عمر السلمي ولأهـ «أبو عبد الله» كاتب عباسي حبسه المهدي وأخرجه الرشيد أقام في مكة بعد أن ذهب بصره حتى مات (١٨٧ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ١٩٧).

(٤) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب «أبو محمد» كان أصغر من أخيه عبد الله بسنة ولأهـ عليّ عليّ اليمن وكان على مقدمة الحسن إلى معاوية مات في المدينة وكان سخيّاً جواداً (١ - ٨٧ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ١٩٤).

معاوية بُسرَ بن أُرطاة، أحد بني عامر بن لؤي، فقتل عمرو بن أراكة فيمن قُتل.  
فجزع عليه أخوه عبد الله. فقال أبوه:

[الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ أَتَبَعْتَ عَيْنَيْكَ مَا مَضَى      بِهِ الدَّهْرُ أَوْ سَاقَ الْجِمَامِ إِلَى الْقَبْرِ  
لَتَسْتَنْفِذَنَّ مَاءَ الشُّؤُونِ بِأَسْرِهِ      وَلَوْ كُنْتَ تَمْرِيهِنَّ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْرِ  
لَعَمْرِي لَقَدْ أَزْدَى ابْنُ أَرْطَاةٍ فَارِسًا      بِصَنْعَاءَ كَاللَّيْثِ الْهَزْبِرِ أَبِي الْأَجْرِ  
فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ إِذْ خَنَّ بَاكِيًا      تَعَزَّى، وَمَاءُ الْعَيْنِ مُنْحَدِرٌ يَجْرِي  
وَأُنشدني التوزي عن أبي زيد: إِذْ خَنَّ بَاكِيًا.

تَبَيَّنَ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدًّا هَالِكًا      عَلَى أَحَدٍ، فَاجْهَدْ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو  
وَلَا تَبْكُ مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتٍ أَجْنَهُ      عَلَيَّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

قال أبو العباس: وكان بُسرٌ قد قتل خَلْقًا باليمن. يقول بعضهم: حتى  
أَخَاضَ الْخَيْلَ فِي الدِّمَاءِ. وكان في من قتل طفلان لِعُبَيْدِ اللَّهِ بن العباس أخذهما  
من الْكُتَّابِ. فَرُوِيَ أَنَّهُ قَتَلَهُمَا وَهُمَا يَقُولَانِ: يَا عُمُّ لَا نَعُودُ! وأما الرواية الفاشية  
التي كأنها إجماع، فإنه أخذهما من تحت ذيل أمهما وهي امرأة من بني  
الحارث بن كعب<sup>(١)</sup>، ففي ذلك تقول لما خرج بهما من عندها:

[مجزوء الوافر]

أَلَا مَنْ بَيَّيْنَا الْأَخْوَيْنِ —      بِنِ أُمَّهُمَا هِيَ التُّكْلَى  
تُسَائِلُ مَنْ رَأَى ابْنَيْهَا      وَتَسْتَبْغِي فَمَا تُبْغَى  
وقالت أيضاً:

[البسيط]

يَا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَّيَ اللَّذَيْنِ هُمَا      كَالدَّرَتَيْنِ تَشْطَى عَنْهُمَا الصَّدْفُ  
يَا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَّيَ اللَّذَيْنِ هُمَا      قَلْبِي وَطَرْفِي فَقَلْبِي الْيَوْمَ مُخْتَطَفُ  
يَا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَّيَ اللَّذَيْنِ هُمَا      مُخَّ الْعِظَامِ، فَمُخِّي الْيَوْمَ مُزْدَهَفُ  
نُبِّئْتُ بُسْرًا وَمَا صَدَّقْتُ مَا ذَكَّرُوا      مِنْ قَوْلِهِمْ وَمِنَ الْإِفْكِ الَّذِي اقْتَرَفُوا  
أَنْحَى عَلَى وَدَجِي شِبْلِي مُرْهَفَةً      بَغِيًّا، كَذَا وَعَظِيمَ الْبَغْيِ يُقْتَرَفُ

(١) جويرية بنت خالد بن قارظ الكنانية «أم حكيم» من أجمل النساء زوجة عبيد الله بن العباس، قتل

بسر بن أُرطاة ولديها. (مروج الذهب: ج ٣، ص ٣١).

قال أبو الحسن: مات الحسن بن الحُصَيْن، أبو عبيد الله<sup>(١)</sup> بن الحسن - وعبيد الله يومئذ قاضي البصرة وأميرها - فتذاكروا ما يتبين به جزع الرجل من صبره، فأجمعوا على أنه إذا ترك شيئاً كان يصنعه فقد جزع، فأتاه صالح المري<sup>(٢)</sup> فعزاه فقال له: يا هذا، إن كانت مصيبتك أحدثت لك عِظَةً في نفسك فَنِعْم المصيبة مصيبتك. وإن كانت لم تحدث لك عِظَةً في نفسك فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك بأبيك.

وأخبر عن عامر بن حُصَيْن والمثنَّى بن عبد الله قالوا: مات أخٌ لمحمد بن سيرين<sup>(٣)</sup> فجزع عليه، فلما كان في مؤخر الدار ذكر أنه لم يسرَّح لحيته. فجلس ودعا بمشط، فسرَّح لحيته ورأسه ثم خرج.

وقال الأصمعي: كان ابن سيرين يَتَرَجَّل غِبًّا، فجاءه نعي أخيه في يوم ترَّجَّله فترَّجَّل.

وأخبر أبو الحسن عن عبد الله بن مُرَّة عن بعض أشياخه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للخنساء: ما أقرَّحَ مَآقي عَيْنِكَ؟ قالت: بكائي على السادات من مُضِر! قال: يا خنساء، إنهم في النار. قالت: ذاك أطولُ لعويلي عليهم.

وقال عن أبي محمود: قالت الخنساء: كنت أبكي لصخر على الحياة فأنا اليوم أبكي له من النار.

وأخبر عن محمد بن عبد الحميد قال: نعى رجلٌ لرجل ابنه فقال: قد نُعيَ لي قبل ذلك. قال: ومن أعلمك بموته، وما نعاه غيري ممن يعرفك؟ قال: نعاه الله حيث يقول لنبية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وأخبرني عن أبي المقدام، وكان كبيراً، أدرك سعيد بن المسيَّب<sup>(٥)</sup>

---

(١) عبيد الله بن الحسن بن الحُصَيْن العنبري: فقيه عالم بالحديث ولي قضاء البصرة وتوفي فيها (١٠٥ هـ - ١٦٨ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ١٩٢).

(٢) صالح بن بشير المري البصري «أبو بشير» من رواة الحديث توفي سنة ١٧٢ هـ (مرآة الجنان: ج ١، ص ٣٦٨).

(٣) محمد بن سيرين البصري: تابعي من أشرف الكتاب روى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا استكتبه أنس بن مالك بفارس مولده ووفاته بالبصرة (٣٣ - ١١٠ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ١٥٤).

(٤) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٥) سعيد بن المسيَّب بن حَزْن بن أبي وهب القرشي: تابعي وأحد الفقهاء السبعة في المدينة كان فقيهاً محدثاً ورعاً توفي في المدينة سنة ٩٤ هـ (الأعلام: ج ٣، ص ١٠٢).

قال: بلغني أن أبا مُسلم الخولاني<sup>(١)</sup> كان يقول: لأن أُقدِّم سقطاً أحبُّ إليَّ من أن أدع مئةً من خولان، ولأن أُقدِّم فرطاً أحبُّ إليَّ من أن أُخلف خولان كلّها.

---

(١) عبد الله بن ثوب الخولاني «أبو مسلم» يمّني الأصل أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ فقيه نعتة الذهبي بريحانة الشام كان فقيهاً عابداً وفاته بدمشق وقبره بداريا ( . . . / ٦٢ هـ ) (الأعلام: ج ٤، ص ٧٥).

## وهذا باب من التعازي والتعزي في الأشعار

قالت ليلي الأخيلية، قال أبو العباس: قرأته على الرياشي:

[الطويل]

<p>وَأَخْفِلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ إِذَا لَمْ تُصِبْهُ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ وَلَا الْمَيِّتُ إِنْ لَمْ يَضْبِرِ الْحَيُّ نَاشِرُ وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا إِلَى اللَّهِ صَائِرُ أَخَا الْحَرْبِ إِذْ دَارَتْ عَلَيْكَ الدَّوَائِرُ عَلَى فَنٍّ وَزَقَاءٍ أَوْ طَارَ طَائِرُ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كُمْ عَلَيْهِ أَحَاذِرُ</p>	<p>أَقْسَمْتُ أَبْكِي بَعْدَ «تُوبَةٍ»<sup>(١)</sup> هَالِكَا لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى فَلَا الْحَيُّ مِمَّا يُخْدِتُ الدَّهْرُ سَالِمُ وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إِلَى بَلَى فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تُوبَ هَالِكَا فَأَقْسَمْتُ لَا أَتَّفُكُ أَبْكِيكَ مَا دَعَتْ قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ فَيَا لَهْفِي لَهُ</p>
--	--

قال أبو العباس: وأشعار المراثي كثيرة، وإنما نختار عيوناً من جميعها ومن الشيء أحسنه. وكذلك الكلام غير الشعر. ولم تكن ليلي الأخيلية امرأة لتوبة، ولا بينهما نسب لاصق إلا أنهما جميعاً من بني عُقِيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وكانت تحبه ويحبها. وَرَوَتِ الرِّوَاةُ أَنَّهُ خَلَا بِهَا مَرَّةً فَأَرَادَهَا عَلَى مَا يَرِيدُ الرِّجَالُ، فَأَبَتْ وَاشْمَأَزَتْ. ففي ذلك تقول:

[الطويل]

<p>وَذِي حَاجَةٍ قُلْنَا لَهُ لَا تَبُخْ بِهَا لَنَا صَاحِبٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَخُونَهُ فَأَقَامَا دَهْرًا عَلَى حُبِّ عَفِيفٍ، وَهِيَ السُّنَّةُ الْجَارِيَةُ فِي الْعِشَاقِ الْمَاضِينَ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ.</p>	<p>فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيَّتْ سَبِيلُ وَأَنْتَ لِأُخْرَى صَاحِبٌ وَخَلِيلُ</p>
--	--

(١) توبة بن الحُمَيْر بن حزم بن كعب بن خفاجة العُقَيْلي العامري «أبو حرب» شاعر من العشاق المشهورين كان يهوى ليلي الأخيلية ولما خطبها رده أبوها فشبب بها في شعره واشتهر أمره قتله بنو عوف بن عقيل (... / ٨٥ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٨٩).

وكان سبب قتل توبة أن بني عوف كانوا يطلبونه فأحسوه، وقد قدم من سفر ومعه عبيد الله بن الحُمَيْر، أخوه، وقابض، مولاه. وبينه وبين الحي ليلة، فأتوه طروقاً<sup>(١)</sup>، فهرب أصحابه وأسلماه فقتل. ففي ذلك تقول ليلي:

[الطويل]

دَعَا «قَابِضاً» وَالْمُرْهَقَاتُ تَنُوشُهُ      فَقُبِّحْتَ مَذْعُوراً وَلُبَّيْتَ دَاعِياً  
فَلَيْتَ عُبَيْدَ اللَّهِ حَلَّ مَحَلُّهُ      فَأَوْدَى وَلَمْ أَسْمَعْ لِتُوبَةٍ نَاعِياً

وقالت:

[الطويل]

أَعِينِي أَلَا فَابِكِي عَلَى ابْنِ حُمَيْرٍ      بَدَمَعَ كَفَيْضِ الْجَذُولِ الْمُتَفَجِّرِ  
لِتَبْكِ عَلَيْهِ مَنْ خَفَاجَةٌ نِسْوَةٌ      بِمَاءِ سُؤُونَ الْعَبْرَةِ الْمُتَحَدِّرِ

خَفَاجَةٌ بن عَقِيل.

سَمِعْنَ بِهَيْجَا أَوْجَفَتْ فَذَكَرْتُهُ      وَقَدْ يَنْبَعُ الْأَخْزَانِ طَوْلُ التَّذْكَرِ  
كَأَنَّ فَتَى الْفِتْيَانِ تَوْبَةٌ لَمْ يُنْخَ      بَنَجِدَ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ الْمُتَغَوِّرِ  
وَلَمْ يَرِدِ الْمَاءُ السُّدَامَ إِذَا بَدَا      سَنَا الصُّبْحِ فِي أَغْقَابِ أَخْضَرَ مُذِيرِ

السُّدَام: الآبار القديمة المندفنة. وجمعها سُدُوم. وقولها: «سنا الصبح»، السنا: من الضوء، مقصور كقول الله جلَّ وعز: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾<sup>(٢)</sup>. والسَّاء: من الشرف، ممدود.

وقولها: «في أعقابِ أَخْضَرَ مُذِيرٍ»، تعني الليل، تريد بأخضر: أسود. وجعلته مدبراً لورود الصبح.

وَلَمْ يَقْدَعْ الْخَضَمَ الْأَلَدَّ وَيَمْلَأِ الْـ      جِفَانَ سَدِيفاً يَوْمَ نَكْبَاءِ صَرْصَرِ

النكباء: الريح بين الريحين. والسديف: شقق السنام، والصرصر: الريح الشديدة الصوت، الباردة.

أَلَا رَبِّ مَكْرُوبٍ أَجَبْتَ وَنَائِلٍ      فَعَلْتَ، وَمَعْرُوفٍ لَدَيْكَ وَمُنْكَرٍ  
فَيَا تَوْبَ لِلْمَوَلَى، وَيَا تَوْبَ لِللُّدَى      وَيَا تَوْبَ لِلْمُسْتَنْبِحِ الْمُتَنَوِّرِ

فقال لها رجل: ما كان توبة كما ذكرت. وقلت «فتى الفتيان» وما كان كذلك. فقالت: إن كنت كاذباً فأشَلَّ اللَّهُ عَشْرَكَ<sup>(٣)</sup>، وأدام فقرك. كان

(١) طرق القوم طروقاً: أتاها بالليل. (٢) سورة النور: الآية ٤٣. (٣) العشر: أصابع اليدين.

والله شديد المرّة<sup>(١)</sup>، لئِن العَطْفَة، يُرضيه أقل مما يُسخطه.

وقالت أيضاً:

[الطويل]

نَظَرْتُ وَرُكُنَ مَنْ أَبَانِينَ دُونَهُ      مَفَاوِزُ حِسْمَى أَي نَظَرَةَ نَاطِرٍ  
كَأَنَّ فَتَى الْفِثْيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنِخْ      فَلَايِصُ يَفْحَضُنَ الْحَصَى بِالْكَرَاكِرِ  
وَلَمْ يَبْنِ أَبْرَاداً عِتَاقاً لِفِثْيَةٍ      كِرَامٍ وَيَزْحَلُ قَبْلَ فَيءِ الْهَوَاجِرِ  
فَتَى لَا تَخْطَأُ الرِّفَاقَ وَلَا يَرَى      لِقَدْرِ عِيَالاً دُونَ جَارِ مُجَاوِرِ  
فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ      فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ بِنِ عَامِرِ

البواء: الأمثال. يقال: باء فلان بفلان إذا قُتل به. تقول: فإن تكن القتلى ببوء بعضها ببعض، فإن توبة فوق ذلك.

وأما قوله جل وعز: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾<sup>(٢)</sup>، إنما هو إن فعلت أن تحتمل الإثمين المتساويين: الذي رَدَّ عليك قربانك فلم يُقبل من أجله، وقتلك إياي، وكان كل واحد منهما كفاء الآخر. هذا اشتقاق هذا المعنى. ومن ذلك قول مهلهل بن ربيعة حين قتل بُجَيْرَ بن الحارث بن عباد: بُوْ بِشْنَعِ كُليب، فقبل للحارث بن عباد: إن ابنك بُجَيْراً قد قُتل. قال: إنه لأعظم قتيل بركة إن أصلح الله به بين ابني وإل. قيل: إن مهلهلاً لما قتله قال: بُوْ بِشْنَعِ كُليب. فعند ذلك دخل الحارث في حربهم ولم يكن دخلها.

رَجَعَ الشَّعْرُ

وإِلَّا يَكُنْ فِيهَا بَوَاءً فَإِنَّكُمْ      سَتَلْقَوْنَ يَوْمًا سِرُّهُ غَيْرُ صَادِرٍ  
وَكُنْتَ إِذَا مَوْلَاكَ خَافَ ظِلَامَةً      دَعَاكَ وَلَمْ يَغْدِلْ سِوَاكَ بِنَاصِرٍ  
وَقَدْ كُنْتَ مَزْهُوبَ الْجَنَانِ وَبَيْنَا      وَمِجْدَامَ سَيْرٍ دَائِباً غَيْرَ قَاتِرٍ  
فَنِعْمَ الْفَتَى إِنْ كَانَ تَوْبَةً فَاجِراً      وَفَوْقَ الْفَتَى إِنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ  
أَتَتْهُ الْمَنَايَا دُونَ دِرْعِ حَصِيَّةٍ      وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَجَزْدَاءِ ضَامِرٍ  
فَبِاللهِ تَبْنِي بَيْتَهَا أُمُّ عَاصِمٍ      عَلَى مِثْلِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ

وروت الرواة أنها زارت قبره، فجعلت تقول: يا توبة، يا توبة! ثم أقبلت

(١) المرّة: القوة.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢٩.

على مَنْ معها بعد أن سلَّمت على القبر. فقالت: ما كذبتني قبلها. فقيل: فيم ذاك، وما تبيَّن منه كذباً. قالت: لأنه قال في بعض قوله:

[الطويل]

ولو أنَّ لَيْلى الأَخِيلِيَّةَ سَأَلَتْ      عَلِيَّ وَدُونِي تُزْبَةُ وَصَفَائِحُ  
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَائِثَةِ أَوْ زَقَا      إِلَيْهَا صَدَى مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ صَائِحُ  
قال: وهذا الكلام غاية المدح، لا لأنها جهلت حال الموتى ولكنها دلت على أنه لم تُعرَف منه كذبة قط حتى يُعتدَّ عليه بها ميتاً.

وقال سليمان ابن قَتَّة<sup>(١)</sup>، وهو مولى لبني تيم، وانقطاعه إلى بني هاشم - يذكر يوم الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

[الطويل]

مَرَزْتُ عَلَى أَبْيَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ      فَلَمْ أَرَهَا كَعَهْدِهَا يَوْمَ حُلَّتْ  
فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا      وَإِنْ أَضْبَحْتَ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَحَلَّتْ  
وَكَانُوا رَجَاءً ثُمَّ عَادُوا رَزِيَّةً      فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا وَجَلَّتْ  
وَإِنْ قَتِيلَ الطِّفُّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ قَذَلَّتْ  
وَعِنْدَ غَنِيِّ قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِنَا      سَنَجْزِيهِمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتْ  
إِذَا افْتَقَرْتُ قَيْسُ بَبْرُنَا فَقِيرَهَا      وَتَقَتَّلْنَا قَيْسُ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ

قال أبو العباس: أنشدنيها الرِّياشي، وأنشدني ما بعدها ممَّا أُمليه إلى انقطاعه.

وقال الفرزدق يذكر ابْنِي مِسْمَعٍ، وكان قد قتلها معاوية بن يزيد بن المهلب بعد قتل ابنه، وكانا مروانيَّين، وكان سائر بكر بن وائل مع يزيد بن المهلب، وكان «المثوف» مولى بني قيس بن ثعلبة، على شرطة يزيد، فقتل لسبب عنده مع يزيد فبكته بكر بن وائل وهو مولى وأعرضت عن ابني مسمع وهما صليبة. فقال الفرزدق:

[الطويل]

تُبَكِّي عَلَى الْمَثُوفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ      وَتَنْهَى عَنِ ابْنِي مِسْمَعٍ مَنْ بَكَاهُمَا  
غُلَامَانِ شَبَا فِي الْحُرُوبِ وَأَذْرَكَ      كِرَامَ الْمَسَاعِي قَبْلَ وَضَلِّ لِحَاهُمَا

(١) سليمان ابن قطة البصري: نسبته إلى أمه «قطة» من كبار الشعراء وصديق أسد بن عبد الله القسري المتوفى سنة ١٢٠ هـ (تاريخ الطبري: ج ٨، ص ١٢٠).



وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكُ وَابْنُ مَالِكٍ إِذْنُ أَوْقَدَا نَارَيْنِ يَغْلَو سَنَاهُمَا

وقال الفرزدق أيضاً يرثي ابنين له ماتا في مدة يسيرة:

[الطويل]

رَزِيَّةُ شِبْلِي مُخْدِرٍ فِي الضَّرَاغِمِ  
وَإِنْ عَاشَ أَيَّاماً طَوَالاً بِسَالِمِ  
عَلَيْهِ الْمَنَايَا مَنْ ثَنَايَا الْمَخَارِمِ  
إِذَا ارْتَفَعَا فَوْقَ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ  
وَإِخْوَانَهُمْ فَاقَتْنِي حَيَاءُ الْكَرَائِمِ  
وَعَمَرُوا بَنُ كُلتُومِ شِهَابِ الْأَرَاقِمِ  
وَعَمَرُوا وَأَبُو عَمْرٍو وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمِ  
وَمَاتَ أَبُو غَسَّانَ شَيْخُ اللَّهَازِمِ  
عَشِيَّةَ بَانَا، رَهْطُ كَغَبٍ وَحَاتِمِ  
فَلَنْ يُرْجَعَ الْمَوْتَى حَنِينُ الْمَاتِمِ

بِغِي الشَّامِتِينَ التُّرْبَ إِنْ كَانَ مَسْنِي  
وَمَا أَحَدٌ كَانَ الْمَنَايَا وَرَاءَهُ  
أَرَى كُلَّ حَيٍّ لَا تَزَالُ طَلِيعَةً  
يُذَكِّرُنِي ابْنِي السُّمَّاكَانِ مَوْهِنَا  
وَقَدْ رُزِيَءُ الْأَقْوَامِ قَبْلِي بَنِيهِمْ  
وَمَاتَ أَبِي وَالْمُنْذِرَانِ كِلَاهُمَا  
وَقَدْ كَانَ مَاتَ الْأَقْرَعَانِ وَحَاجِبُ  
وَقَدْ مَاتَ بِسْطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ  
وَقَدْ مَاتَ خَيْرَاهُمْ فَلَمْ يُهْلِكْ كَاهُمْ  
فَمَا ابْنَاكَ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاضْبِرِي  
ويقال: حَنِينٌ<sup>(١)</sup>.

وماتت امرأة له أيضاً وبها حملٌ، فقال:

[الطويل]

عَلَيْهِ وَلَمْ أَنْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا  
لَوْ أَنَّ النَّمَنَايَا أَرْجَأَتْهُ لَيَالِيَا

وَجَفْنِ سِلَاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَتُخْ  
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيطَةٍ

وقال بعض الشعراء يعزي رجلاً عن ابنه:

[الكامل]

وَاعْلَمَ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُحَلَّدٍ  
فَإِذْكَزْ مُصَابِكَ بِالتَّبْيِ مُحَمَّدٍ

اضْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ  
وَإِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَمُصَابَهُ

وقال الْحَكَمِيُّ<sup>(٢)</sup> وأحسن جداً:

[الطويل]

وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ  
لَقَدْ أَنْسَتْ مِمَّنْ أَحَبُّ الْمَقَابِرُ

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ  
لَيْنٌ أَوْحَشَتْ مِمَّنْ أَحَبُّ مَنَازِلُ

(١) الحَنِينُ: صوت من الخيشوم.

(٢) الحكمي: أبو نواس.

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَخَذَرُ الْمَوْتِ وَخَدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَاذِرُ  
وهذا يشبه قول التيمي<sup>(١)</sup> في يزيد بن مزيد<sup>(٢)</sup>:

[الوافر]

لَقَدْ عَزَى رَبِيعَةً أَنْ يَوْمًا عَلَيْهِا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ  
وقال حارثة بن بدر الغداني يرثي زياداً<sup>(٣)</sup>:

[البسيط]

صَلَّى إِلَاهُ عَلَى قَبْرِ وَطْهَرَهُ عِنْدَ الثَّوِيَّةِ يُسْفَى فَوْقَهُ الْمَوْرُ  
زَفَّتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَغَشَ سَيِّدَهَا فَالْجُودُ وَالْحَزْمُ فِيهِ الْيَوْمَ مَقْبُورُ  
أَبَا الْمُغِيرَةِ وَالْدُّنْيَا مُفْجَعَةٌ وَإِنَّ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ  
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَغْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلتُّكْرَاءِ تَنْكِيرُ  
وَكُنْتَ تُغْشَى وَتُغْطَى الْمَالُ مِنْ سَعَةٍ إِنْ كَانَ بِأُفْكٍ أَضْحَى وَهُوَ مَهْجُورُ  
فَالنَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ كَأَنَّمَا نَفَخَتْ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ

وقال خُلَيْدٌ عَيْنَيْنِ<sup>(٤)</sup> يرثي المُنْذَرَ بْنَ الْجَارُودِ الْعَبْدِيِّ<sup>(٥)</sup> وكانت بَحْرِيَّةُ ابنة  
المنذر تحت عبيد الله بن زياد، ومات المنذر بالسُّنْدِ في موضع يقال له  
«قُضْدَار»<sup>(٦)</sup>:

[السريع]

بَحْرِيٌّ، قُومِي فَأَنْدُبِي مُنْذِرًا وَابْكِي ابْنَ بَشِيرٍ سَيِّدَ الْوَافِدِينَ  
وَابْكِي أَبَا الْأَشْعَثِ لَمَّا ثَوَى بِالْهِنْدِ لَمْ يَقْفُلْ مَعَ الْقَافِلِينَ

(١) عبد الله بن أيوب «أبو محمد التيمي» شاعر عباسي مدح الأمين والمأمون (٢٠٩ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٧٣).

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني «أبو خالد» أمير شجاع ووالٍ على أرمينية وأذربيجان وأخباره كثيرة في الشجاعة والكرم قتل ابن طريف وتوفي ببردعة (من بلاد أذربيجان) (١٨٥ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ١٨٨).

(٣) زياد بن أبيه.

(٤) خُلَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ بْنِ مَالِكٍ «من عبد القيس» نزل بأرض تعرف بالعينين في البحرين فنسب إليها «الشعر والشعراء» ص ٤٣٤.

(٥) المنذر بن الجارود العبدي: أمير جواد ولاء علي بن أبي طالب اصطخر وعزله ثم ولاء عبيد الله بن زياد بن أبيه ثغر الهند ومات فيها (١ - ٦١ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٩٢).

(٦) قُضْدَارُ أَوْ قُزْدَارُ: من نواحي الهند بينها وبين بُسْتِ ثمانون فرسخاً (معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٤١).

جَاوَرَ قُضْدَارَ وَأَكْنَفَاهَا  
 فِي جَدَثٍ عَافٍ، بِمَهْجُورَةٍ  
 فَأَضْبَحَ الْمَجْدُ بِهَا ثَاوِيَا  
 لِّلْهِ قُضْدَارَ وَأَكْنَفَاهَا  
 قَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي فَمَا أَمْتَرِي  
 مَا الْحَيُّ وَالْمَيِّتُ فِيمَا تَرِي  
 إِلَّا كَغَادٍ رَاحَ أَضْحَابُهُ  
 مَاتَ بِهَا الْجُودُ وَأَوْدَى النُّدَى

تَسْفِي عَلَيْنِ الرِّيحُ مَوْرَ الدَّرِينِ<sup>(١)</sup>  
 نَاءٍ عَنِ الزُّوَارِ وَالْعَائِدِينَ  
 بَيْنَ صَفَا صُفْمٍ وَصَخْرِ رَزِينِ  
 أَيَّ فَتَى ذُنْيَا أَجَنُّتُ وَدِينِ  
 حَقًّا سِوَى الظَّنِّ وَقَوْلِ الْيَقِينِ  
 مِنْ حَدَثِ الدَّهْرِ وَرَيْبِ الْمَنُونِ  
 أَوْ رَائِحِ فِي أَثَرِ الْمُفْتَدِينَ  
 وَأَنْقَطَعَ الْخَيْرُ عَنِ السَّائِلِينَ

وقال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه :

[البسيط]

نَعَى الثُّعَاةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا  
 حُمَلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاضْطَبَرَتْ لَهُ  
 فَالْشَّمْسُ طَالِعَةً لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ  
 يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ  
 وَقُمْتَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَ  
 تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ

وقال بكير بن مَعْدَانَ الْيَزْبُوعِي يرثي يحيى بن مُبَشَّرٍ، وكان قُتِلَ بِمَسْكِنِ<sup>(٢)</sup>

مع مصعب بن الزبير :

[السريع]

صَلَّى عَلَى يَخْيَى وَأَشْيَاعِهِ  
 لَمَّا عَصَى الْمُضْعَبَ أَضْحَابُهُ  
 أَمْ غَبَيْنِدِ اللَّهِ مَخْزُونَةٌ  
 يَا فَارِسًا، مَا أَنْتَ مِنْ فَارِسٍ  
 قَوْلٍ مَغْرُوفٍ وَقَعَّالِهِ  
 لَا تَخْرُجُ الْأَضْيَافُ مِنْ بَيْتِهِ  
 مَنْ يَكُ لَا سَاءَ فَقَدْ سَاءَنِي

رَبُّ غَفُورٍ وَشَفِيعُ مُطَاغٍ  
 أَذَى إِلَيْهِ الْكَئِيلَ صَاعًا بِصَاغٍ  
 مَا نَوْمُهَا بَغْدَكَ إِلَّا الرُّوَاغُ  
 مَوَاطِلُ الْبَيْتِ رَحِيبِ الدَّرَاغِ  
 عَقَّارُ مَثْنَى أُمَّهَاتِ الرُّبَاغِ  
 إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ رِوَاءُ شِبَاغٍ  
 تَرَكُ أَبْيَنَيْكَ إِلَى غَيْرِ رَاغٍ

وحدَّثنا بعض جلساء القَحْذَمِيِّ<sup>(٣)</sup>، وذكر امرأة من الأعراب، فقال: كان لها

(١) مور الدارين: فريضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند (معجم البلدان: ج ٥، ص ٤٣٢).

(٢) مَسْكِن: موضع عند دير الجاثليق قتل فيه مصعب سنة ٧٢ هـ على نهر دجيل (معجم البلدان: ج ٥، ص ١٢٧).

(٣) أبو عبد الرحمن الوليد بن هشام القذحي: بصري توفي سنة ٢٢٢ هـ (البيان والتبيين: ج ٢، ص ١٩٢).

أربعة بنين، وكان يُمَرُّ بها إخوة أربعة غادون لشأنهم، وكانت تأنسُ بهم  
لمشاكلتهم بنيتها في العدد والأسنان، ثم أصيب بنوها جميعاً إما بطاعون أو ما  
يشبهه فاجتنبها الإخوة الأربعة إبقاءً عليها من الحزن إذا رأتهم، ثم عزموا عزمةً  
على المرور بها مرحاً وبغياً. فلما رأتهم ذرفت عيناها وتمثلت:

[الكامل]

لَنْ يُلْبِثَ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا      لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ  
فاعتلَّ أحدهم فمات، فغَبَرَ الثلاثة لا يقربونها، ثم فعلوا فلما رأتهم تمثلت:

[السريع]

كُلُّ بَنِي أُمٍّ وَإِنْ أَكْثَرَتْ      يَوْمًا يَصِيرُونَ إِلَى وَاحِدٍ  
فلم يلبث واحدٌ منهم أن مات. وغَبَرَ الاثنان لا يقربانها، ثم اجتازا بها على  
نحو ما فعلوا من المَرَحِ والدَّالَّةِ، فلما رأتهما قالت:

[الوافر]

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ      لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ  
فمات أحدهما فاجتنبها الباقي دهرًا. ثم مرَّ بها فتمثلت:

[السريع]

وَالوَاحِدُ الْفَرْدُ كَمَنْ قَدْ مَضَى      لَيْسَ بِمَثْرُوكٍ وَلَا خَالِدٍ  
فقال: أقيليني جعلني الله فداك، فإني والله غير عائد.

قال أبو العباس: وهذان بيتان قديمان لا يعرف قائلهما. ويروى أن أبا بكر  
الصديق رحمه الله كان ينشدهما، فبعض الناس يقول: هما له:

[مجزوء الكامل]

تَنفَكَ تَسْمَعُ مَا حَيِيَّتْ      بِهَالِكٍ حَتَّى تَكُونَهُ  
وَالْمَرْءُ قَدْ يَزْجُو الرَّجَا      ءَ مُغَيِّبًا وَالْمَوْتُ دُونَهُ  
وقال وضاح اليَمَن<sup>(١)</sup>:

[المنسرح]

يَا مَوْتُ مَا إِنَّ تَزَالُ مُغْتَرِضًا      لِأَمَلٍ دُونَ مُنْتَهَى الْأَمَلِ  
لَوْ كَانَ مَنْ فَرَّ مِنْكَ مُثْقَلِتًا      إِذْنٌ لَأَوْشَكْتُ رَحْلَةَ الْجَمَلِ

(١) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال من آل خولان من جَمَيْر: شاعر غزلي جميل الطلعة قتله  
الوليد بن عبد الملك لتغزله بأم البنين زوجته (٩٠ / ٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٩٩).

وقال معن بن أوس المزني<sup>(١)</sup>:

[الطويل]

أَلَمْ تَغْلَمِي عَمراً وَسُفْيَاناً بَعْدَهُ      وَضَمْرَةً أَمْسَى فَاتَنِي وَمُسَافِعُ  
أُولَئِكَ لَا أَتُنُّنَ كَانُوا فَوَارِسِي      بِهِمْ كُنْتُ أَسْتَخْشِي الْعِدَا وَأُدَافِعُ  
فَأُضْبَحْتُ أَزْقِي الشَّامِتِينَ رُقَاهُمْ      لِيَزْبُوَ طِفْلٌ أَوْ لِيُجْبَرَ ظَالِعُ  
وَصَانَعْتُ فِي أَشْيَاءَ لَوْ أَنَّهُمْ مَعِي      لَبَاعَدْتُ حَتَّى تَسْتَقِيدَ الثَّوَابِعُ

قال: وحدثني الرياشي في إسناده قال: أنشد عروة بن الزبير قوله «بهيم كنت أستخشي العدا وأدافع»، فقال عروة: فهلاً قال: «فبالله، أستخشي العدا وأدافع» ولا ينكسر عليه شعره.

قال الرياشي: وأنشد عبد الله بن عمر قول حسان بن ثابت:

[المنسرح]

يَأْبَى لِي السَّيْفُ وَاللُّسَانُ وَقَو      مَ لَمْ يُضَامُوا كَلْبِدَةَ الْأَسَدِ  
فقال: هلاً قال: «يأبى لي الله». ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال محمد بن حرب الهلالي: أتى حيَّان بن سلمى العامري قبر عامر بن الطفيل ولم يكن شاهده فقال: أنعم صباحاً أبا علي، واللَّهِ لقد كنت سريعاً إلى المولى بوعدك، بطيئاً عنه بإيعادك، ولقد كنت أهدى من النجم، وأجراً من السيل. ثم التفت إليهم فقال: كان ينبغي أن يصيروا قبر أبي علي ميلاً في ميل.

وقال محمد بن علي المنسوب إلى أمه الحنفية<sup>(٢)</sup>: أيُّها الناس، إنكم في هذه الدار أغراضٌ تنتضلُ فيكم المنايا، لن يستقبل أحدٌ منكم يوماً جديداً من عمره إلا بآخرٍ من أجله، فأيةُ أكلةٍ ليس معها غَصَصٌ، أم أيةُ شربةٍ ليس معها شَرَقٌ؟ فاستصلحوا ما تقدّمون عليه بما تظعنون عنه، فإنَّ اليومَ غنيمةٌ، وغداً لا يُدرى لمن هو. أهلُ الدنيا أهلُ سَفَرٍ، يحلُّون عقدَ رحالهم في غيرها. قد خلت من قبلنا أصولُ نحن فروعها. فما بقاء الفرع بعد أصله؟ أين الذين كانوا أطولَ منا أعماراً وأبعدَ منا آمالاً؟ أذاك يابن آدم ما لا تردُّه، وذهب عنك ما لا يعود إليك. فلا تعدنَّ عيشاً منصرفاً عيشاً مالك منه إلا لذةً تزدلفُ بك إلى حمامك، وتقربك

(١) معن بن أوس المزني: شاعر مجيد مخضرم كف بصره في آخر حياته (-/ ٦٤ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٧٣).

(٢) محمد بن علي بن أبي طالب: أمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها تمييزاً عن الحسن والحسين من أبطال الإسلام الأشداء (٢١ - ٨١ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٢٧٠).

من أجلك، فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والسَّوادَ المُخْتَرَم<sup>(١)</sup>. فعليك بذات نفسك، ودَعْ ما سواها، واستغن بالله يُغنك.

ومما يُستحسن من قول مُتَمِّم بن نويرة الدالُّ على صحة عقله وتمكُّن الحزن من قلبه، وقلة نسيانه أخاه، أنه كان لا يمرَّ بقبر، ولا يُذكر الموت بحضرته إلا قال: «يا مالك» ثم فاضت عبرته، ففي ذلك يقول:

[الطويل]

وقالوا أتبكي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ      لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنِ اللَّوَى والدَّكَادِكِ  
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْبُكَاءَ      ذَرُونِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ  
ومن هذه المختصرات قولُ هشام بن عقبة<sup>(٢)</sup>، أخي ذي الرُّمة، وكان له إخوة جماعة فمات أكبرُهم، وكان يُقال له: «أوفى» ثم مات ذو الرمة، وكان يُقال له: «غيلان» فقال هشام:

[الطويل]

تَسَلَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَغْيِلَانَ بَعْدَهُ      عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ بِالماءِ مُثْرَعُ  
وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ      وَلَكِنْ نَكَءُ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ  
فاختصر هذا اختصاراً يوفّر على كلِّ واحدٍ منهما نصيبه من الحزن.

ويُروى من غير وجهٍ أنَّ حسان بن ثابت دخل على النابغة الذبياني فتلقته الخنساء خارجةً من عنده، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

[الكامل]

أولادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ      قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ  
يُغَشُّونَ حَتَّى مَا تَهْرُ كَلَابُهُمْ      لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ  
فقال: إنك لشاعر وإن أخت بني سليم لبكاءة.

قال أبو العباس: فمما قدمناه من شعرها واستحسنه من تخلصها قولها:

[المتقارب]

أَعَيْنِي جُوداً وَلَا تَجْمُدَا      أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى؟  
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءَ الْجَمِيلَ      أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا؟

(١) المُخْتَرَم: اخترم فلان: مات.

(٢) هشام بن عقبة العدوي: شاعر أخو ذي الرمة «غيلان» وهو الذي رباه وبينهما مساجلات في الشعر (١٢٠/هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ٨٧).

فجعلته سادَ حدثاً ووَكَّدتْ ذلك وزادت فيه وأوضحته بأن قالت :

طَوِيلَ الْعِمَادِ عَظِيمَ الرِّمَا	دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمَرَدَا
إِذَا الْقَوْمُ مَدُّوا يَأْيَدِيَهُمْ	إِلَى الْمَجْدِ مَدًّا إِلَيْهِ يَدَا
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيَدِيَهُمْ	مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ نَمَا مُضْعِدَا
يُكَلِّفُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ	وَإِنْ كَانَ أَضْغَرَهُمْ مَوْلِدَا
تَرَى الْمَجْدَ يَهْوِي إِلَى بَيْتِهِ	يَرَى أَفْضَلَ الزَّادِ أَنْ يُخَمِّدَا

فقرنت له المجد بالحمد .

ويقال : بل صحَّ أنه كان من دعاء سعد بن عبادَةَ<sup>(١)</sup> - وهو سيّد الخزرج - :  
اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مَجْدًا وَحَمْدًا فَإِنَّهُ لَا مَجْدَ إِلَّا بِمَالٍ ، وَلَا حَمْدَ إِلَّا بِفَعَالٍ .

وكان سبب ميته أخيها صخر أنه شهد حرباً فأبلى فيها وتقدّم، فحمل عليه رجلٌ من القوم فطعنه في خاصرته، فتحامل في الجراحة فجَوِيَ منها ولم يُفْصَدْ فخرج منها كمثل اليد، وأضنته حَوْلًا أو حَوْلِينَ لَا يَتْبَعُ، فسمع من يسأل امرأته عن علّته، وأين بلغت منه، فقالت امرأته قولاً يدل على البرم به، والمَلَل لِصُحْبَتِهِ : « لَا حَيٌّ فِيرَجِي ، وَلَا مَيِّتٌ فَيُحْتَسَبُ » . والتفت إلى أمّه فإذا دموعها تجري فقال :

[الطويل]

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ مَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا	وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جِنَازَةً	عَلَيْكَ ، وَمَنْ يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ
فَأَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بَأْمٍ حَلِيلَةٍ	فَلَا عَاشٍ إِلَّا فِي شَقَاً وَهَوَانٍ
لَعَمْرِي لَقَدْ نَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا	وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ	وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالْتِزْوَانِ

فلما رأى ذلك برِمَ بتلك الخُرَاجَةِ من جنبه، فأشاروا بقطعها ففَعَلَ، فلما قطعها يئِس من نفسه، ففي ذلك يقول :

[الطويل]

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْمَنُونِ قَرِيبُ	مِنَ النَّاسِ كُلِّ الْمُخْطِئِينَ تُصِيبُ
---------------------------------------	--

(١) سعد بن عبادَةَ بن دليم بن حارثة الخزرجي «أبو ثابت» صحابي من المدينة وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام كان سيّد الخزرج ولقب بالكامل في الجاهلية خرج إلى الشام ومات بحوران (.... / ١٤ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٨٥).

كَأَنِّي وَقَدْ أَذْنُوا إِلَيَّ شِفَارَهُمْ      مِنْ الْبُزْلِ أَخَوَى الصَّفْحَتَيْنِ نَكِيبُ  
أَجَارَتْنَا لَا تَسْأَلِيَنِي فَلِإِنِّي      مُقِيمٌ لَعَمْرِي مَا أَقَامَ عَسِيبُ  
قال أبو عبيدة: و «عسيب»: جبل معروف، فقبره هناك معروف المكان.

قوله «من البزل»: يعني: كأني بغير قَرَمٍ من الإبل قد كُويَ لداءٍ به، فيقول:  
أحللت ذاك المحلَّ لقطع ذلك اللحم وكيته، وجعله أخوى الصفحتين، وهما  
الجنبان، لتتابع الهناء عليه ضئاً به و «النكيب» و «الأنكب» واحد، وهو الحامل،  
وذلك مما يوصف به الفحل أنه يحمل نشاطاً وتكبراً.

وكانت الخنساء تقول الأبيات اليسيرة، فلما أصيبت بأخيها صخر جذت  
وأجادت، وجمعت نفسها وشهرت. فمما يُستحسن من شعرها قولها في قصيدة  
أولها:

[البسيط]

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِثْلِكَ تَغْزَارِ      وَابْكِي لِصَخْرِ بِدَمْعٍ مِثْلِكَ مِذْرَارِ  
وقولها:

إِنِّي أَرَقْتُ فَبِثُّ اللَّيْلِ سَاهِرَةً      كَأَنَّمَا كُحِلْتُ عَيْنِي بِغُورِ  
والغُور والعائر سواء، وهو المُستأخذ، أشدُّ الرمد وأغلبه، كما قال القائل:

[البسيط]

بِأَعْيُنٍ لَمْ يُصِْبْهَا عَائِرُ الرَّمَدِ

وكما قال الراعي<sup>(١)</sup>:

[البسيط]

غَضًا كَمَا نَظَرَ الْمُسْتَأْخِذُ الرَّمَدُ

أَرْغَى النُّجُومَ وَمَا كُفِّتْ رَغِيَّتُهَا      وَتَارَةً أَتَغَشَّى فَضْلَ أَظْمَارِ  
إِنِّي سَمِعْتُ فَلَمْ أَبْهَجْ بِهِ خَبَرًا      مُخْبِرًا جَاءَ يَنْثُو جَمْعَ أَخْبَارِ  
قَالُوا: ابْنُ أُمِّكَ أَمْسَى فِي الضَّرِيحِ وَقَدْ      شَدُّوا عَلَيْهِ بِأَغْوَادٍ وَأَخْجَارِ  
أَذْهَبَ فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ      تَرَاكَ ضَيْمٌ وَطَلَابٌ بِأَوْتَارِ

(١) عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري «أبو جندل» شاعر فحل لقب بالراعي لكثرة وصفه  
الإبل عاصر الفرزدق وجريير وقد هجاه جريير لتفضيله الفرزدق (-/ ٩٠ هـ) (الأعلام: ج ٤،  
١٨٨).



قَدْ كُنْتُ تَحْمِلُ قَلْباً غَيْرَ مُؤْتَسِبٍ      مُرْكَباً فِي نِصَابٍ غَيْرِ خَوَارٍ  
الخَوَار: الضعيف.

وحدثني رجل من بني هاشم عن سعيد بن سلم الباهلي. قال: كنت مع أمير المؤمنين هارون الرشيد في سفر، فسأل عما حمل معه من الثلج، فاستقل، ما ذكر له فاغتاظ واحتد، فتركته حتى سكن غرؤه ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إني أقول كلاماً والله ما أريد به مَلَقاً ولا تنبيهاً على نفسي لأنني فطنتُ إلى ما لم يَقْطُنْ إليه مَنْ سِوَايَ، وما أقوله إلا بالنصيحة المحضّة. فقال: هات. فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك قسمت الدّهر شطرين، شطراً للحجّ، وشطراً للغزو؛ والمسافر يردّ على ضروب من المياه، وسفرُك أكثر من حضرُك، فلو أنّ أمير المؤمنين عود نفسه الخشونة شيئاً فمتى احتاج إليها لم تُنكرها النفس لتلك العادة. قال: فأطرق ثم قال: يا سعيد، بنضح قلت، ولكنا نلبس العافية ما لبستنا، فإن اضطررنا رجعنا إلى أصل غير خوار.

رجع الشعر.

جَلَدُ الْمَرِيرَةِ حُرٌّ وَابْنُ أَحْرَارِ	مِثْلُ السَّنَانِ كَضَوْءِ الْبَدْرِ صَوْرَتُهُ
وَمَا أَضَاءَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَّارِي	فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ
حَتَّى تَعُودَ بَيَاضاً حُلُكَةً الْقَارِ	وَلَنْ أَسَالِمَ قَوْماً كُنْتُ حَزْبَهُمْ
عَمِيدَ قَوْمٍ نِدَاءَ غَيْرِ أَسْرَارِ	أَبْلِغْ خُفَافاً وَعَوْفاً غَيْرَ تَقْصِيرَةٍ
شَهْبَاءَ تَفْرِي بِأَثْيَابٍ وَأَظْفَارِ	وَالْحَرْبُ قَدْ سَعِرَتْ حَزْباً مُذَكَّرَةٍ
وَشَمُّرُوا إِنَّهَا أَيَّامُ تَشْمَارِ	شُدُّوا الْمَآزِرَ حَتَّى تَسْتَقِيدَ لَكُمْ
وَكُلُّ نَفْسٍ إِلَى وَقْتٍ وَمِثْقَالِ	وَابْكُوا فَتَى الْحَيِّ لَأَقْتُهُ مَنِئِيَّتُهُ
رَامُوا الشَّكِيمَةَ مِنْ ذِي لَبْدَةٍ ضَارِ	كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَامُوهُ بِجَمْعِهِمْ

والشكيمة: شدة النفس وصحة العزيمة. والشكيمة. الحديدة المعترضة في اللجام.

مُجَدَّلٍ خَرَّ كَرْهَاً غَيْرَ مُخْتَارِ	حَتَّى تَفَرَّجَتْ الْأَلْفُ عَنْ رَجُلٍ
بِعَانِيدٍ مِنْ نَجْمِ الْجُوفِ ثَوَارِ	تَجِيشٍ مِنْهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ مُزِيدَةٍ
حَتَّى تَلْأَقُوا أُمُوراً ذَاتَ آثَارِ	لَوْ مِنْكُمْ كَانَ فِينَا لَمْ يُنَلْ أَبْدَأُ
هَلْ تَعْرِفُونَ ذِمَامَ الضَّيْفِ وَالْجَارِ؟	أَغْنِي الَّذِينَ إِلَيْهِمْ كَانَ مَنْزِلُهُ

ثَعَاتِبُ خُفَافٍ بِ: ثَانَةٍ وَعَوْفاً لِأَمَامِ هَرَاءٍ. وهما من المعدودين من

الفرسان . وكان خُفاف من فرسان العرب وأدرك الإسلام فأسلم .

لَا صَلَحَ حَتَّى تَكْرُوا الْخَيْلَ عَابِسَةً      تَغْدُو وَتَرْمِي بِمِهْرَاتٍ وَأَمْهَارِ  
فَتَغْسِلُوا عَنْكُمْ عَاراً تَجَلَّلَكُمْ      غَسَلَ الْجَوَارِي حَيْضاً عِنْدَ أَطْهَارِ  
قال : هذا مثلٌ .

وقالت أيضاً ترثي صخرأ :

[المقارب]

أَلَا مَا لِعَيْنِكَ أُمَ مَالِهَا      لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا  
فَأَقْسَمْتُ أَسَى عَلَى هَالِكِ      وَأَسْأَلُ نَائِحَةً مَالِهَا  
أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو (بن آل) الشَّريِّ      دِ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

معنى حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا : من الحِلْيَةِ : أي زَيَّنَتْ بِهِ أَثْقَالَهَا ، تعني الموتى . قال الله عز وجل : ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾<sup>(١)</sup> قالوا : يعني الموتى .

لَعَمْرُ أَبِيهِ لَنِغَمَ الْفَتَى      تَحُشُّ بِهِ الْحَرْبُ أَجْدَالَهَا  
أي توقد به الحرب أجذالها . والجِذْل : أصل الشجرة . فضربته مثلاً لشدة الاتِّقَاد ، وأنه صاحب ذلك .

حَدِيثُ السُّنَانِ ذَلِيقُ اللُّسَانِ      يَجَارِي الْمَقَارِضَ أَمْثَالَهَا  
وَحَيْلٌ تَكْدُسُ مَشْيَ الْوَعْوِ      لِي نَازِلَتْ بِالسَّيْفِ أَبْطَالَهَا  
بِمُغْتَرِكِ بَيْنَهُمْ ضَيْقِ      مَجَرَّ الْمَنِيَّةِ أَذْيَالَهَا  
تُقَابِلُهَا فَإِذَا أَذْبَرَتْ      بَلَلَتْ مِنَ الطُّغْنِ أَكْفَالَهَا  
الأَكْفَالُ : واحدها كِفْلٌ وهو الرِّدْف من الرجل والمرأة .

نُهَيْنُ التُّفُوسَ وَهُوْنُ التُّفُوسِ      غَدَاةُ الْكَرِيهَةِ أَوْفَى لَهَا  
يروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : رُبَّ مَنِيَّةٍ سَبَبُهَا طَلَبُ  
الْحَيَاةِ ، وَحَيَاةٍ سَبَبُهَا التَّعَرُّضُ لِلْمَوْتِ .

وَرَجْرَاجَةٌ فَوْقَهَا بَيْضُهَا      عَلَيْهَا الْمُضَاعَفُ زِفْنَا لَهَا  
تعني بقولها : «زفنا لها» أي جئنا نمشي إليها هَوْنًا .

كَكَرْفَةِ الْغَيْثِ ذَاتِ الصَّبِيرِ      تَرْمِي السَّحَابَ وَيُرْمِي لَهَا<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الزلزلة : الآية ٢ .

(٢) الصَّبِير : السحاب .

الكِرْفَةُ واحدة الكرافىء وهو تكاثف الغيم واسوداده.

قال: وحدثنا المازني<sup>(١)</sup> بإسنادٍ آخره رُؤية بن العجاج قال: خرجت مع أبي، نريد الوليد بن عبد الملك، فاهدي لنا جنب من لحم عليه كرافىء الشحم ووطب من لبن، فطبخنا هذا بهذا، فما زالت ذفرياي<sup>(٢)</sup> تتحان منه حتى رجعنا. وإنما شبهه لكثرة الشحم وركوب بعضه على بعض بكرفة الغيم.

وَدَاهِيَّةٌ جَرَّهَا جَارِمٌ      تُبِيلُ الْخَوَاصِرُ أَخْبَالَهَا  
كَفَيْتَ ابْنَ عَمْرٍ وَلَمْ تَسْتَعِزْ      وَلَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَذْنَى لَهَا  
وَعَيْرَانَةٌ كَأَتَانِ الثَّمِيهِ      لِي غَادَرْتَ بِالْخَلِّ أَوْصَالَهَا

قولها: «وعيرانة» تعني: ناقة تُشَبَّه بالحمار الوحشي. و «أتان الثميل»: صخرة تكون في الحوض معروفة. و «الميل»: بقية الماء. فتقول هي صلبة كصلابة هذه الصخرة. و «الخل»: الطريق في الرمل. فتقول: غادرتها هناك لشدة السير.

إِلَى مَلِكٍ لَا إِلَى سُوقَةٍ      وَذَلِكَ مَا كَانَ إِنْجِلَالَهَا  
وَمُخَصَّاةٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلُوكِ      لِي قَعَقْتُ بِالرُّمَحِ خَلْجَالَهَا  
وَقَافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السُّنَا      نِ تَبْقَى وَيَهْلِكُ مَنْ قَالَهَا  
نَطَقْتَ ابْنَ عَمْرٍو فَسَهَّلْتَهَا      وَلَمْ يَنْطِقِ النَّاسُ أَمْثَالَهَا  
فَإِنْ تَكُ مُرَّةٌ أَوْدَتْ بِهِ      فَقَدْ كَانَ يُكْثِرُ تَقَاتَلَهَا  
فَرَالَ الْكَوَكِبُ مِنْ فَقْدِهِ      وَجُلَلَتِ الشُّمُسُ أَجْلَالَهَا  
هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلِّ الْهُمُومِ      فَأُولَى لِنَفْسِي أُولَى لَهَا  
لَأَحْمِلَ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ      فَإِمَّا عَلَيْهَا وَإِمَّا لَهَا  
ومما يؤثر ويشتفى من قولها:

[البسيط]

أَقْدَى بَعِينِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ غَوَّارُ      أَمْ أَوْحَشْتَ أَنْ خَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ  
وَيُشَدُّ بِنُضْهِمْ: قَدَى بَعِينِكَ، وهو أقوم للبيت، وزيادة الألف في قولها:  
أَقْدَى؟ أبلغ. ولا ضرورة فيه ولكنه مخزوم.

(١) بكر بن محمد بن حماد بن بقرية «أبو عثمان المازني» من أئمة النحو البصريين (٢٤٩ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٦٩).

(٢) الذفري: العظم الشاخص من الأذن.

تَبْكِي لِصَخْرٍ هِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ ثَكِلَتْ  
لَا بُدَّ مِنْ مَيِّتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرُ  
يَا صَخْرُ وَرَّادَ مَاءٍ قَدْ تَنَادَرَهُ  
وهذا بيت يُسأل عنه كيف تناذره أهل المِياه ولا عار فيه . فالمعنى أنها تعني الموت .

مَشْيِي السَّبَنْتِي إِلَى هَيْجَاءٍ مُغْضِلَةٍ لَهُ سِلَاحَانِ : أَثْيَابٌ وَأَظْفَارُ  
يقال لكل جريء الصدر : سَبَنْدَى وَسَبَنْتَى بالتاء والذال ، والأغلب عليه الثَّمر .

عَبْلُ الذَّرَاعَيْنِ قَدْ تُخَشَى بَوَادِرُهُ  
فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تُطِيفُ بِهِ  
تَزْتَعُ مَا غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا اذْكُرْتُ  
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مِنِّي حِينَ فَارَقَنِي  
وإنَّ صَخْرًا لَوَالِينَا وَسَيِّدُنَا  
وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ  
الْعَلَمُ هُنَا هُنَا : الجبل ، وكذلك قال المفسرون في قول الله جلَّ وعزَّ : ﴿وَلَهُ  
الْجَوَارِي الْمُنْشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ﴾<sup>(١)</sup> . ومنه قول جرير :

[الرجز]

إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَا عِلْمُ

طَلَقَ الْيَدَيْنِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ ذُو فَخْرٍ  
مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَنْفَذْ شَبِيبَتُهُ  
لِيَبْكِيهِ مُفْتِرٌ أَفْنَى حُلُوبَتِهِ  
وَرَفَقَةٌ حَارَ هَادِيَهُمْ بِمَهْلَكَةٍ  
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا  
فَقَوْلُهَا : «كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ» أَحَدُ مَا قُدِّمَتْ بِهِ .

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أَمَا رَضِيتَ أَنْ تَجْعَلِيهِ عِلْمًا حَتَّى  
جَعَلْتِ فِي رَأْسِهِ نَارًا . ذاك رسول الله ﷺ ، يريد : البيان والدلالة .

(١) سورة الرحمن : الآية ٢٤ .

وقال عمر في قول الحطيئة:

[الطويل]

مَتَى تَأْتِيهِ تَغْشَوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ      تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ  
«كَذَبَ الحَطيئة . تلك نارُ موسى ﷺ» . وهذا من نوادر الشعر .

وقالت أيضاً:

[الوافر]

كَأَنَّ الْعَيْنَ خَالَطَهَا قَنَازُهَا      بَغْوَارٍ فَمَا تَقْضِي كَرَاهَا  
عَلَى صَخْرٍ وَأَيُّ فَتَى كَصَخْرٍ      إِذَا مَا النَّابُ لَمْ تَرَأْمَ طَلَاهَا  
قولها «إذا ما الناب لم ترأَم طلاها»: الطلا: الصغير من أولاد الوحش  
والنعم، ويقال ذلك في الأدميين، وإنما تريد زمن الصر والبرد.

حَلَفْتُ بِرَبِّ صُهْبٍ مُغَمَّلَاتٍ      إِلَى الْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ مُنْتَهَاها  
لِئِنْ جَزَعَتْ بَنُو عَمْرٍو عَلَيْهِ      لَقَدْ رُزِئْتُ بَنُو عَمْرٍو فَتَاهَا  
فَتَى الْفِثْيَانِ مَا يُغْلَى مَدَاهُ      وَلَا يُكْدِي إِذَا بَلَغَتْ كُدَاهَا

يقال: أكدى، إذا أقل. وأضل ذلك في البشر تحفر، فإذا بلغ منها إلى حَجَرٍ  
أو كَذَّان<sup>(١)</sup> استصعب على الحافر. وقيل: قد بلغت كُدَيْتَهَا - وجمعها كُدَى - فلا  
يُخْرِجُ مِنَ الثَّرَابِ إِلَّا الْيَسِيرَ، فلذلك قيل للذي يُعْطَى قَلِيلاً: أَكْدَى. قال الله جل  
وعز: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾<sup>(٢)</sup> فقالت: إذا بلغ الجهدُ من الناس لم يكن عطاؤه  
قليلاً ولا نزرأً.

لَهُ كَفٌّ يَشِيدُ بِهَا وَكَفٌّ      تَحَلَّبُ مَا يَجِفُّ ثَرَى نَدَاهَا  
فَمَنْ لِلضَّيْفِ إِنْ هَبَّتْ شِمَالٌ      مُزْغَزِغَةٌ يُجَاوِبُهَا صَبَاهَا  
وَأَلْجَأَ بَزْدُهَا الْأَشْوَالَ حُذْباً      إِلَى الْحُجَرَاتِ بَارِزَةً كُلاها  
يقول: لا شحم عليها.

هُنَالِكَ لَوْ نَزَلَتْ بِآلِ صَخْرٍ      قَرَى الْأَضْيَافَ شَخْماً مِنْ دُرَاهَا  
هذا على مخاطبتين. قالت: «هُنَالِكَ لَوْ نَزَلَتْ» للذي تخاطبه ثم خبرته  
فقالت: «قَرَى الْأَضْيَافَ» فتأويل هذا على ضربين، أحدهما على حذف المفعول  
كأنها قالت: لو نزلت به لرأيتَه يَقْرِي الْأَضْيَافَ، ويكون على أنها جعلته وغيره

(١) الكَذَّان: الحجارة التي ليست بصلبة.

(٢) سورة النجم: الآية ٣٤.

على مخاطبتين، تتحول من إحداهما إلى الأخرى كقول الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرْنِ مُمْبِرٍ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾<sup>(١)</sup>، وكقول عنتره:

[الكامل]

شَطَّطَ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ      عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةُ مَخْرَمٍ  
ومثل هذا كثير جداً.

أَمْطَعِمَكُمُ وَحَامِلَكُمُ تَرَكْتُمُ      لَدَى غُيْرَاءٍ مُنْهَدِمِ رَجَاهَا  
تَرَى الشُّمُطَ الْجَحَاجِحَ مِنْ سُلَيْمٍ      تَبْلُ ذَرَى مَدَامِعِهَا لِحَاهَا  
لَيْبِكَ الْخَيْرَ ضَخْرًا مِنْ مَعْدٍ      ذَوُو أَحْلَامِهَا وَذَوُو نُهَاهَا  
وَحَيْلٍ قَدْ لَفَقَتْ بِجَمْعٍ خَيْلٍ      قَدَارَتْ بَيْنَ كَبْشَيْنِهَا رَحَاهَا  
مُحَافِظَةً وَمَخْمِيَةً إِذَا مَا      نَبَا بِالْقَوْمِ مِنْ جَزَعٍ لَظَاهَا

وقالت:

[الوافر]

أَلَا يَا عَيْنُ فَاثْهَمِي بِغُزْرِ      وَفِيضِي عَبْرَةً مِنْ غَيْرِ نَزْرِ  
وَلَا تُغْزِي عَزَاءَ بَغْدَ صَخْرِ      فَقَدْ غَلِبَ الْعَزَاءُ وَعَيْلَ صَبْرِي  
لِمَرْزِئَةٍ كَأَنَّ الْجَوْفَ مِنْهَا      بُعِيدَ النَّوْمِ يُسْعَرُ حَرَّ جَمْرِ  
عَلَى صَخْرٍ وَأَيُّ فَتَى كَصَخْرِ      لِعَانِ عَائِلٍ عَلِيقٍ بَوَثْرِ  
وَلِأَضْيَافٍ إِنْ طَرَقُوا هُدُوءًا      وَلِلْكَأَلِ الْمُبِيرِ وَكُلِّ سَفْرِ  
إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ سَنَةٌ جَمَادٍ      أَتَى بِالذُّرِّ لَمْ يُكْسَعِ بِغُبْرِ

كان من شأنهم، إذا أجذبت السنة أو خافوا الجذب، أن تُنصح الضروع بالماء البارد ليبقى اللبن فيها ادُّخاراً واستعداداً وبخلاً من بعضهم. فلذلك يقول الحارث بن حلزة:

[السريع]

لَا تُكْسَعِ الشُّوْلُ بِأَغْبَارِهَا      إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنْ السَّاتِحُ  
الْغُبْرُ: بقية اللبن، وغابر كل شيء. وبقية. ويقول: لا تبخل فتحبس لبنك، فإنك لا تدري لمن يكون ذلك اللبن، ألك أم لوارثك أم لمُغيرٍ عليك.

واضْبُتْ لِأَضْيَافِكَ أَلْبَانُهَا      فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجُ

(١) سورة يونس: الآية ٢١.

وكلُّ مَرْدُودٍ مَكْسُوعٍ .

هَنَالِكَ كَانَ غَيْثٌ حَيًّا وَعِزًّا  
وَأَخِيًّا مِنْ مُحَبَّاتٍ كَعَابٍ  
هَرِيتِ الشُّذُقِ رِثْبَالٍ إِذَا مَا  
تَدِينُ الْخَادِرَاتُ لَهُ إِذَا مَا  
غِيَاثٌ إِنْ تَأَوَّيْتُهِ غَرِيبٌ  
إِذَا مَا الْوَفْدُ حَلَّ إِلَى ذَرَاهُ  
تَفَرَّجُ بِاللَّيْلِ الْأَبْوَابُ عَنْهُ  
دَهَنَتْنِي الْحَادِثَاتُ بِهِ فَأُضْحَتْ  
وَقَالَتْ أَيْضًا:

لِمَنْ أَرْسَى إِلَيْهِ غَيْرَ وَغَرٍ  
وَأَشْجَعَ مِنْ أَبِي شَبَلٍ هَزَنٍ  
غَدَا لَمْ تُنْهَ غَدَوْتُهُ بِزَجَرٍ  
سَمِعَنْ زَيْبَرَهُ فِي كُلِّ فَجَرٍ  
لِعُسْرِ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ لِيُسْرِ  
تَلَقَّاهُمْ بِوَجْهِ غَيْرِ بَسْرِ  
وَلَا يَكْتَنُّ دَوْلَهُمْ بِسِثْرِ  
عَلَيَّ هُمُومُهُ تَغْدُو وَتَسْرِي

[البيط]

إِذَا رَابَ دَهْرٌ وَكَانَ الدَّهْرُ رِيَّابًا  
وَابْكِي أَخَاكَ إِذَا جَاوَزْتَ أَجْنَابًا  
فَقَدْ نَ لِمَا تَوَى سَبِيًّا وَإِنْ هَابًا  
مُجَلَّبَبٌ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جَلْبَابًا  
فَيُسَلِّبُوا دُونَ صَفِّ الْمَوْتِ أَشْلَابًا  
مَأْوَى الْغَرِيبِ إِذَا مَا جَاءَ مُنْتَابًا  
نَهْدَ التَّلِيلِ لِرُزْقِ السُّمْرِ رَكَّابًا  
وَالصُّدُقِ حَوَزْتُهُ إِنْ قَرْنُهُ هَابًا  
إِنْ خَافَ مُغْضِلَةَ سَتَى لَهَا بَابًا  
حَمَالُ أَلْوِيَةِ لِلْوَتْرِ طَلَابًا  
كَانَ الْوَعَى لَمْ يَكُنْ لِلْمَوْتِ هَيَابًا

يَا عَيْنُ مَالِكٍ لَا تُذْرِينَ تَسْكَابًا  
فَابْكِي أَخَاكَ لِأَيْتَامٍ وَأَزْمَلَةٍ  
وَابْكِي أَخَاكَ لِخَيْلٍ كَالْقَطَا قُطْفٍ  
يَغْدُو بِهِ سَابِغٌ نَهْدَ مَرَاكِلُهُ  
حَتَّى يُصْبِحَ قَوْمًا فِي دِيَارِهِمْ  
هُوَ الْفَتَى الْكَامِلُ الْحَامِي حَقِيقَتُهُ  
يَهْدِي الرَّعِيلَ إِذَا جَارَ السَّبِيلُ بِهِمْ  
الْمَجْدُ خَلَّتْهُ وَالْجُودُ عِلَّتْهُ  
رَكَّابٌ مُفْظِعَةٌ، حَمَالٌ مُضْلِعَةٌ  
شَهَادُ أَنْدِيَّةٍ، هَبَاطُ أَوْدِيَّةٍ  
سُمُّ الْعُدَاةِ وَفَكَّاكُ الْعُنَاةِ إِذَا

قال أبو العباس: «والجود علته» أي أن الناس إذا سئلوا اعتلوا في الجود بالعلل، فجعلته هو علته الجود، كما قال الله جلَّ وعز: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(١)</sup> معناه: الوعد النار.

وقالت أيضاً ترثي أخاها معاوية بن عمرو:

[الوافر]

(١) سورة الحج: الآية ٧٢.

هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ وَاسْتَفِيقِي  
وَقُولِي إِنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ  
أَلَا هَلْ تَزْجَعَنَّ لَنَا اللَّيَالِي  
وَإِذْ فِينَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو  
فَبَكَّيْهِ فَقَدْ وَلَّى حَمِيداً  
فَلَا وَاللَّهِ لَا تَسْلَاكَ نَفْسِي  
وَلَكِنِّي رَأَيْتُ الضُّبَرَ خَيْراً  
وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا بِالْغَوَا فِي الْجَزَعِ حَلَقَ النِّسَاءَ رُؤُوسَهُنَّ، وَلَطَمَنَّ  
خُدُودَهُنَّ بِالنُّعَالِ.

وقال عبد مناف بن ربيع الهذلي<sup>(١)</sup> يذكر أخته:

[البسيط]

إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ  
أَلَا يَا لَهْفَ نَفْسِي بَعْدَ عَيْشٍ  
وَإِذَا يَتَحَاكَمُ الْحُكَّامُ فِينَا  
وَإِذَا فِينَا قَوَارِسُ كُلِّ هَنِجٍ  
ضَرْباً أَلِيماً يَسْبِتُ يَلْعَجُ الْجَلِيدَا  
تَوَلَّى بَعْدَهُ عَيْشٌ أَنْيَقُ  
إِلَى أَبْيَاتِنَا وَذَوُ الْحُقُوقِ  
إِذَا فَرَزَعُوا وَفُثِّيَانُ الْخُرُوقِ  
الْخُرُوقُ جَمْعُ خَرَقٍ، وَهُوَ الْمُتَسَّعُ مِنَ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ قَوْلُ رُؤُوبَةَ ابْنِ  
الْعَجَّاجِ:

[الرجز]

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِي الْمُخْتَرِقِ

أَيُّ الْمُتَسَّعِ. وقال بعض المفسرين في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ  
الْأَرْضَ﴾<sup>(٢)</sup> قال: تبلغ قُطْرِيهَا. والقول الفاشي إنما هو تنقُبها بأجمعها إلى حيث  
بلغت.

إِذَا مَا الْحَرْبُ صَلَّصَلْ نَاجِذَاهَا وَفَاجَأَهَا الْكُمَاءُ لَدَى الْمَضِيِّ  
وَكَانَ مِنْ خَبَرِ مَقْتَلِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ أَخَا خَنَسَاءَ لِأَبِيهَا وَأُمِّهَا، وَكَانَ  
صَخْرًا أَخَاهَا لِأَبِيهَا وَكَانَتْ بِصَخْرٍ أَمْسَ لِفَضْلِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَلَمْ يَكُنْ مُعَاوِيَةَ

(١) عبد مناف بن ربيع الجربي: شاعر جاهلي نسبته إلى بطن من هذيل اسمه «جُرَيْب» (.../...).

(الأعلام: ج ٤، ص ١٦٦).

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٧.



متخلفاً بل كان لاحقاً في السؤدد بأخيه، أو دُونَه شيئاً. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: حدثني أبو بلال وربما قال: أبو بلال سَهْم بن أبي بن العباس بن مرداس قال: غزا معاوية بن عمرو بن الشريد، أخو خنساء، مُرَّةً وَفَزَارَةَ، ومعه خُفَاف بن نُدْبَةَ<sup>(١)</sup> فاعتورَه هاشم ودُرَيْد المَرِّيَّان، ابنا حَرْمَلَة، فاستطرد له أحدهما ثم وقف، وشدَّ عليه الآخر فقتله. فلما تَنَادَوْا: قتل معاوية! قال خُفَاف: قتلني الله إن رِمَت حتى أثَّارَ به فشدَّ على مالك بن حِمَار، سيد بني شَمَخ بن فَزَارَةَ فقتله وقال:

[الطويل]

فَإِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أَصِيبَ صَمِيمُهَا      فَعَمْدًا عَلَى عَيْنِي تَيَمَّمْتُ مَالِهَا  
وَقَفْتُ لَهُ عَلَوَى وَقَدْ خَامَ صُخْبَتِي      لِأَبْنِي مَجْدًا أَوْ لِأَثَارِ هَالِكَا  
علوى: اسم فرسه

أَقُولُ لَهُ وَالرُّمْحُ يَأْطُرُ مَثْنَهُ      تَأْمَلُ خُفَافًا إِنَّنِي أَنَا ذَالِهَا  
فلما بلغ صخرًا قتل أخيه، أتى مُرَّةً في الشهر الحرام فوقف على ابني حَرْمَلَة، فإذا أحدهما به طعنة في عضده، فقال: أَيُّكُمَا قتل معاوية؟ فسكتا، فقال الصحيح للجريح: مالك لا تجيبه؟ فقال: وقفت له فطعنني هذه الطعنة، وشدَّ عليه أخي فقتله، فأَيُّنَا قتلْت فقد أدركتْ بِثَارِك، أما إِنَّا لم نَسْلُب أَخَاكَ. قال: فما فعلتْ فرسه السماء؟ قال: ها هي تيك، رُدُّوها عليه، فردوه. فلما أتى صخر قومهم قالوا: اهْجُهم. قال: ما بيننا أَجَلٌ مِنَ الْقَدَع، لو لم أَكْفَفْ عن هجائهم إِلَّا رَغْبَةً بِنَفْسِي عَنِ الْخَنَا لَكَفَفْتُ وَقَالَ:

[الطويل]

وَعَاذِلَةَ هَبَّتْ بَلِيلٍ تَلُومُنِي      أَلَا لَا تَلُومِينِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا  
نَقُول: أَلَا تَهْجُو فَوَارِسَ هَاشِمٍ      وَمَالِي إِذْ أَهْجَوْهُمْ ثُمَّ مَالِيَا  
أَبِي الشَّتَمِ أَنِّي قَدْ أَصَابُوا كَرِيمَتِي      وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ الْخَنَا مِنْ شِمَالِيَا  
إِذَا ذَكَرَ الْإِخْوَانُ رَقَرْتُ عَبْرَةً      وَحَيَّيْتُ رَمْسًا عِنْدَ لَيَّةِ ثَاوِيَا  
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَهْدَى لِمَيْتٍ تَحِيَّةً      فَحَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ عَنِّي مُعَاوِيَا  
وَهَوْنٌ وَجَسَدِي أَنَّنِي لَمْ أَقْلُ لَهُ      كَذَبْتُ، وَلَمْ أَبْخُلْ عَلَيْهِ بِمَالِيَا

(١) خُفَاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي: من مضر «أبو خراشة» شاعر فارسي أسود «أخذ السواد من أمه نُدْبَةَ» وعاش زمنًا في الجاهلية أسلم وشهد فتح مكة وبقي إلى أيام عمر (٢٠٠/٢٠ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٠٩).

ثم زاد عليها بيتاً بعدما أوقع بهم فقال:

وذي إخوة قَطَّعْتُ أَرْحَامَ بَيْنِهِمْ      كَمَا تَرَكُونِي وَاحِداً لَا أَخَالِيَا  
ثم غزاها في العام المقبل فلما دنا وَعَلَا السَّمَاءُ قَالَ: إِنِّي أَخَافُ إِذَا طَلَعْتُ  
أَنْ يَعْرِفُوا طَلْعَةَ السَّمَاءِ، فَحَمَمَ غَرَّتْهَا، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى أَدَانِي الْقَوْمِ قَالَتْ امْرَأَةٌ  
لَابْنِهَا: هَذِهِ، وَاللَّهِ السَّمَاءُ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: السَّمَاءُ غَرَاءُ، وَهَذِهِ بَهِيمٌ، فَلَمْ  
يَشْعُرُوا إِلَّا وَالْخَيْلُ دَوَائِسُ، وَقَتْلُ صَخْرٍ زُرَيْداً وَأَصَابُوا فِي مُرَّةٍ، فَقَالَ:

[الكامل]

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمْ ثَنَاءً وَمَوْحِداً      وَتَرَكْتُ مُرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الْمُدْبِرِ  
وَلَقَدْ دَفَعْتُ إِلَى دُرَيْدٍ طَغْنَةً      نَجْلَاءَ تُزْغِلُ مِثْلَ غَطِّ الْمِنْخَرِ  
قوله: «تُزْغِلُ» أي تفيض بسجال الدم. قال ابن أحمر<sup>(١)</sup>: يعني القطاة إذا  
مَجَّتِ الْمَاءَ فِي حَوْصَلَةِ فَرْخِهَا:

[السريع]

فَأَزْغَلْتُ فِي جِيدِهِ زُغْلَةً      لَمْ تُخْطِئِ الْجَيْدَ وَلَمْ تَشْفِئِزْ  
والإيزاغ مثل الإزغال<sup>(٢)</sup>.

وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج غازياً، فلما كان في بلاد جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ  
هَوَازِنَ، نَزَلَ فَأَخَذَ صُفْنَتَهُ - وَيُقَالُ صُفْنُهُ<sup>(٣)</sup> - وَخَلَا لِحَاجَتِهِ بَيْنَ الشَّجَرِ وَرَأَى غَفْلَتَهُ  
قَيْسُ بْنُ الْأَسْوَارِ الْجُشَمِيِّ فَتَبِعَهُ وَقَالَ: هَذَا قَاتِلُ مَعَاوِيَةَ، لَا وَاللَّهِ إِنْ وَالَّ<sup>(٤)</sup>.  
فَلَمَّا قَعَدَ لِحَاجَتِهِ تَسَتَّرَ لَهُ بَيْنَ الشَّجَرِ حَتَّى إِذَا خَلْفَهُ أَرْسَلَ عَلَيْهِ مِغْبَلَةً<sup>(٥)</sup> فَفَلَقَ  
قُحُقْحَهُ، وَهُوَ الْعُضْعُصُ الَّذِي عَلَيْهِ عَجْبُ الذَّنْبِ، فَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ:

[الوافر]

فَدَى لِلْفَارِسِيِّ الْجُشَمِيِّ نَفْسِي      وَأَقْدِيهِ بِمَنْ لِي مِنْ حَمِيمِ  
فِدَاكَ الْحَيُّ حَيُّ بَنِي سُلَيْمٍ      بَظَائِعِهِمْ وَبِالْأَنْسِ الْمُقِيمِ

(١) أَبُو الْخَطَّابِ عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ بْنِ الْعَمْرَدِ بْنِ عَامِرِ الْبَاهِلِيِّ: شَاعِرٌ مَخْضَرَمٌ عَاشَ نَحْوَ ٩٠ عَاماً غَزَا  
مَغَازِي فِي الرُّومِ وَأَصِيبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ. مَدَحَ أَكْثَرَ الْخُلَفَاءِ وَصَوَّلَا إِلَى بَنِي أُمَيَّةٍ حَيْثُ هَجَا يَزِيدَ بْنَ  
مَعَاوِيَةَ وَفَرَمَنَهُ عِنْدَمَا طَلَبَهُ كَانَتْ سَكْنَاهُ فِي الْجَزِيرَةِ (٦٥/٠٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٧٢).

(٢) الإزغال: إخراج البول أو الدم دفعة واحدة.

(٣) الصُفْنُ والصُفْنَةُ: شَيْءٌ كَالرُّكْوَةِ يَتَوَضَّأُ فِيهِ.

(٤) وَال: نَجَا.

(٥) مِغْبَلَةٌ: نَصْلٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ.

كَمَا مِنْ هَاشِمٍ أَقْرَزَتْ عَيْنِي      وَكَانَتْ لَا تَنَامُ وَلَا تُنِيْمُ  
وكان هاشم من أشد العرب، وله يقال:

[مشطور الرجز]

أَخِيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَزْمَلَةَ      يَوْمَ الْمُلُوكِ حَوْلَهُ مُغْرَبَلَةٌ  
يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

فَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ تَرْتِيَةً وَأَخَاهَا صَخْرًا:

[الوافر]

بَكَتْ عَيْنِي وَعَاوَدَتِ الشُّهُودَا      وَبِثُّ اللَّيْلِ جَانِحَةٌ عَمِيدَا  
لَذِكْرِي مَغْشَرٍ وَلَوْا وَخَلُّوا      عَلَيْنَا مِنْ خِلَافَتِهِمْ فُقُودَا  
فَكَمْ مِنْ فَارِسٍ لَكَ أُمَّ عَمْرُو      يَحُوطُ سِنَانُهُ الْأَنْسَ الْحَرِيدَا  
الحريد: البعيد.

كَصَخْرٍ أَوْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرُو      إِذَا كَانَتْ وَجْوهُ الْقَوْمِ سُودَا  
يَرُدُّ الْخَيْلَ دَامِيَةً كُلاهَا      جَدِيرٌ يَوْمَ هَيْجَا أَنْ يَصِيدَا  
يَكْبُونَ الْعِشَارَ لِمَنْ أَتَاهُمْ      إِذَا لَمْ تُضْمِتِ الْأُمُّ الْوَلِيدَا  
فَتَابَعَ بَيْنَهُمْ وَزْدٌ فَأُضْحُوا      مَعَ الْهَلَاكِ قَدْ لَحِقُوا ثُمُودَا  
وقالت أيضاً ترثي صخرًا:

[الطويل]

تَهْفِي عَلَى صَخْرٍ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ      إِذَا الْخَيْلُ مِنْ طُولِ الْقِيَادِ اقْشَعَرَّتْ  
ذَا الْخَيْلُ شَكَّتْ فِي السَّرِيحِ وَطَابَقَتْ      طِبَاقَ الْكِلَابِ فِي الْهَرَاشِ وَصَرَّتْ  
يقال: شك الفرس والبعير وغير ذلك من الظهر إذا ظلعت ظلعاً خفيفاً كما  
قال ذو الرمة<sup>(١)</sup>:

[البسيط]

كَأَنَّهُ مُسْتَبَانُ الشَّكِّ أَوْ جَنْبُ<sup>(٢)</sup> .....

وإنما هذا من الخيلاء في هذا الموضع. و «طابقت» أي وقعت أرجلها  
مكان أيديها وصرت آذانها.

(١) غيلان بن عقبة «أبو الحارث» شاعر فحل أكثر شعره في التشبيب كان دميماً يضرب لونه إلى سواد  
شديد القصر يسكن البادية توفي بأصبهان (٧٧ - ١١٧ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ١٢٤).

(٢) البيت من البحر البسيط وصدر البيت: «وَتَبَّ الْمُسَجِّحِ مِنْ عَانَاتٍ مَغْقَلَةٍ».

مَرَزَتْ بِهَا دُونَ السَّوَامِ وَمَرَّتْ  
يَكُونُ لَهَا حَيْثُ اسْتَدَارَتْ وَكَرَّتْ  
فَأَلَقَتْ بِرِجْلَيْهَا مَرِيّاً وَدَرَّتْ  
وَيُزْغِثُهَا بِالرُّمَحِ حَتَّى أَقَرَّتْ  
تَقْنَهُ بِإِيزَاغٍ دَمَاءً وَاقْمَطَرَتْ

وَحَيْلُ تَنَادَى لَا هَوَادَّةَ بَيْنَهُمَا  
كَأَنَّ مُدِلًّا أَسْوَدَ تَبَالَةٍ  
شَدَذَتْ عِصَابَ الْحَرْبِ إِذْ هِيَ مَانِعٌ  
وَكَانَ أَبُو حَسَّانَ صَخْرٌ يَصُدُّهَا  
وَكَانَتْ إِذَا مَا حَالِبٌ يَسْتَدِيرُهَا  
اقمطرت : معناه اشتدت .

وقالت أيضاً ترثيه :

[الطويل]

أَمِنْ حَدَثِ الْأَيَّامِ عَيْنُكَ تَهْمِلُ  
أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ لَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا  
عَلَى مَا جَدِ صَخْمِ الدَّسِيعَةِ سَيِّدِ  
إِذَا قِيلَ تَفْنَى تَسْتَهْلُ فَتَخْفِلُ  
لَهُ سُورَةٌ فِي قَوْمِهِ مَا تَحْوُلُ  
قال : السُّورَةُ هَا هُنَا : الدرجة من الملك والقدرة العالية ، من ذلك قول  
النابعة :

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً  
تَرَى كُلَّ مُلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ  
ويقول الرجل : سُرْتُ ، فمعناه : ارتفعت وعلوت . قال العجاج :

[الرجز]

يَا رَبِّ ذِي سُرَادِقٍ مَخْجُورِ . سُرْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَعَالِي السُّورِ  
وقال الأخطل يصف خمراً خرجت ، حين فُتِحَ مَبَزْلُهَا :

[البسيط]

لَمَّا أَتَوْهَا بِمِضْبَاحٍ وَمِيزْلِهِمْ  
فَمَا بَلَغَتْ كَفِّ امْرِئٍ مُتَنَاوِلِ  
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً  
وَمَا الْغَيْثُ فِي جَعْدِ الثَّرَى دَمِثَ الرُّبَى  
بَأَجْزَلِ سَنِبٍ مِنْ نَدَاكَ وَنِعْمَةً  
وَجَارِكَ مَحْفُوظٍ مَنِيعٍ بَنَجْوَةٍ  
مِنَ الْقَوْمِ مَغْشَى الرُّوَاقِ<sup>(١)</sup> كَأَنَّهُ  
سَارَتْ إِلَيْهِ سُورُورَ الْأَبْجَلِ الضَّارِي  
مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلَ  
وَأِنْ كَثُرْتَ إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ  
تَبَعَّقَ فِيهِ الْوَابِلُ الْمُتَهَلِّلُ  
تَعُمُّ بِهَا بَلْ سَنِبُ كَفِّكَ أَجْزَلُ  
مِنَ الذَّلِّ لَا يُؤْذَى وَلَا يَتَذَلُّ  
إِذَا خَافَ صُبْحاً خَادِرٌ مُتَبَسِّلُ

(١) الرواق : مقدم البيت .

شَرَنْبَثُ<sup>(١)</sup> أَطْرَافِ الْبَنَانِ ضُبَارِمُ لَهُ فِي عَرِينِ الْغَابِ عَزْسٌ وَأَشْبَلُ  
هَزْبَرُ هَرِيْتُ الشَّدَقِ<sup>(٢)</sup> رِثْبَالُ غَابَةِ مَخُوفُ اللَّقَاءِ كَالْيُ الْعَيْنِ أَتَجَلُ  
خَوِ الْجُودِ مَعْرُوفٌ لَهُ الْجُودُ وَالنَّدَى حَلِيفَانِ مَا قَامَتْ تِعَارٌ وَيَذْبُلُ<sup>(٣)</sup>

### باب

قال أبو العباس: ونذكر وصايا يؤثر بعضها عن أهل الدين وبعضها عن أهل  
لآداب والطبائع المحمودة. وقد تجتَرَّ إلى أنفسها غير ذلك من سائر الوصايا. ثم  
نعود إن شاء الله تعالى إلى التعازي بالمشور والمرصوف. وبالله الحول والقوة،  
ونشوبه بشيء من الاعتبار.

### وصية أبي بكر الصديق رحمه الله

قال فطر بن خليفة<sup>(٤)</sup> عن عبد الرحمن بن سابط قال: أوصى أبو بكر  
نصديق عمر بن الخطاب رحمه الله حين استخلفه فقال: «إني مستخلفك،  
وأوصيك بتقوى الله يا عمر، إن الله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا  
يقبله بالليل. واعلم أنه لا تُقبل نافلة حتى تُؤدَّى الفريضة. وأنه إنما ثقلت موازين  
من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق. ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن  
يكون ثقيلاً. وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في  
دنياه. ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً.

إن الله جل ذكره ذكر أهل الجنة بحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا  
ذكرتهم فقل إني لأخاف ألا أكون من هؤلاء. وذكر أهل النار بسوء أعمالهم، فإذا  
ذكرتهم فقل إني لأزجو ألا أكون من هؤلاء وذكر آية الرِّحمة مع آية العذاب ليكون  
العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة. فإن  
حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إلي من الموت ولست بمُعجزه».

### وصية عمر بن الخطاب رحمه الله

قال فطر بن خليفة وغيره: دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته  
عبد الله بن عمر فقال:

(١) شَرَنْبَث: ضخم وضبارم: ضخم الرقبة.

(٢) هريت الشدق: واسع الشدق. والرثبال: الأسد. والأنجل: واسع شق العين.

(٣) تَعَارٌ وَيَذْبُلُ: جبلان الأول في بلاد قيس لا نبات فيه ولا ماء (معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٣).

(٤) أبو بكر الحنات فطر بن خليفة المخزومي: مولى مخزوم رمي بالتشيع توفي حوالي ١٥ هـ (البيان  
والتبیین: ج ٢، ص ٤٥).

«أي بُنَيَّ: إذا قام الخليفة بعدي فَأْتِيهِ فَقُلْ إِنَّ عُمَرَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ ويوصيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، ويوصيكَ بِالمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا: أَنْ تَعْرِفَ لَهُمْ سَابِقَتَهُمْ. ويوصيكَ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا: أَنْ تَقْبَلَ مِنْ مُخْسَنِهِمْ وَتَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ. ويوصيكَ بِأَهْلِ الْأَمْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ غِيظُ الْعَدُوِّ وَجُبَاةُ الْفِيءِ، لَا تَحْمِلْ فِيئَهُمْ إِلَّا عَنْ فَضْلِ مِنْهُمْ، ويوصيكَ بِأَهْلِ الْبَادِيَةِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ: أَنْ تَأْخُذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ فَتُرَدَّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ. ويوصيكَ بِأَهْلِ الذَّمَّةِ خَيْرًا: أَنْ تُقَاتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ».

### وصية علي بن أبي طالب رحمه الله

قال لوط بن يحيى<sup>(١)</sup>: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُنْدَبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَسْأَلُ عَنْهُ حِينَ ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ<sup>(٢)</sup> لَعَنَهُ اللَّهُ. فَقُمْتُ وَلَمْ أَجْلِسْ لِمَكَانِ ابْنَةٍ لَهُ دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ مُسْتَتْرَةٌ، فَدَعَا الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ فَقَالَ: «إِنِّي أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ، وَلَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا، وَلَا تَبْكِيَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُورِي عَنْكُمَا. قُولَا الْحَقَّ، وَارْحَمَا الْيَتِيمَ، وَأَعِينَا الضَّالَّعَ، وَاصْنَعَا لِلْآخِرَةِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا، وَلَا تَأْخُذْكُمَا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً».

ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال له: «فَهِمْتَ مَا أُوصِيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ؟» قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: «أُوصِيكَ بِمِثْلِهِ، وَأُوصِيكَ بِتَوْقِيرِ أَخَوَيْكَ، وَتَزْيِينِ أَمْرِهِمَا، وَلَا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُمَا» ثم قال: «وَأُوصِيكُمَا بِهِ فَإِنَّهُ شَقِيقُكُمَا، وَابْنُ أَبِيكُمَا، وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يُحِبُّهُ فَأَحْبَبَاهُ».

### وصية معاوية بن أبي سفيان رحمه الله

قال عيسى بن يزيد بن بكر بن دَابٍّ<sup>(٣)</sup>: لَمَّا ثَقُلَ مُعَاوِيَةُ، بَعَثَ إِلَى يَزِيدَ

(١) لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي البامري «أبو مخنف» راوية عالم بالسير والأخبار له تصانيف كثيرة في تاريخ عصره (١٥٧/هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٤٥).

(٢) عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدولي الحميري: فأتاك ثائر من أشداء الفرسان ومن أهل العبادة والفقهاء شهد مع علي صفين ثم خرج عليه وضربه غيلة فقتله الحسن (٤٠/هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٣٣٩).

(٣) عيسى بن يزيد بن بكر بن دَابٍّ الليثي «أبو الوليد»: خطيب وشاعر وراوية من المدينة أبوه عالم بالأخبار والأشعار (١٧١/هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ١١١).

وهو في ضياعه، فأتاه غلام له يقال له سرجلان، فأخبره بثقل أبيه، فأقبل وقد قال في ذلك شعراً:

[البسيط]

جاء البَرِيدُ بِقِرْطَاسٍ يَخْبُ بِهِ  
قُلْنَا: لَكَ الْوَيْلُ مَاذَا فِي صَحِيفَتِكُمْ  
فَمَادَتِ الْأَرْضُ أَوْ كَادَتْ تَمِيدُ بِنَا  
ثُمَّتْ مِلْنَا إِلَى عَيْسٍ مُزَمَّةٍ  
لَسْنَا نُبَالِي إِذَا بَلَّغْنَا أَرْحُلَنَا  
حَتَّى دَفَعْنَا لِرَأْسِ النَّاسِ كُلِّهِمْ  
مَنْ لَمْ تَزَلْ نَفْسُهُ تُوفِي عَلَى شَرَفٍ  
لَمَّا انْتَهَيْنَا وَبَابَ الدَّارِ مُنْصَفِقُ

فَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ قِرْطَاسِهِ جَزَعًا  
قَالَ: الْخَلِيفَةُ أَمْسَى مُشْتَبَأً وَجَعًا  
كَأَنَّ أَغْبَرَ مِنْ أَرْكَانِهَا انْصَدَعَا  
نَغَشَى الْفَجَاجَ بِهَا لَا نَأْتِلِي سَرَعًا  
مَا مَاتَ مِنْهُمْ بِالْبَيْدَاءِ أَوْ ظَلَعَا  
هَذِيأً، وَخَيْرُهُمْ فَعْلًا وَمُضْطَنَعًا  
تُوشِكُ مَقَادِيرُ تِلْكَ النَّفْسِ أَنْ تَقْعَا  
لِصَوْتِ رَمْلَةٍ رِيْعَ الْقَلْبُ فَاَنْقَلَعَا

قال: فلما دخل على معاوية خلا به وأخرج عنه أهل بيته وقال: «يا بني قد جاء أمرُ الله، وهذا أوان هلاكِي، ما أنت صانعُ بهذه الأمة بعدي؟ فمن أجلك آثرتُ الدنيا على الآخرة، وحملتُ الوزرَ على ظهري لِتَعْلُوَ بني أبيك». قال يزيد: «أخذهم بكتاب الله وسنة رسوله وأقتلهم عليه». قال: «أو لا تسير بسيرة أبي بكر الذي قاتل أهل الردّة ومضى والأمة عنه راضون؟». قال: «لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، أخذهم به وأقتلهم عليه». قال: «أو لا تسير بسيرة عمر الذي مَصَّرَ الأُمصارَ وجنَّدَ الأجنادَ، وفرض الأُعطيةَ، وجبى الفَيءَ وقاتل العدوّ، ومضى والأمة عنه راضون؟». قال: «لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، أخذهم به وأقتلهم عليه». قال: «أو لا تسير بسيرة عُمَرَ عثمان بن عفان الذي أكلَ في حياته، وورثَ في مماته، واحتملَ الوزرَ على ظهره؟». قال: «لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، أخذهم به وأقتلهم عليه». قال: «يا يزيد، انقطع منك الرجاء وأظنك ستخالف هؤلاء جميعاً فتقتلُ خيارَ قومك وتغزو حرمَ ربك بأشاباتِ الناس فتطعمهم لحومهم بغير الحق فتذركم ميتةً فجاءةً، فلا دنيا أصبت، ولا آخرة أدركت. يا يزيد أمّا إذا لم تُصبِ الرّشدُ فإنّي قد وطأت لك الأمور، وذللّتُ لك أهل العزّ، وأخضعتُ لك رقاب العرب، وكفيتك الرّحلة والتّرحال، وجمعت لك ما لم يجمعه واحدٌ، وإنّي لست أخاف أن يُنازعك في هذا الأمر إلا ثلاثة نفر: الحسينُ بن عليّ، وعبدُ الله بن عمر، وعبدُ الله بن الزُّبير. فأما عبدُ الله بن عمر فرجلٌ قد وقّذته العبادة وتخلّى من الدنيا وشغلَ نفسه بالقرآن. وما أظنه يُقاتل عليها إلا أن تأتيه عفواً. وأمّا الذي يجثمُ جُثوم الأسد ويروغُ روغان الثعلب، فإن

أمكنته الفرصة وثب فابن الزبير، فإن هر فعل فاستمكنت منه فقطعه إرباً إزباً إلا أن يلتبس منك صلحاً. فإن فعل فاقبل منه واحقن دماء قومه تقبل قلوبهم إليك. وأما الحسين بن علي فإن له رَحِمًا وَحَقًّا وولادة من رسول الله ﷺ ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يُخرجوه عليك، فإن قدّرت عليه فاصفح عنه. فإني لو كنت صاحبه صَفَحْتُ وعفوت عنه. قُمْ عَنِّي». وصلى عليه عمرو بن العاص.

### وصية أبي عبيدة بن الجراح<sup>(١)</sup>

تحدث لوط بن يحيى أبو مخنف، قال: لما طعن أبو عبيدة بن الجراح بالأزدن - وبها قبره - دعا من حضره من المسلمين فقال: «إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا وحجّوا واعتَمِرُوا، وتواصلوا وانصَحُوا لأمرائكم ولا تَغْشَوْهُمْ، ولا تُلهِكُم الدنيا، فإن امرءاً لو عُمِّر ألف - قول ما كان له بد من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون. إن الله كتب الموت على بني آدم، فهم ميّتون، وأَكْسِهُم أطوَعُهُم لربه، وأعملهم ليوم سيعاده. والسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. يا معاذ بن جبل<sup>(٢)</sup>، صل بالناس».

ومات رحمه الله، فقام معاذ بن جبل إلى الناس فقال:

«يا أيها النَّاس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً، فإن عبداً لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له. من كان عليه دين فليَقْضِهِ، فإن العبد مُرْتَهَنٌ بدينه، ومن أصبح منكم مهاجراً أخاه فليلقه فليصالحه، ولا يَنْبَغِي أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث، والذنب في ذلك عظيم. إنكم، أيها المسلمون، قد فُجِغْتُمْ برجل ما أزعُمُ أنني رأيت عبداً أبرّ صدرأ، ولا أبعد من الغائلة وأشدّ حُباً للعافية، ولا أنصح للعامة منه. فترَحَّمُوا عليه رحمه الله، ثم احضروا للصلاة عليه».

(١) أبو عُبيدَةَ عامِر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي: أمير قائد فتح الديار الشامية صحابي شهد المشاهد كلها توفي بطاعون عمواس ودفن في غور بيسان وانقرض عقبه (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٥٢).

(٢) أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل وأحد الستة الذي جمعوا القرآن شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبعثه بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً إلى اليمن عاد إلى المدينة بعد وفاة النبي واستخلفه أبو عبيدة عند إصابته بطاعون عمواس ومات في ذلك العام (٢٠ ق هـ - ١٨ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٥٨).



قال: ولما اختُصِر مُعَاذُ بن جَبَل قال لوط بن يحيى: حدثنا الصَّعْب بن زهير عن شهر بن حَوْشَب قال: أتى آتٍ مُعَاذُ بن جَبَل عند موته فقال: «يا مُعَاذُ، أوصني بما يَنْفَعُني قبل أنْ تفارقني، فلعلِّي أحتاج إلى سؤال الناس بعدك، فلا أجدُ فيهم مثلك». قال مُعَاذُ: «بلى، صلِّحاء الناس بحمد الله كثير، ولن يضيِّع الله أهلَ هذا الدين. خُذْ عني ما آمرك به: كُنْ من الصائمين بالنهار، والمستغفرين بالأسحار، والذاكرين الله على كل حال، ولا تشرب الخمر، ولا تغشَّق والديك، ولا تأكل مالَ اليتيم، ولا تفرَّ من الزحف، ولا تأكل الرِّبَا، ولا تدع الصلاة المكتوبة، وصلِّ رَحِمَكَ اللهُ، وكن بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً. وأنا لك بالجنة زعيم». ثم مات رحمه الله. فصلى عليه عمرو بن العاص.

### وصية عبد الملك بن مروان رحمه الله

وأوصى عبد الملك بن مروان حين حضرته الوفاة فقال لبنيه: «أوصيكم بتقوى الله، فإنها عِصْمَةٌ باقية وَجُئَةٌ واقية. والتقوى خيرُ زاد، وأفضل في المَعَاد، وأخصنُ كهف، وأزِينُ حلية. ليعطف الكبيرُ منكم على الصغير وليعرف الصغيرُ منكم حقَّ الكبير مع سلامة الصدور والأخذِ بجميل الأمور. فإنكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعزِّ حُلُقَاء، وهابتكم الأعداء. إياكم والتَّبَاغِي والتَّحَاوُدُ فَإِنَّ بهما هلك الملوك الماضون، وذوُّ العزِّ المتكبرون. انظروا يا بني، مَسَلَمَةٌ بن عبد الملك فاصدروا عن رأيه، فإنه نابُكُم الذي تفترون عنه، ومِجَنُّكُم الذي تستجئون به. وأكرموا الحجاج، فإنه الذي وطأ لكم المنابر، وكفاكم قَحْمَ تلك القناطر. كونوا أولاداً أبراراً، وفي الحرب أحراراً، وللمعروف مَناراً، واخْلُولُوا في مَرَاة، ولينوا في شِدَّة». ثم رفع رأسه إلى الوليد فقال: «لا أُلْفِيَنَّكَ يا وليدُ، إذا وضعتني في حُفْرَتِي تُعَصِّرُ عينيكَ كما تفعل الأمة، بل شَمِّرْ واتزِرْ، والبس جِلْدَ نِمْرٍ، وادعُ الناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بالسيف هكذا. أوصيك بأخيك عبد الله بن عبد الملك وَبِعُمُر بن عبد العزيز خيراً. لا تغزِلُهُما ولا تستبدل بهما. وأوصيك بابن عمنا هذا خيراً - يعني علي بن عبد الله بن العباس. فأما الحجاج فليست تستغني عنه».

ثم أرسل إلى خالدٍ وعبد الله، ابني يزيد بن معاوية. فلما جلسا قال: «ما تقولان: أأقبلكما بيعة الوليد؟» قالوا: «معاذ الله يا أمير المؤمنين». قال: لو قلتما غير ذلك لقتلتكما على حالي هذه. قوما. فقاما فخرجا. ثم دعا بقداحٍ بَعْدَةِ وَلَدِهِ فأمر بها فجمعت ثم دفعها إلى الوليد فقال: اكسرهما. فلم يقدر على ذلك. ثم

دُفِعَتْ إِلَى آخِرٍ، ثُمَّ آخِرٍ، حَتَّى اسْتَقْرَاهُمْ جَمِيعاً، فَأَعْيَاهُمْ كَسْرُهَا، فَأَمَرَ بِهَا  
فَفَرَّقَتْ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قِدْحاً وَأَمَرَهُ بِكَسْرِهْ فَفَعَلَ، فَقَالَ: هَكَذَا أَنْتُمْ  
بَعْدِي، إِنْ اجْتَمَعْتُمْ لَمْ يَكْسِرْكُمْ أَحَدٌ، وَإِنْ تَفَرَّقْتُمْ كُسِرْتُمْ. وَقَالَ: احْفَظُوا عَنِي  
هَذِهِ الْآيَاتُ:

[الكامل]

انْفُوا الصَّغَائِنَ عَنْكُمْ وَعَلَيْنَكُمْ	عِنْدَ الْمَغِيبِ وَفِي الْحُضُورِ الشَّهَدِ
بِصَلَاكِ ذَاتِ الْبَيْنِ طَوْلَ بَقَائِكُمْ	إِنْ مُدَّ فِي عُمْرِي وَإِنْ لَمْ يُمَدِّ
فَلِمِثْلِ رَبِّ الدَّهْرِ أَلْفَ بَيْنَكُمْ	بِتَوَاضُلِ وَتَرَاحُمٍ وَتَوَدُّدِ
حَتَّى تَلِينَ قُلُوبُكُمْ وَجُلُودُكُمْ	لِمَسْوَدٍ مِنْكُمْ وَغَيْرِ مُسَوِّدِ
إِنَّ الْقِدْحَ إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا	بِالْكَسْرِ ذُو حَقِّ وَكَسْرِ أَيْدِ
عَزَّتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ	فَالْوَهْنُ وَالتَّكْسِيرُ لِلْمُتَبَدِّدِ

فَلَمَّا تَوَفَّى سَجَّاهَ الْوَلِيدِ، ثُمَّ صَعِدَ الْمَنْبَرِ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى  
عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «لَمْ أَرْ مِثْلَهَا مُصِيبَةً وَلَا مِثْلَهَا نِعْمَةً. فَقَدْ الْخَلِيفَةُ، فَإِنَّا لِلَّهِ  
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عَلَى عِظَمِ الْمَصِيبَةِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَى عَظِيمِ  
النُّعْمَةِ». ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَبَايَعَ النَّاسَ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ. فَسَمِعَ أَحَدٌ وَلَدَ  
عَبْدِ الْمَلِكِ يَبْكِي وَيَقُولُ: مَاتَ، وَاللَّهِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: وَيْلَكَ لَا تَقُلْ  
هَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أُسَيْدٍ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ:

[الطويل]

إِذَا مُقِرَّمٌ مِثًّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ تَخَمَّطَ فِينَا نَابُ آخِرِ مُقِرَّمِ  
وَأَوْصَى أَبُو قَيْسِ بْنِ صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ وَلَدَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ:

[الخفيف]

يَا بَنِيَّ، الْأَزْحَامُ لَا تَقْطَعُوهَا	وَصَلُّوهَا قَصِيرَةً مِنْ طَوَالِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي ضِعَافِ الْيَتَامَى	رُبَّمَا يُسْتَحَلُّ غَيْرُ الْحَلَالِ
اعْلَمُوا أَنَّ لِلْيَتِيمِ وَلِيًّا	عَالِمًا يَهْتَدِي بِغَيْرِ السُّؤَالِ
يَا بَنِيَّ الْآيَامُ لَا تَأْمَنُوهَا	وَاحْذَرُوا مَكْرَهَا وَكَرَّ اللَّيَالِي
وَاعْلَمُوا أَنَّ مَرَّهَا لِنَفَادِ الْ	خَلْقِ مَا كَانَ مِنْ جَدِيدٍ وَبَالِ
وَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقَى	سَوَى وَتَرْكِ الْخَنَاءِ وَأَخْذِ الْحَلَالِ

وَأَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو يَعْقُوبَ الثَّقَفِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ  
عَمِيرِ اللَّخْمِيِّ قَالَ: جَاءَ أَبُو جَهْمُ بْنُ حُذَيْفَةَ الْعَدَوِيُّ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ ابْنُ مِئَةِ سَنَةٍ،

إلى مجلس لِقْرِيش، فأوسعوا له عن صدر المجلس وقائل يقول: بل كان عروة بن الزبير مكان أبي جهم فقال: يا بني أخي، أنتم خيرٌ لكبيركم من مَهْرَةٍ<sup>(١)</sup> لكبيرهم. قالوا: وما شأن مهرة وكبيرهم؟ قال: كان الرجل منهم إذا كَبِرَ وضعف أتاه ابنه أو وليه فعقله بعقال ثم قال: قم. فإن استتم قائماً وإلا حملته إلى مخبئ لهم يُجرى على أحدهم فيه رزقه حتى يموت. قال: فجاء شاب منهم إلى أبيه ففعل ذلك، فلم يستتم قائماً، فحمله فقال: أي بُنيّ إلى أين؟ قال: إلى سُنَّة بَائِك، فقال: أي بُنيّ لا تفعل، فوالله لقد كنت أوعِدُكَ فلا أَحِقُّكَ<sup>(٢)</sup>، وأماشيك فما أَبْذُكَ<sup>(٣)</sup> وأسقيك الدأداة<sup>(٤)</sup> - قال: وكانت العرب تقول: إذا سُقي الغلام اللبن وهو قائم كان أسرع لشبابه - فقال الفتى: لا جرم، والله، لا يذهب بك، فاتخذتها مَهْرَةً سُنَّة.

وأخبر عبد الرحمن بن إسرائيل عن أشياخه قال: لما حضرت الوفاة سعيد بن العاصي قال: يا بُنيّ، أيكم يكفل عني ديني؟ قال عمرو بن سعيد: عليّ دينك يا أبة. كم هو؟ قال: ثمانون ألف دينار. قال: وفيما استدنتها؟ قال: في كريم سددت خلله، أو لئيم اشتريت عرضي منه، ثم قال سعيد: هذه خصلة وبقيت خصلتان. قال: ما هما يا أبة؟ قال: يا بُنيّ لا تزوجن بناتي إلا من الأكفاء ولو بفلق خبز الشعير. قال: أفعل. قال: يا بني، ذهبت خصلتان وبقيت خصلة. قال: وما هي يا أبة؟ قال: يا بُنيّ، إن فقد إخواني وجهي فلا يفقدوا معروف. قال: أفعل يا أبة. قال: يا بُنيّ ما زلت أعرف الكرم في حماليق عينيك وأنت يُحرّك بك في مَهْدِكَ حتى بلغت ما أرى. يا بُنيّ، ما شاتمت رجلاً مذ كنت رجلاً، ولا زاحمت ركبتاي ركبته ولا كلّفت من يرتجيني أن يسألني فيبذل وجهه ويرشح جيبه رشح السقاء، إذن، والله، فما وصلته. يا بُنيّ، أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً عن غير مسألة. فأما إذا أتاك تكاد ترى دمه في وجهه مخاطراً، لا يدري أتعطيه أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع ما تملكه ما كافأته، ولا الذي بات يتمللمل على فراشه يُعقّب بين شفتيه أيجدني موضعاً لحاجته أم لا، لهو أعظم عليّ منّي عليه، إذا قضيتها له.

(١) مَهْرَةٌ بن حيدان بن عمرو بن الحافي من قضاة: جد جاهلي يمانى كانت بلاد بنيه في ناحية الشحر واليهم تنسب الإبل المهرية (.../...) (الأعلام: ج ٧، ص ٣١٤).

(٢) حقّه وأحقّه: غلبه على الحق.

(٣) بذه يَبْذُو: سبقه وغلبه.

(٤) الدأداة: السرعة والإحضار.

وفي هذا الحديث بغير هذا الإسناد، ولكن عن الزبير بن أبي بكر قال: كانت عِلَّتُهُ التي مات فيها في ضَيْعَةٍ له بقرب المدينة، فلما اشتدت عِلَّتُهُ قال لابنه عمرو: يا بُنَيَّ، قد ترى ما نزل بي، فقال له عمرو: يا أبة، لو حُمِلْتَ إلى المدينة. فقال: يا بُنَيَّ، إِنَّ الحِرْكَهَ تتعبني، وإنَّ أهلي لا يخلون عليّ بحملي على رقابهم ساعة. يا بُنَيَّ، إِنَّ ضيعتي هذه مُتَرَيِّفٌ وليست بمال غَلَةٍ، فإذا أنا مُتٌ ففرغت من دَفْنِي، فوجّه مطيئتكَ نحو معاوية فانعني له، فإنه سيسألك عن ديني ويتضمَّنُه، فأعلمه أني قد علمت ذلك وَجَزَهُ خيراً. ثم قل له: يا أمير المؤمنين، إِنَّ له ضيعةً أمرَ ببيعها لقضاء دينه، فإنه سيشتريها منك، فاسأله أن يكتب لك بمالها إلى المدينة فأقم بها ديني وَعِدَاتِي. فلما دفن كانت مطايا عمرو موقوفةً فُعْزِي عنه، وركب يريد معاوية من ساعته حتى ورد عليه فنعه له فتفجع وقال: ما خَلَفَ من الدين فهو عليّ. فقال: يا أمير المؤمنين، قد علم ذاك فَوَصَلْتُكَ رَحِمٌ، ولكنه أمرني ببيع ضيعةٍ له وهي الفلانية. قال: قد اشتريتها بدينه، وكتب له بالمال إلى المدينة، فجاءه صعلوك من صعاليك قريش بصكٍّ على أبيه بعشرين ألف درهم، فيه شهادة مولى له، فقال له: يا هذا، إِنِّي أعرف الخطَّ وإني أنكرُ أن يكون لمثلك مثلُ هذا المال عليه، فدعا مَوْلَاهُ فقال له: أتعرف هذا؟ فشهد به؛ فقال له: ما سببه؟ فقال: إن أباك في وقت عَزَلِهِ - وكان معاوية يُؤَلِّيه المدينة سنةً ويُولِّي مروانَ بنَ الحَكَمِ سنةً - رآه وخذه وقد رَكِبَ لبعض حاجاته، فسار معه حتى بلغها وَرَجِعَ. فلما انتهى قال له: يا فتى، ألك حاجة؟ فقال: لا، ولكني رأيتك مفرداً فأحببت أن أَصِلَ جَنَاحَكَ، فالتمسَ مالاً يَهَبُهُ له فلم يَخْضُرُهُ فقال لي: عَجِّلْ عليّ بصحيفة، فكتب له بهذا ديناً عليه حالاً. فقال عمرو: إذن والله لا يأخذها إلا مُعَجَّلَةً مُنْتَقَدَةً.

قال ابن دَاب: لما حضرت عُمرَ بن عبد العزيز الوفاة قيل له: يا أمير المؤمنين، اكتب إلى يزيد بن عبد الملك فأوصيه بالأمة خيراً فقال: وبِمَ أوصيه؟ إِنِّي لأعلم أنه من بني مروان. ثم أمرَ بالكتاب إليه: أما بعدُ. فاتَّق، يا يزيدُ، الصَّرْعَةَ بعدَ الغَفْلَةِ فلا تُقَالَ العَثْرَةُ، ولا تُقَدِّرُ على الرَّجْعَةِ. تترك ما تترك لمن لا يَحْمَدُكَ، وتقدم على من لا يَغْدِرُكَ والسلام.

ويُروى أَنَّ هشام بن عبد الملك لما احتَضِرَ نظرَ إلى حَشَمِهِ وَلُحْمَتِهِ يَبْكُون، ففتح عينيه فاطَّلَعَ في وجوههم ثم قال: جاد عليكم هشام بالدنيا، وجُدْثُم عليه بالبكاء، وترك لكم ما خَلَفَ وتركتُم عليه ما اكتسب! ما أسوأَ حالَ هشام إن لم يَغْفِرَ الله له!

ولما احتضر معاوية أقبل على ابنة قَرْظَةَ<sup>(١)</sup> فقال: بكّيني، فقالت:

[الهرج]

أَلَا ابْكِيهِ أَلَا ابْكِيهِ أَلَا كُلُّ الْفَتَى فِيهِ

ثم قال لابنتيه: قَلْبَانِي. فجعلتا تُقَلِّبانِه لِجَنْبٍ بَعْدَ جَنْبٍ فقال: إنكما لتُقَلِّبانِه حَوْلًا قَلْبًا إِنْ وُقِيَ كَبَّةُ النَّارِ. ثم أنشد:

[الكامل]

لَا يَبْعَدَنَّ رَبِيعَةَ بَنُ مُكَدَّمٍ وَسَقَى الْعَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبٍ

ثم قال ليزيد: إذا أنا قضيت فاحسِنْ غسلي، واجعل في آخره مسكاً وكافوراً، وأحسن الصلاة عليّ ثم ادفني في لحدي ودعني وربّي. فلما بلغ ابن عباس موته قال:

[الكامل]

جَبَلٌ تَصَدَّعَ ثُمَّ مَالَ بِجُمُعِهِ فِي الْبَحْرِ لَا رَتْقَتْ عَلَيْهِ الْأَبْحُرُ  
وصية الربيع بن خثيم<sup>(٢)</sup>

وروى إسرائيل عن يونس بن أبي إسحاق السَّبَّيحي عن سعيد بن مسروق الثَّوري عن مُنْذِر بن يَعْلَى الثَّوري قال: أوصى الربيع بن خثيم: هذا ما أوصى الربيع بن خثيم: «شَهِدْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً، وَجَازِياً لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَمُثِيباً. إِنِّي رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً، وَبِالْقُرْآنِ إِمَاماً. وَإِنِّي أَوْصِي نَفْسِي وَمَنْ أَطَاعَنِي أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ فِي الْعَابِدِينَ، وَيَحْمَدَهُ فِي الْحَامِدِينَ، وَيَنْصَحَ لْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ».

### وصية جندب بن عبد الله البجلي

وروى شُعْبَةُ بن الْحَجَّاج<sup>(٣)</sup> عن يونس بن جُبَيْر قال: شِيعْنَا جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقُلْنَا لَهُ: أَوْصِنَا. فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَبِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نَوْرُ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ،

(١) قَرْظَةُ: إحدى زوجات معاوية.

(٢) الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ الثَّوْرِيُّ الْكُوفِيُّ «أَبُو زَيْدٍ» زَاهِدٌ تَابِعِي رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَرَوَى عَنْهُ الشَّعْبِيُّ وَالثَّوْرِيُّ تَوَفَّى سَنَةَ ٦٥ هـ (الْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ: ج ٣، ص ١٢٩).

(٣) شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ الْوَرْدِ الْعَتَكِيُّ الْأَزْدِيُّ «أَبُو بَسْطَامٍ» مِنْ أَيْمَةِ رِجَالِ الْحَدِيثِ حَفِظاً وَرَوَاةً وَلَدَ بِوَاسِطٍ وَسَكَنَ وَتَوَفَّى بِالْبَصْرَةِ وَكَانَ عَالِماً بِالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ (٨٢ - ١٦٠ هـ) (الْأَعْلَامُ: ج ٣، ص ١٦٤).

وهَذِي النِّهَارَ، فاعلموا واعملوا به على ما كان من جهد وَفَاقَةٍ. فَإِنْ عَظُمَ بَلَاءٌ فَقَدُمَ مَالُكَ دُونَ نَفْسِكَ، فَإِنْ جَاوَزَ الْبَلَاءُ فَقَدُمَ مَالُكَ وَنَفْسُكَ دُونَ دِينِكَ. واعلم أنَّ الْمَحْرُوبَ مَنْ حُرِبَ دِينُهُ، وَالْمَسْلُوبُ مَنْ سُلِبَ دِينُهُ، واعلم أَنَّهُ لَا غِنَى بَعْدَ النَّارِ، وَلَا فَقْرَ بَعْدَ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ النَّارَ لَا يُفْلَكُ أَسِيرُهَا، وَلَا يَسْتَغْنِي فَقِيرُهَا».

ولما حضرت الوفاءُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ<sup>(١)</sup> جَزَعَ وجعل يقول: لِلَّهِ دَرُّ الْبَغْلَاتِ الْمَسْرَجَاتِ الْوَاقِفَاتِ بِأَبْوَابِ السُّلْطَانِ. وَاللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ رَاعِي إِبِلٍ مِثْلَ لِرَجُلٍ سَيِّءِ الْمَلَكَةِ.

ولما احتضر إبراهيمُ بْنُ يَزِيدِ النَّخَعِيِّ<sup>(٢)</sup> جَزَعَ جَزَعاً شَدِيداً وجعل يقول: نَفْسِي أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيَّ. فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عِمْرَانَ، أَتَجَزَعُ هَذَا الْجَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ؟ فَقَالَ: وَأَيُّ غَرَرٍ أَعْظَمُ مِمَّا أَنَا فِيهِ، إِنَّمَا أَتَوَقَّعُ رَسُولاً مِنْ رَبِّي إِمَّا بِجَنَّةٍ وَإِمَّا بِنَارٍ.

ويروى أَنَّ فَتًى مِنَ الْأَعْرَابِ حَضَرَتْهُ الْوَفَاءُ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ يَبْكِيَانِ حَوَالِيهِ بُكَاءً ذَرِيعاً، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمَا؟ فَقَالَا لَهُ: إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَوْتِ مَا تَلْدُ الْوَالِدَةَ، وَلَكِنْ لِيَزْهَوْكَ كَانَ فِيكَ. فَقَالَ: اللَّهُ، مَا يُبْكِيكُمَا إِلَّا ذَاكَ، فَحَلَفَا عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا يَسْرُنِي أَنَّ إِلَيْكُمَا مِنْ أَمْرِي مَا إِلَى رَبِّي.

ويروى أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ فَارَسٍ احْتَضَرَ فَجَزَعَ فَقِيلَ لَهُ: مَا بِكَ؟ فَقَالَ: مَا ظَنُّكُمْ بَمَنْ يَقْطَعُ سَفَرًا بَعِيدًا بِلَا زَادٍ، وَيَقْدُمُ عَلَى حَكَمٍ عَادِلٍ بِلَا حُجَّةٍ، وَيَسْكُنُ قَبْرًا مَوْحِشًا بِلَا مُؤْنَسٍ؟.

### وصية المهلب بن أبي صفرة الأزدي<sup>(٣)</sup>

ولما احتضر المهلبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُعْقِبُ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تُنْسِيءُ فِي الْأَجْلِ، وَتُثْرِي الْمَالَ، وَتَجْمَعُ الشَّمْلَ وَتُكْثِرُ الْعَدَدَ، وَتُعْمِرُ الدِّيَارَ، وَتُعْزُّ الْجَانِبَ. وَأَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا تُعْقِبُ النَّارَ، وَإِنَّ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ تَوْرَثُ الْقَلَّةَ وَالذُّلَّةَ، وَتُفَرِّقُ

(١) عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيُّ «أَبُو الْمَثْنَى» أَمِيرُ شَجَاعٍ مِنْ أَعْوَانِ بَنِي أُمَيَّةِ الدَّهَاءِ (١١٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٦٨).

(٢) إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدِ النَّخَعِيِّ «أَبُو عِمْرَانَ» كُوفِيٌّ مِنَ التَّابِعِينَ صَادِقُ الرِّوَايَةِ حَافِظٌ لِلْحَدِيثِ مَاتَ مُخْتَفِياً مِنْ الْحِجَابِ (٤٦ - ٩٦ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٨٠).

(٣) الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ ظَالِمُ بْنُ سَرَّاقِ الْأَزْدِيِّ الْعَتَكِيِّ «أَبُو سَعِيدٍ» أَمِيرُ شَجَاعٍ جَوَادٌ حَارِبُ الْخَوَارِجِ تِسْعَةَ عَشَرَ عَامًا وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ أَخِيرًا تَوَلَّى خِرَاسَانَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَبَقِيَ عَلَيْهَا حَتَّى وَفَاتَهُ (٧ - ٨٣ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٣١٥).

الْجَمْعُ ، وَتَذَرُ الذِّيارَ بَلَقَعاً وَتُذهِبُ المالَ ، وَتُطمعُ العدوَّ ، وَتُبدي العورةَ ، يا بَنِي .  
قَوْمَكُمْ قَوْمَكُمْ ! إِنَّه لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ بَلْ هُمْ أَفْضَلُ إِذْ فَضَّلوكُمْ وَسَوَدُّوكُمْ  
وَوَطَّؤُوا أَعْقَابَكُمْ ، وَبَلَّغُوا حَاجَاتَكُمْ لَمَّا أَرَدْتُمْ ، وَأَعَانوكُمْ ، فَلَهُمْ بِذَلِكَ حَقٌّ  
عَلَيْكُمْ ، وَبِلاءٌ عِنْدَكُمْ لَا تُؤَدُّونَ شُكْرَهُ وَلَا تَقُومُونَ بِحَقِّهِ . فَإِنْ طَلَبُوا فَأَطِيبُوهُمْ ،  
وَإِنْ سَأَلُوا فَأَعْطُوهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَسْأَلُوا فابْنِدُوهُمْ ، وَإِنْ شَتَمُوا فَاحْتَمِلُوهُمْ ، وَإِنْ  
عَشُوا أَبْوَابَكُمْ فَلْتُفْتَحْ لَهُمْ وَلَا تُغْلَقْ دُونَهُمْ . يا بَنِي ، إِنِّي أُحِبُّ لِلرَّجُلِ مِنْكُمْ أَنْ  
يَكُونَ لِفَعْلِهِ الْفَضْلُ عَلَى لِسَانِهِ ، وَأَكْرَهُ لِلرَّجُلِ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَأَسَانِهِ الْفَضْلُ عَلَى  
فَعْلِهِ . يا بَنِي ، اتَّقُوا الْجَوَابَ وَزَلَّةَ اللِّسانِ ، فَإِنِّي وَجَدْتُ الرَّجُلَ تَعَثَّرُ قَدَمُهُ فَيَقُومُ  
مِنْ زَلَّتِهِ وَيَنْتَعِشُ مِنْهَا ، وَيَزِلُّ لِسَانُهُ فَيُوبِقُهُ ، وَتَكُونُ فِيهِ هَلَكَتُهُ . يا بَنِي ، إِذَا غَدَا  
عَلَيْكُمْ رَجُلٌ أَوْ رَاحَ فَكُفَى بِذَلِكَ مَسْأَلَةً وَتَذَكُّرَةً بِنَفْسِهِ . يا بَنِي ، ثِيَابُكُمْ عَلَى  
غَيْرِكُمْ أَحْسَنُ مِنْهَا عَلَيْكُمْ ، وَدِرَاقُكُمْ تَحْتَ غَيْرِكُمْ أَحْسَنُ مِنْهَا تَحْتَكُمْ . يا بَنِي ،  
أَحْبُوا الْمَعْرُوفَ ، وَاكْرَهُوا الْمَنْكَرَ وَاجْتَنِبُوهُ ، وَأَثَرُوا الْجُودَ عَلَى الْبُخْلِ ، وَاصْطَنَعُوا  
الْعَرَبَ وَأَكْرَمُوهُمْ ، فَإِنَّ الْعَرَبِيَّ تَعِدُهُ الْعِدَّةُ فَيَمُوتُ دُونَكَ وَيَشْكُرُ لَكَ ، فَكَيْفَ  
بِالصَّنِيعَةِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ ، فِي احْتِمَالِهِ لَهَا ، وَشُكْرِهِ وَالْوَفَاءَ لَصَاحِبِهَا . يا بَنِي ،  
سُودُوا كِبَارَكُمْ وَاعْرِفُوا فَضْلَ ذَوِي أَسْنَانِكُمْ تَعْظُمُوا بِهِ ، وَارْحَمُوا صَغِيرَكُمْ وَقَرِّبُوهُ  
وَالْطِّفُوهُ وَاجْبُرُوا يَتِيمَكُمْ وَعُودُوا عَلَيْهِ بِمَا قَدَرْتُمْ ، وَخَذُوا عَلَى يَدَيْ سَفَهَائِكُمْ ،  
وَتَعَاهَدُوا فَقَرَاءَكُمْ وَجِيرَانَكُمْ بِمَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ ، وَاصْبِرُوا لِلْحَقُوقِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ .  
وَعَلَيْكُمْ فِي الْحَرْبِ بِالْأَنَاةِ ، وَالتَّؤَدَةِ فِي اللَّقَاءِ . وَعَلَيْكُمْ بِالْتِمَاسِ الْخَدِيعَةِ ، فِي  
الْحَرْبِ ، لَعْدُوكُمْ ، وَإِيَاكُمْ وَالنَّزَقَ وَالْعَجَلَةَ ، فَإِنَّ التَّمَكِيدَةَ وَالْأَنَاةَ وَالْخَدِيعَةَ فِي  
الْحَرْبِ أَنْفَعُ مِنَ الشَّجَاعَةِ . وَاعْلَمُوا أَنَّ الْقِتَالَ وَالْمَكِيدَةَ مَعَ الصَّبْرِ ، فَإِذَا كَانَ اللَّقَاءُ  
نَزَلَ الْقَضَاءُ ، فَإِنْ ظَفِرَ امْرُؤٌ وَقَدْ أَخَذَ بِالْحَزْمِ قَالَ الْقَاتِلُ : قَدْ أَتَى الْأَمْرَ مِنْ وَجْهِهِ ،  
وَإِنْ لَمْ يَظْفِرْ قَالَ : مَا ضَيِّعَ وَلَا فَرَّطَ وَلَكِنَّ الْقَضَاءَ غَالِبٌ . وَالزَّمُوا الْحَزْمَ عَلَى أَيِّ  
الْحَالَتَيْنِ وَقَعَ الْأَمْرُ ، وَالزَّمُوا الطَّاعَةَ وَالْجَمَاعَةَ ، وَإِيَاكُمْ وَالْخِلَافَ . تَوَاصَلُوا  
وَتَآزَرُوا وَتَعَاطَفُوا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَثْبِتُ الْمَوَدَّةَ . وَخَذُوا فِيمَا أَوْصِيَكُمْ بِهِ بِالْجِدِّ وَالْقُوَّةِ  
وَالْقِيَامِ بِهِ تَظْفَرُوا بِدُنْيَاكُمْ مَا كُنْتُمْ فِيهَا ، وَبِآخِرَتِكُمْ إِذَا صِرْتُمْ إِلَيْهَا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا  
بِاللهِ . وَلَيْكُنْ أَوَّلُ مَا تَبْدُؤُونَ بِهِ إِذَا أَصْبَحْتُمْ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ وَالْفَرَائِضِ ،  
وَتَأْدَبُوا بِآدَابِ الصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ سَلَفِكُمْ ، وَلَا تُقَاعِدُوا أَهْلَ الدَّعَاةِ وَالرَّيْبَةِ ،  
وَلَا يَطمَعُ فِي ذَلِكَ مِنْكُمْ طَامِعٌ . وَإِيَاكُمْ وَالْخَفَّةَ فِي مَجَالِسِكُمْ وَكَثْرَةَ الْكَلَامِ ، فَإِنَّهُ  
لَا يَسْلُمُ مِنْهُ صَاحِبُهُ ، وَأَدُّوا حَقَّ اللهِ عَلَيْكُمْ ، فَإِنِّي قَدْ أَبْلَغْتُ إِلَيْكُمْ فِي وَصِيَّتِي ،  
وَاتَّخَذْتُ لِلَّهِ الْحُجَّةَ عَلَيْكُمْ .

وَتُوفِي بِمَرْو الرُّوذ<sup>(١)</sup> رُولِي خراسانَ أَرْبَعَ سِنِينَ. فَقَالَ نَهَارُ بْنُ  
تَوْسِيعَةَ<sup>(٢)</sup>:

[الطويل]

أَلَا ذَهَبَ الْعَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى وَمَاتَ التَّدَى وَالْحَزْمُ بَعْدَ الْمُهْلَبِ  
أَقَامَا بِمَرْو الرُّوذِ رَهْنُ تُرَابِهِ وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ  
قال: ثم وَلِيَّ بعد المَهْلَبِ قَتِيبةُ بْنُ مُسْلِمٍ فدخل عليه نهارُ بْنُ تَوْسِيعَةَ وهو  
يعطي الناسَ، فلما رآه عرفه وقال: أَنْتَ الْقَاتِلُ فِي الْمَهْلَبِ مَا قُلْتَ؟ قال: بَلْ أَنَا  
الَّذِي أَقُولُ:

[الطويل]

وَمَا كَانَ مُذْ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِينَا كَائِنٌ كَائِنٍ مُسْلِمٍ  
أَعَمَّ لِأَهْلِ الشُّرْكِ قَتْلًا بِسَيْفِهِ وَأَقْسَمَ فِينَا مَغْنَمًا بَعْدَ مَغْنَمِ  
قال: إِنْ شِئْتَ فَأَقْلِلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَكْثِرْ، لَا تَصِيبُ مِنِّي خَيْرًا. يَا غَلَامُ،  
حَلَّقَ عَلَى اسْمِهِ فَلَزِمَ بَيْتَهُ حَتَّى وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ خِرَاسَانَ، فَأَتَاهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ  
وهو يقول:

[الطويل]

فَإِنْ يَكُ ذَنْبِي يَا قُتَيْبَةُ أَنْنِي بَكَيْتُ امْرَأَةً قَدْ كَانَ فِي الْجُودِ أَوْحَا  
أَبَا كُلِّ مَظْلُومٍ وَمَنْ لَا أَبَا لَهُ وَغَيْثُ مُغِيبَاتٍ أَطْلَنَ الثَّلَدُ  
فَشَأْنُكَ إِنَّ اللَّهَ إِنْ سُوَّتَ مُحْسِنٌ إِلَيَّ فَقَدْ أَبْقَى يَزِيدَ وَمَخْلَدًا  
فقال له: «احتكم»، فقال: «مئة ألف».

ويقال: إِنْ مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدٍ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهُ، لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ قَدَّمَهُ خَلِيفَةً عَلَى  
خِرَاسَانَ. فَكَانَ يَقُولُ بَعْدَ مَوْتِ مَخْلَدٍ: «رَحِمَ اللَّهُ مَخْلَدًا، مَا تَرَكَ لِي بَعْدَهُ مِنْ  
قَوْلٍ».

وكان يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ أَوْصَى مَخْلَدًا ابْنَهُ، لَمَّا سَارَ مِنْ خِرَاسَانَ  
إِلَى جُرْجَانَ<sup>(٣)</sup> فَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى خِرَاسَانَ، أَنْ قَالَ لَهُ: «يَا بُنَيَّ، انْظُرْ هَذَا

(١) مَرْو الرُّوذ: مدينة قريبة من مرو الشاهجان مات فيها المهلب بن أبي صفرة (معجم البلدان: ج ٥، ص ١١٢).

(٢) نَهَارُ بْنُ تَوْسِيعَةَ بْنُ أَبِي عَثْبَانَ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ: شاعر مداح هجاء رثا المهلب بن أبي صفرة وهجا قتيبة بن مسلم وكان أبوه شاعراً أيضاً (٨٣/٠ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ٤٩).

(٣) جُرْجَانَ: مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان (معجم البلدان: ج ٢، ص ١١٩).



الحي من اليمَن فكن فيهم كما قال أبو دؤاد الإيادي<sup>(١)</sup> :

[الطويل]

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ      فَرِشْ وَاضْطَنِعْ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي  
وَكُنْ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ      كَمَا قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

[السريع]

يَا رَاكِباً قُولَا لِإِخْوَانِنَا      مَنْ كَانَ مِنْ كِنْدَةَ أَوْ وَائِلٍ  
إِنَّا وَإِيَّاكُمْ وَمَا بَيْنَنَا      كَمَوْضِعِ الزُّورِ مِنَ الْكَاهِلِ  
قال: ونمي إلي عن مسلمة بن علقمة قال: كتب مروان بن محمد<sup>(٢)</sup> إلى  
ولد المسور يُعْزَم عن أبيهم: «قد بلغ أمير المؤمنين الذي كان من نازل قضاء الله  
في المسور بن عمرو، وما اختار الله له من المصير إليه، فعند الله يحتسب أميرُ  
المؤمنين مصابه وَنِعَمَ الْمُتَوَفَّى توفاه الله من بينكم. وفي جود الله الخلفُ الكافي.  
وقد أعاضكم الله من رزيئتكم رأياً من أمير المؤمنين جميلاً، فيه حُسن الخلف  
عليكم. فلتحسن ظنونكم برؤيتكم وخليفتمكم فإن الله لم يقبض ولياً له إلا أحسن  
خلافته في ولده وأهل لحمته».

وتحدث يعقوب بن داود قال: عُزِّي السائب بن الأقرع<sup>(٣)</sup> عن ابن له، فقال  
السائب: «هكذا الدنيا تصبح لك سارة، وتسمي عليك متنكرة». ثم تمثّل:

[الطويل]

أَلَا قَدْ أَرَى أَنْ لَا خُلُودَ وَأَنْتَهُ      سَيَنْعَقُ فِي دَارِي غُرَابٌ وَيَخْجَلُ  
وَيَقْسِمُ مِيرَاثِي رِجَالُ أَعَزَّةٍ      وَتَذْهَلُ عَنِّي الْوَالِدَاتُ وَتُشْغَلُ  
وتحدث النضر بن إسحاق قال: ماتت امرأة بكر بن عبد الله المزني فاشتد  
حزنه عليها، فنهاه الحسن فقال: «يا أبا سعيد، إنها كانت مواتية، وكانت...  
وكانت...» فقال له الحسن: «لا تيأس، فعند الله خيرٌ منها». فتزوج أختها بعدها،  
فمرّ به الحسنُ بعد ذلك فقال: «يا أبا سعيد، هذه خير من أختها».

(١) أبو دؤاد جارية بن الحجاج الإيادي: شاعر جاهلي من وصاف الخيل المجيدين (.../...).  
(الأعلام: ج ٢، ص ١٠٦).

(٢) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم «أبو عبد الملك» المعروف بالجُعدي أو الحمار آخر خلفاء  
بني أمية (٧٢ - ١٣٢ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٠٨).

(٣) السائب بن الأقرع الثقفي: ولاء عمر قسمة الغنائم يوم نهاوند مات بأصبهان (البيان والتبيين: ج ٢،  
ص ١٩٨).

قال أبو الحسن المدائني عن الحسن الجُفري قال: لما مات سعيد، أخو الحسن، حزن عليه الحسن وقال: «إنه لأعزُّ أهلي عليَّ، ولأنَّ يكون لي أحبُّ إليَّ من أن أكون له». فعاتبه بعضُ إخوانه فقال الحسن: يا عبد الله، قد حزن يعقوب على ابنه يوسف فلم يُعَنِّفه الله عز وجلَّ بذلك.

وقال عن كُليب بن خلف: قال عبد الكريم المازني لعبد الله بن عبد الله بن الأَهم: كيف كان جَزَعُكَ على أهل بيتك؟ فقال: ما ترك حبَّ الغداء والعشاء في قلبي حُزناً على أحد.

وقال يزيد بن عياض بن جعدبة: كان عبد الله بن الزبير إذا أصابته مصيبة قال: قد قُتل أبي وإمامي عثمان بن عفان فصبرتُ.

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني: أخبرنا إسماعيل بن يسار قال: مات ابنُ لأزطاة بن سُهَيْة المَرِّي، من غطفان، فأقام على قبره حَوْلًا يَأْتِيهِ كُلُّ غَدَاةٍ فيقول: يا عمرو، إن أقمْتُ حتى أَمسي هل أنت رائح معي؟ ويَأْتِيهِ عند المساء فيقول مثل ذلك، ثم ينصرف. فلما كان في رأس الحَوْل تمثَّل:

[الطويل]

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْنِكما وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كامِلاً فَقَدْ اغْتَذَرَ  
ثم انصرف عنه وهو يقول:

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ لَيْلَى فَلَمْ يَكُنْ	وَقُوفِي عَلَيْهِ غَيْرَ مَبْكَى وَمَجْزَعٍ
هَلْ أَنْتَ ابْنُ لَيْلَى إِنْ نَظَرْتُكَ رَائِحٌ	مَعَ الْقَوْمِ أَوْ غَادِ غَدَاةً غِدِّ مَعِي؟
فَلَوْ كَانَ لُبِّي شَاهِداً مَا أَصَابَنِي	شَهِيقٌ عَلَى قَبْرِ بِأَخْجَارٍ أَجْرَعٍ
فَمَا كُنْتُ إِلَّا وَالْهَاءُ بَعْدَ زَفَرَةٍ	عَلَى شَجْوِهَا بَعْدَ الْحَنِينِ الْمُرْجَعِ
مَتَى لَا تَجِدُهُ تَنْصَرِفُ لِطَيَّاتِهَا	مِنْ الْأَرْضِ أَوْ تَرْجِعَ لِإِلْفٍ فَتَرْتَعِ
عَلَى الدَّهْرِ فَاغْتَبِ إِنَّهُ غَيْرُ مُعْتَبٍ	وَفِي غَيْرِ مَنْ قَدْ وَارَتْ الْأَرْضُ فَاطْمَعِ

وقال أبو محمد الكعبي: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استشهد أخوه زيد بن الخطاب باليمامة - وحضره رجلٌ من بني عدي بن كعب، فرجع إلى المدينة، فلما رآه عمر دمعت عينه ثم قال:

أَخْلَفْتُ زَيْداً ثَاوِيّاً وَأَتَيْتَنِي

وقال المثنى بن عبد الله بن عوف: كان عمرُ بن الخطاب رحمه الله إذا

أصابته مصيبة قال: قد فُقدتُ زيدا فصبرت. وكان يقول: ما هبَّت الصبا إلا وجدتُ نسيمَ زيد.

وقال أبو الحسن: أخبرني من أثق به عن حكيم من الحكماء قال: مات أخ له فجزع عليه، فقال له قائلٌ من أصحابه: اصنع بنفسك ما يصنعك بك الدهر.

وأخبر عن أبي إبراهيم قال: قال عباد بن مُخاشن: «استشهد لي ابنان فجزعتهما». فقال له رجل: «ثم ماذا؟» قال: «كان جرحاً فبراً».

وتحدث قال: لما مات معاوية دخل على يزيد أشرف أهل الشام، فلم يجتمع لأحد منهم تعزية مع تهنئة إلا عطاء بن أبي سفيان فإنه قال: «يا أمير المؤمنين، أصبحت قد رزئت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله. قضى معاوية نحبّه، فغفر الله له ذنبه، وأعطيت بعده الرئاسة، ومُنحت السياسة؛ فاحتسب عند الله عظيم الرزية، واشكره على جميل العطيّة».

وقال الأصمعي: لما ماتت «البانوقة»، ابنة المهدي، اشتد جزعه عليها فحجب الناس، فتلطّف شبيب بن شيبّة<sup>(١)</sup> فدخل عليه فقال: «يا أمير المؤمنين، واللّه لله خير لها منك، ولثواب الله خير لك منها. وإنّ أحق ما صبر عليه ما لم يُقدّر على دفعه». فكان هذا أول ما تسلى به، وأذن للناس.

وقال جويرية بن أسماء: اشتكى ابن لعبد الله بن عمر بن الخطاب، فجزع عليه. فلما مات لم يظهر منه مثل ما كان يظهر في مرضه. فقليل له في ذلك فقال: كان ذلك مني رحمة له ورقة، فلما وقع القضاء رضيت وسلّمت.

وقال أبو الحسن: أصبح رجلٌ من بني نهشل وقد موّت له عدّة أباعر وشاء، فقال: لئن كانت المنية باتت تُطيف بي ثم أصبحت، وقد زالت عني إلى شاتي وبعيري، ثم جزعتُ إني لجزوع ثم قال:

[مجزوء الكامل]

الْمَرْءُ يَسْعَى سَادِرًا حَتَّى يُقَالَ لَهُ تَعَالَى

وتحدث أبو الحسن المدائني، أو غيره، عن أبان بن تغلب النحوي قال:

(١) شبيب بن شيبّة بن عبد الله التميمي المنقري الأهمي «أبو معمر» بصري يقال له الخطيب لفصاحته أديب الملوك وجليس الفقراء كان شريفاً من الدهاة يفرع إليه أهل بلده في حوائجهم (١٧٠/... هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ١٥٦).

شهدت امرأة من الأعراب وبين يديها ابنٌ لها رجلٌ وهو يجود بنفسه وعندها جماعة من قومها. فلما قضى وثبت إليه فَعَمَّضَتْهُ وَعَصَّبَتْهُ وترحمت عليه ثم تنحّت إلى مجلسها فقالت: يا أبا ن، ما أحقّ من ألْبَسَ النعمة وأطيلت به النّظرة ألا يعجز عن التوثق لنفسه من قبل حلّ عُقْدَتِهِ والحلول بعقوته<sup>(١)</sup> والحيالة بينه وبين نفسه. قال: فقال رجلٌ من الأعراب ممّن حضرها: إنا لم نزل نسمع أنما الجزع للنساء، فوأبيك لقد كرم صبرك، وما أشبهت النساء! فقالت: ما ميّز إنسان بين صبر وجزع إلا وجد بينهما منهجين بعيدني التفاوت في حالتيهما. أمّا الصبرُ فحَسَنُ العلانية، محمود العاقبة. وأمّا الجزع فغيرُ معوضٍ عِوضاً مع مآثمِهِ. ولو كانا رجلين في صورة كان الصبرُ أولاهما بالغلبة على الحسن في الخلقة والكرم في الطبيعة.

وقال أبا ن: حدثنا ابن السّمّاك<sup>(٢)</sup> قال: جلسنا ننتظر جنازةً لتخرج إذ مرّ بنا أعرابيٌّ فوقف علينا فسلم ثم قال: إنّ أعظمَ المصيبة مُصابكم برسول الله ﷺ، عظمَ الله أجركم، ورحم ميتكم قال ابنُ السّمّاك: فما يُخيّل إليّ أني سمعتُ كلماتٍ أوجزَ منهنّ: إنه صدرَ كلامه برسول الله ﷺ، وعزّانا، وترحم على ميتنا في كلمة واحدة.

وقال أبا ن: سمعت بعض الأعراب يتلّهِف على حميم له ثم تنفس الصُّعداء وقال: أيّهات<sup>(٣)</sup>! عَتِبَ النَّاسُ على الدهر فلم يُعْتَبِ مُسْتَعْتَباً، ولم يَزِثْ لِمُتْلَهَفٍ عليه، ثم قال: كل امرئٍ مَنّا يجري في السوابق من حتم الله عليه.

وتحدث الحرّمازي رحمه الله عليه قال: كان مروان بن عبد الملك، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، من أَحَبِّ ولد عبد الملك إليه، فتوفي في حياة عبد الملك، وكان أهل العلم بعبد الملك بن مروان يروُنَ أنه لو بقي لثَلَثَ به في العهد. فكتب إلى عبد الملك بعض عمومته من بني الحكم وهو غائب يُعزّيه عنه ويسأله كيف كان صبره. فكتب إليه عبد الملك:

[البسيط]

كَتَبْتُ تَسْأَلُ عَنْ صَبْرِي لِتَغْلَمَهُ عَلَى الرَّزِيَةِ بِالمَأْمُولِ مَرْوَانَ

(١) العقوة: ساحة الدار.

(٢) محمد بن صُبْح «أو صُبَيْح» «أبو العباس» ويعرف بابن السّمّاك: زاهد واعظ مكث في بغداد أيام الرشيد ثم توفي في الكوفة سنة ١٨٣ هـ (الوفيات: ج ٣، ص ٤٢٨).

(٣) أيّهات: بعد ذلك (هيّهات).

فَقَدْ صَبَرْتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مُحْتَسِبًا لِمَوْعِدِ اللَّهِ مِنْ قَوْزٍ وَرِضْوَانٍ  
وَلَوْ حَزِنْتُ وَلَمْ أَضِيزْ لِفُرْقَتِهِ مَا كَانَ فِي فَقْدِهِ مَنَاهَا أَخْزَانِي

وقال الحرمازي: كان سبب موت مروان بن عبد الملك أنه وقع بينه وبين أخيه سليمان كلامٌ فعجل عليه سليمان فقال له: «يا بن مُلَحْنٍ<sup>(١)</sup> أمه»، ففتح فاه ليغيبه وإلى جانبه عمرُ عبد العزيز فأمسك على فيه وردَّ كلمته وقال له: «يا أبا عبد الملك، أخوك إمامك وله السنُّ عليك». فقال: «يا أبا حفص قتلتنِي». قال: «وما صنعتُ بك؟» قال: «رددت في جوفي أحرَّ من الجمر». ومال لجنبه فمات. وفيه يقول جريرٌ يخاطب أخاه لأمه، يزيد بن عبد الملك:

[الطويل]

أَبَا خَالِدٍ فَارَقْتُ مَرْوَانَ عَنْ رَضَى وَكَانَ يَزِينُ الْأَرْضَ أَنْ تَنْزِلَا مَعَا  
فَسِيرُوا فَلَا مَرْوَانَ لِلْحَيِّ إِنْ شَكُّوَا وَلَا الرُّكْبَ إِنْ أَمْسَوْا مَخْفَيْنَ جُوعَا  
قال: وبلغني أن عبد الملك أمر غاسله إذا فرغ من جهازه أن يؤذنه، ففعل، فكشف عن وجهه ثم قال: الحمد لله الذي يقتل أولادنا ونحبه.

قال أبو الحسن: لما حضرت أيوب بن سليمان بن عبد الملك الوفاة - وكان وليَّ عهد أبيه - دخل عليه وهو يجود بنفسه، ومعه عمر بن عبد العزيز وسعيد بن عُقبة ورجاء بن حَيوة<sup>(٢)</sup> قال: فجعل ينظرُ في وجهه وهو يفوق<sup>(٣)</sup> بنفسه فخنقته العبرة فردّها ثم نظر إلينا فقال: إنه، والله، ما يملك العبد أن يسبق إلى قلبه الوجدُ عند المصيبة والناس عند ذلك أخياف<sup>(٤)</sup>، فمنهم من يغلب صبره جَزَعه، فذلك الجَلْدُ الحازم المحتسب، ومنهم من يغلب جزعه صبره، فذلك المغلوبُ الضعيف العقدة، وليست منكم حِشْمَةٌ، وإني أجد في قلبي لوعةً إن لم أبردّها بعبرةٍ خشيتُ أن تنصدع كبدي كمدًا وأسفًا. فقال له عمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، الصبر أولى بك فلا تُحِبِّطَنَّ أَجْرَكَ. قال سعيد بن عُقبة: فنظر إليَّ وإلى رَجَاءِ بْنِ حَيوةَ نظر مُسْتَغِيثٍ يَرَجُو أَنْ نَسَاعِدَهُ عَلَى مَا أَرَادَ مِنَ الْبُكَاءِ.

(١) لَحْنٌ وَلَحْنُهُ: قال له يا بن اللحناء واللحن نتن المغابن (مطاوي الجسد).

(٢) رَجَاءُ بْنُ حَيوةَ بن جرول الكندي «أبو المقدام» واعظ فصيح من الشام لازم عمر بن عبد العزيز أميراً وخليفة (١١٢ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ١٧).

(٣) فاق بنفسه يفوق: جاد.

(٤) الناس أخياف: أي مختلفون.

فأما أنا فكرهت أن آمره أو أنهاه، وأما رجاء فقال: يا أمير المؤمنين، افعل، فإني لا أرى بأساً ما لم تأت الأمر المفريط. فقد بلغني أن رسول الله ﷺ لما هلك إبراهيم اشتدَّ وجده عليه فدمعت عيناه فقال: تدمع العين ويوجع القلب ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك لمحزونون يا إبراهيم. قال: وأرسل عينيه فبكى حتى ظننَّا أنَّ نياط قلبه قد انصدع، فقال عمر: يا رجاء، هذا ما صنعت بأمر المؤمنين! فقال: دعه، يا أبا حفص، يقض من بُكائه وطراً، فإنه لو لم يُخرج من صدره ما ترى لَخِفْتُ أن يأتي عليه، ثم رَقَّأت عَبرته فدعا بماء فغسل وجهه فأقبل علينا وقد قضى الفتى، فأمر بجهازه وخرج يمشي أمام جنازته، فلما دُفِنَ وَحُثِيَ عليه التراب وقف قليلاً ينظر إلى قبره ثم قال:

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ      مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقٍ  
ثم قال: السلام عليك يا أيوب.

[السريع]

كُنْتُ لَنَا أَنْسَاءً فَأَوْحَشْنَا      فَالْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكَ مُرُّ الْمَذَاقِ  
ثم قال: أدن، يا غلام، دابتي، فركب ثم عطف برأس دابته إلى القبر ثم قال:

[البسيط]

فَإِنْ صَبَرْتُ فَلَمْ أَلْفِظْكَ مِنْ شَبَعٍ      وَإِنْ جَزَعْتُ فَعَلَقْتُ مُنْفِسٌ ذَهَبَا  
فقال عمر: يا أمير المؤمنين، بل الصبر، فإنه أقرب إلى الله وسيلة وليس الجزع يحيي من مات، وبالله العصمة والتوفيق.

وقال الحسن بن عمار<sup>(١)</sup> عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة قالت: لما مات عبد الله بن أبي بكر وجد عليه أبو بكر وجداً شديداً ثم دخل عليّ فقال: يا عائشة، والله لكانما أخذ بأذن شاة من دارنا فأخرجت، فقلت: الحمد لله الذي عَزَمَ لك على رُشدك، وربط على قلبك. قالت: ثم جاء بعد ذلك فقال: أي بُنيّة، أتخافين أن تكونوا دفنتم عبد الله وهو حي؟. فقلت: استعِذ بالله يا أبة. فقال: أستعِذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أي بُنيّة،

(١) الحسن بن عمار «أبو محمد» كوفي مولى لبجيلة فقيه محدث قضى للمنصور في بغداد وتوفي سنة ١٥٣ هـ (تاريخ بغداد: ج ٧، ص ٣٤٥).

إنه ليس أحدٌ إلا وله من الشيطان لَمَّةٌ. فرثته عاتكة امرأته، وهي ابنة زيد بن عمرو بن نفيل<sup>(١)</sup> فقالت:

[الطويل]

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفُكُ عَيْنِي سَخِينَةً      عَلَيْكَ وَجِلْدِي آخِرَ الدَّهْرِ أَغْبَرَا  
وهذا يتصل بخبر ليس من هذا الباب.

ولما مات عبد الرحمن بن أبي بكر لم تحضره عائشة، فأتت قبره فقالت:  
يا أخي، لو كنتُ شهدتُ وفاتك لم أُرزُ قبرك ثم تمثلت:

[الطويل]

وَكُنَّا كَنُذْمَائِي جَذِيمَةً حَقْبَةً      مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَن نَتَصَدَّعَا  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا      لِطَوْلِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِثْ لَيْلَةً مَعَا  
وحدثنا ابنُ عائشة، وحدثنيه غيره وحديثه أتم أن عائشة حضرت أبا بكر  
رحمة الله عليه وهو يقضي فقالت: وهذا والله قوله:

[الطويل]

أَمَاوِيٌّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى      إِذَا حَشَرَ جَثَّ يَزُمَا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ  
فقال: أي بُنيَّة، لا تقولي كذا وقولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>  
وهكذا كان يقرؤها أبو بكر رحمه الله.

قال الهلالي: كان أبو بكر الصديق، رحمة الله عليه، إذا قيل له: مات فلان  
قال: لا إله إلا الله. وكان عثمان، رحمه الله، إذا قيل له: مات فلان قال: لا إله  
إلا الله.

وقال الهلالي: قيل لمعاوية: مات زياد، فقال: وارجلاه، ثم قال:

[الطويل]

أَفَرِذْتُ سَهْمًا فِي الْكِنَانَةِ وَاحِدًا      سَيُزْمَى بِهِ أَوْ يَكْسِرَ السَّهْمَ كَاسِرُ  
وقال: لما هلك ابنُ معاذ بن جبل، كتب إليه رسول الله ﷺ: «من محمد  
رسول الله إلى معاذ بن جبل، سلامٌ عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا  
هو. أما بعد. فإنَّ أنفسنا وأهلينا وأموالنا ودائع الله جلَّ ذكره وعواريه المُستودعة

(١) عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القريشية العدوية: شاعرة صحابية من المهاجرات تزوجها عدد من  
الصحابة (.../٤٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٤٢).

(٢) سورة ق: الآية ١٩.

يُمْتَعُ بها من يشاء إلى أجل معدود، ويقبضُها لوقتٍ معلوم، فأمرنا بالشكر إذ أعطانا، وبالصبر إذ ابتلانا، فكان ابنك من مواهب الله الهنيئة، ومن عَواريه المُستودعة يُمْتَعُ بها من يشاء إلى أجل معدود، ويقبضُها لوقت معلوم. وقد مَتَّعَكَ اللهُ به، في غِبْطَةٍ وسرور، وقَبْضِهِ منك بأجر كبير، فالصلاة والرَّحمة والهُدَى، يا مُعَاذَ إِنْ صَبَرْتَ واحتسبتَ، فلا يُذْهِبَنَّ جَزْعُكَ أَجْرَكَ فَتَنْدَمَ على ما فاتك. فإنك لو قَدِمْتَ على ثواب مُصِيبَتِكَ، قد أَرْضَيْتَ رَبَّكَ وَتَنَجَّزْتَ موعودَه علمتَ أَنَّ المُصِيبَةَ قد قُصِرَتْ عنك. واعلم أَنَّ الجزعَ لا يَرُدُّ ميتاً ولا يدفع حُزناً. فأُحْسِنِ العزاء، وَتَنَجَّزِ الموعود، وَلْيُذْهِبْ أَسْفَاكَ ما هو نازل بك فكأنَّ قَدْ.

ولما مات مِسْمَعٌ<sup>(١)</sup> جاء شبيبُ بن شَيْبَةَ حتى أخذ بالباب الذي فيه ولده وأهله وبنو عمه فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم قال:

[الكامل]

بَكُوا حَذِيفَةَ لَنْ تُرْتُوا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قَبَائِلُ لَمْ تُخْلَقِ  
قال الأصمعي: مرَّ رجل على بعض مقابر العرب فإذا هو بشيخٍ قاعدٍ على شفيرِ قبرٍ، وبين يديه فتيةٌ كأنهم الرِّماح يدفنون رجلاً، والشيخ يقول:

[الرجز]

أُحْشُوا عَلَى الدَّيْسَمِ<sup>(٢)</sup> مِنْ بَرْدِ الثَّرَى قَدْماً أَبَى رَبُّكَ إِلَّا مَا تَرَى  
قال: فسألت الشيخ: من الميت؟ فقال: ابني. فقلت: فمن هؤلاء؟ قال: بنوه. وقال أبو جعفر الدمشقي: حدثنا أبو بكر السُّلَمي عن المُعافي بن عمران<sup>(٣)</sup> عن شهاب بن خِراش عن عبد الرحمن بن عثمان قال: دخلنا على مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وهو قاعد عن رأس ابن له يجودُ بنفسه، فما ملكنا أنفسنا أَنْ ذَرَفَتْ أَعْيُنُنَا وانتحب بعضنا فزَجَرَهُ مُعَاذٌ وَقَالَ: مَهْ، فَوَاللَّهِ لِعَلَّمُ اللَّهَ بِرِضَايَ بِهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ غَزْوَةٍ غَزَوْتُهَا مع رسول الله ﷺ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ كَانَ لَهُ ابْنٌ وَكَانَ عَلَيْهِ عَزِيزاً وَبِهِ ضَنْيناً، فَصَبَرَ عَلَى مُصِيبَتِهِ وَاحْتَسَبَهُ أَبَدَلَ اللَّهُ الْمَيِّتَ دَاراً خيراً مِنْ دَارِهِ، وَقَرَّاراً خيراً مِنْ قَرَّارِهِ، وَأَبَدَلَ الْمُصَابِ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالرِّضْوَانَ. فما بَرَحْنَا حَتَّى قَضَى الْغَلَامُ حِينَ أَخَذَ الْمَنَادِي فِي النِّدَاءِ لَصَلَاةِ الظُّهْرِ، فَرُحْنَا نُرِيدُ

(١) هو مسمع بن عبد الملك المسمعي.

(٢) الدَّيْسَم: اسم المراثي.

(٣) المعافي بن عمران الأزدي الموصلي «أبو مسعود»: شيخ الجزيرة ثقة حافظ للحديث صنف كتباً في الزهد والأدب والفتن وغير ذلك (١٨٥ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٦٠).



الصلاة فما جئنا إلا وقد غسله وحنَّطه وكفَّنه ودخل بسريره غير مُنتظرٍ لشهادة الإخوان ولا لجمع الجيران.

قال: فلما بلغنا ذلك تلاحقناه فقلنا: يغفر الله لك يا أبا عبد الرحمن، هلاً انتظرتنا حتى نَفْرَغَ من صلاتنا ونشهد ابن أخينا. فقال: أمرنا ألا ننتظر بموتنا ساعة، ماتوا من ليل أو نهار. والإذن فيهم من نعي الجاهلية. قال: فنزل في القبر ونزل معه آخرُ فقلت: الثالث يا أبا عبد الرحمن، فقال: إنما يقول الثالث الذين لا يعلمون. فلما سوى عليه التراب أراد الخروج فناولته يدي لأنتشطه من القبر فأبى وقال: ما أدعُ ذلك لفضل قوة، ولكن أكره أن يرى الجاهل أن ذلك مني جزع أو استرخاء عند المصيبة ثم أتى مجلسه فدعا بدهن فادهن وبكحل فأكحل وببردة فلبسها، وأكثر في يومه ذلك في التبسُّم، ينوي به ما ينوي، ثم قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون. في الله خلف من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودرك لكل ما فات». وقال: سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول: من أصيب بمصيبة فدعا عليها ويلاً غضب الله عليه، ومن لطم عليها وجهاً احتجب الله عنه، ومن خرَّق عليها ثوباً خرَّق دينه ومزقه وبدَّده».

قال: فلما كان طاعونُ عمواس طعنَ معاذ في يده، فدخلنا عليه فرأيناه مغمى عليه، باسطاً يده كأنه يصافح قوماً ويرحبُ بهم. فلما أفاق قلنا له: يا أبا عبد الرحمن، دخلنا عليك وكأنك تصافح قوماً وترحبُ بهم. فقال: أجل، شكرني ربي بصبري على ابني فأرسل إلي ملائكة من الكروبيين<sup>(١)</sup> يشيعوني إلى قبري.

## باب

قال أبو العباس: وقصدنا في وقتنا هذا لذكر مرثي من أشعار المحدثين لنزل بها من خشونة أشعار القدماء إلى لطف المولدين لمشاكلة الدهر وملاحية القول لئلمضي من ذلك شيئاً ثم نعود إلى أمرنا الأول إن شاء الله تعالى من أشعار قديمة ومواعظ حكيمة. وبالله الحول والقوة.

قال مسلم بن الوليد<sup>(٢)</sup> يرثي الفضل بن سهل ذا الرئاستين<sup>(٣)</sup>:

[الطويل]

(١) الكروبيون مفردتها «كروب» وهم سادة الملائكة أو المقربون منهم.

(٢) مسلم بن الوليد «المعروف بصريع الغواني» شاعر غزلي أول من أكثر في البديع في شعره (٢٠٨/٢ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٢٣).

(٣) أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي: وزير المأمون الملقب بذي الرئاستين لأنه تقلد الوزارة والسيف وكان أخير الناس بعلم التجارة وكان «مصبياً» في «الملك» ثقل أمره على المأمون ففسد إليه =

وَهَلْتُ فَلَمْ أُمْتَغْ عَلَيْكَ بِعَبْرَةٍ  
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا عِجْ الْأَسَى  
بَعَثْتُ لَكَ الْأَنْوَاحَ فَارْتَجَّ بَيْنَهَا  
الْإِلْبَاسُ أَمْ لِلْجُودِ أَمْ لِلْمَقَاوِمِ  
فَلَمْ أَرَ إِلَّا قَبْلَ يَوْمِكَ ضَاحِكًا

وَأَكْبَرْتُ أَنْ أَلْقَى بِيَوْمِكَ نَاعِيَا  
وَأَنْ لَيْسَ إِلَّا الدَّمْعُ لِلْحُزْنِ شَافِيَا  
نَوَاحٍ يَنْدُبْنَ الْعُلَى وَالْمَسَاعِيَا  
مِنْ الْمُلْكِ يَزْحَمْنَ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا  
وَلَمْ أَرَ إِلَّا بَعْدَ يَوْمِكَ بَاكِيًا

وقال إبراهيم بن المهدي<sup>(١)</sup> يرثي ابناً له أصيب به بالبصرة وهو واليها. وكان فيما يؤثّر عنه يستحق أن يرثى وأن يوصف، وشعره هذا يستحق أن يبكي القلوب، ويستنزل الدموع لحسن لفظه، وصحة معناه، وشرف قائله، وأنه إذا سُمع علم أنه عن نية صادقة. قال:

[الطويل]

نَأَى آخِرَ الْأَيَّامِ عَنْكَ حَبِيبُ  
دَعَتْهُ نَوَى لَا يُرْتَجَى أَوْبَةٌ لَهَا  
يَؤُوبُ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلُّ غَائِبٍ  
تَبَدَّلَ دَارًا غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةٍ  
أَقَامَ بِهَا مُسْتَوِطِنًا غَيْرَ أَنَّهُ  
تَوَلَّى وَأَبْقَى بَيْنَنَا طِيبَ ذِكْرِهِ  
خَلَا أَنَّ ذَا يَفْنَى وَيَبْلَى وَذِكْرُهُ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ كَالدَّرِّ يَلْمَعُ نُورُهُ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ كَالْغَضَنِ فِي مَنِيْعَةِ الضُّحَى  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ زَيْنَ الْفَنَاءِ وَمَعْقِلَ النَّدَى  
وَرِيحَانَ قَلْبِي كَانَ حِينَ أَشْمُهُ  
قَلِيلًا مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ يُزَوْ ناظِرِي  
كَظِلِّ سَحَابٍ لَمْ يَقُمْ غَيْرَ سَاعَةٍ  
أَوْ الشَّمْسِ لَمَّا عَن غَمَامٍ تَحَسَّرْتُ  
كَأَنِّي بِهِ إِذْ كُنْتُ فِي النَّوْمِ حَالِمٌ

فَلِلْعَيْنِ سَحٌّ دَائِمٌ وَغُرُوبُ  
فَقَلْبُكَ مَسْلُوبٌ وَأَنْتَ كَثِيبُ  
وَأَحْمَدُ فِي الْغُيَّابِ لَيْسَ يَؤُوبُ  
سِوَايَ وَأَخْدَاتُ الزَّمَانِ تَنُوبُ  
عَلَى طُولِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبُ  
كَبَاقِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ حِينَ تَغِيبُ  
بِقَلْبِي عَلَى طُولِ الزَّمَانِ قَشِيبُ  
بِأَضْدَافِهِ لَمَّا تَشْنُهُ ثُقُوبُ  
سَقَاهُ النَّدَى فَاهْتَزَّ وَهُوَ رَطِيبُ  
سَاءَ إِذَا يَوْمٌ يَكُونُ عَصِيبُ  
وَمَوْئِسَ قَضَرِي كَانَ حِينَ أَغِيبُ  
بِهَا مِنْهُ حَتَّى أَعْلَقْتُهُ شَعُوبُ  
إِلَى أَنْ أَطَاخَتْهُ فُطَاخُ جَنُوبُ  
مَسَاءً وَقَدْ وَلَّثَ وَحَانَ غُرُوبُ  
نَفْسِي لَذَّةَ الْأَخْلَامِ عَنْهُ هُبُوبُ

= من قتله سنة ٢٠٢ هـ (وفيات الأعيان: ج ٤، ص ٤١).

(١) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور «أبو إسحاق» أخو هارون الرشيد ولأه دمشق دعا إلى نفسه عندما اختلف الأمين والمأمون سجنه المأمون ثم عفا عنه (١٦٢ - ٢٢٤ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٥٩).

فَلَسْتُ خُطُوبَ الدَّهْرِ أَخْفِلُ بَعْدَهُ  
وَلَا لِي شَيْءٌ عَنْهُ مَا عَشْتُ لَذَّةً  
وَكَانَ نَصِيبَ الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ  
وَكَانَ وَقَدْ آزَى الرِّجَالَ بِعَقْلِهِ  
بِمَا تَشْهَدُهُ الرُّكَابُ لِحُسْنِهِ  
وَكَانَتْ يَدِي مَلَأَى بِهِ ثُمَّ أَضْبَحْتُ  
وَكُنْتُ بِهِ فِي النَّائِبَاتِ إِذَا عَرْتُ  
بِحَالِ الَّذِي يَجْتَاحُهُ السَّيْلُ بَغْتَةً  
جَمَعْتُ أَطِبَّاءَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يُصِبْ  
وَلَمْ يَمْلِكِ الْآسُونُ دَفْعاً لِمُهْجَةٍ  
سَأَبْكِيكَ مَا أَبْقَتْ دُمُوعِي وَالْبُكَاءُ  
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ أَوْ تَعْنَتْ حَمَامَةٌ  
وَأُضْمِرُ إِنْ أَنْفَذْتُ دَمْعِي لَوْعَةً  
حَيَاتِي مَا كَانَتْ حَيَاتِي فَإِنْ أُمْتُ  
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تَنَالَكَ ذَرَّةٌ  
وَمَا زَالَ إِشْفَاقي عَلَيْكَ عَشِيَّةً  
وَمَا زَالَ إِشْفَاقي عَلَيْكَ عَشِيَّةً  
فَمَا لِي إِلَّا الْمَوْتُ بَعْدَكَ رَاحَةً  
قَضَمْتُ جَنَاحِي بَعْدَمَا هَذَا مَنَكَبِي  
فَأُضْبَحْتُ فِي الْهَلَاكِ إِلَّا حُشَّاشَةً  
تَوَلَّيْتُهَا فِي حِجَّةٍ فَتَرَكْتُهَا  
وَلَا رُزْءَ إِلَّا دُونَ رُزْءِكَ رُزْؤُهُ  
بِأَنِّي وَإِنْ قُدِّمْتُ قَبْلِي لِعَالَمٍ  
وَأَنْ صَبَاحاً تَلْتَقِي لِي مَسَائِهِ

وَلَوْ كَانَ مَا مِنْهُ الْوَلِيدُ يَشِيبُ  
وَلَوْ نِلْتُ مَا هَبَّتْ عَلَيْهِ هُبُوبُ  
فَأُضْحَى وَمَا لِلْعَيْنِ مِنْهُ نَصِيبُ  
فَإِنْ قَالَ قَوْلًا قَالَ وَهُوَ مُصِيبُ  
وَيَفْحَمُ مِنْهُ الْكَهْلُ وَهُوَ أَرِيبُ  
بِعَذْلِ إِلَهِي وَهِيَ مِنْهُ سَلِيبُ  
وَوَهْرِي مُنْتَدُ الْقَنَاةِ صَلِيبُ  
فَيَفْتَقِدُ الْأَذْنَيْنِ وَهُوَ حَرِيبُ  
دَوَاءَكَ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ طَبِيبُ  
عَلَيْهَا لِإِشْرَاكِ الْمُنُونِ رَقِيبُ  
بِعَيْنِي مَاءٌ يَا بُنَيَّ يُجِيبُ  
أَوْ اخْضَرَّ فِي فَرْعِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ  
عَلَيْكَ لَهَا تَخْتِ الضُّلُوعُ وَجِيبُ  
ثَوَيْتُ وَفِي قَلْبِي عَلَيْكَ نُدُوبُ  
يَمْسُكُ مِنْهَا فِي الْمَمَرِّ دَبِيبُ  
حَوَاكُ بِهَا بَعْدَ التَّعِيمِ قَلِيبُ  
وَسَاذُكَ فِيهَا جَنْدَلُ وَجَبُوبُ  
وَلَيْسَ لَنَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ طِيبُ  
أَخْوَكُ، وَرَأْسِي قَدْ عَلَاهُ مَشِيبُ  
تُذَابُ بِنَارِ الشُّوقِ فَهِيَ تَذُوبُ  
صَدَى يَتَوَلَّى تَارَةً وَيُثُوبُ  
وَلَوْ قُتِّتْ حُزْناً عَلَيْكَ قُلُوبُ  
بِأَنِّي وَإِنْ أَبْطَأْتُ بِثُكِّ قَرِيبُ  
صَبَاحُ إِلَى قَلْبِي الْغَدَاةُ حَبِيبُ  
وقال إسماعيل بن القاسم، أبو العتاهية<sup>(١)</sup> يرثي أحاه له، يقال له

<sup>(١)</sup> إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي «أبو العتاهية» شاعر مكث لا يحاط بشعره أكثره في الزهد والحكمة والأمثال وكان جيد القول في المديح ولد في عين التمر قرب الكوفة وتوفي في بغداد (١٣٠ - ٢١١ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٣٢١).

علي بن ثابت وكان علي ناسكاً فاضلاً أديباً شاعراً:

[الوافر]

أَلَا مَنْ لِي بِأَنْسِكَ أَنِي أَخِيَا      وَمَنْ لِي أَنْ أَبُتُّكَ مَا لَدَيَا  
طَوْتُكَ خُطُوبٌ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ      كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيَا  
وَلَوْ نَشَرْتُ قُورَاكَ لِي الْمَنَايَا      شَكُوتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتُ إِلَيَا  
بَكَيْتُكَ أَنِي أَخِي بِدَرْ عَيْنِي      فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَنْكَ شَيْئَا  
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ      وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَا

قال: أخذ هذا المعنى مما يؤثر عن بعض ملوك العجم أنه احتضر فحضره من يحضر الملوك من الحكماء حتى قضى. فقال ذلك الحكيم: كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس.

وقال أبو العتاهية أيضاً:

[الخفيف]

يَا عَلِيَّ بْنَ ثَابِتٍ أَيْنَ أَنْتَا      أَنْتَ بَيْنَ الْقُبُورِ حَيْثُ دُفِنْتَا  
يَا عَلِيَّ بْنَ ثَابِتٍ بَانَ مِنِّْي      صَاحِبٌ جَلٌّ فَقْدُهُ يَوْمَ يَنْتَا  
قَدْ لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ      وَحَرَّكْتَنِي لَهَا وَسَكَنْتَا  
أخذ هذا المعنى من قول بعض الحكماء وحضر ميتاً، فارتفع البكاء عليه حين قضى، فقال الحكيم: حرّكنا بسكونه.

وقال فيه أيضاً:

[مجزوء الخفيف]

صَاحِبٌ كَانَ لِي هَلْكَ      وَالسَّبِيلُ الَّذِي سَلَكَ  
يَا عَلِيَّ بْنَ ثَابِتٍ      غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكَ  
كُلُّ حَيٍّ مُمَلِّكَ      سَوْفَ يَفْنَى وَمَا مَلَكَ

قال أبو العباس: وأنشدني أبو محمد التّوّزي لرجل من قيس يرثي ابنه:

[الطويل].

أَجَارَتْنَا لَا تَجْزَعِي وَأَنْسِيبِي      أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمُطْلُ نَصِيبِي  
بُنَيَّ عَلَى عَيْنِي وَقَلْبِي مَكَائُهُ      ثَوَى بَيْنَ أَحْجَارٍ وَبَطْنِ جَبُوبِ  
عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَّةِ نَخْوَهُ      وَمَا كَانَ لَوْ مُلِيتُهُ بِعَجِيبِ  
وَمَا هَذَا رُكْنِي أَنْ سَلِبْتُ جَمَالَهُ      عَلَى أَتْنِي أَزْثِي لِكُلِّ سَلِيبِ

صَبَرْتُ عَلَى خَيْرِ الْفُتُو<sup>(١)</sup> رَزَيْتُهُ  
وَمَا جَزَعِي مِنْ نَازِلٍ عَمَّ فَجَعُهُ  
لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ مَوْتَ مُحَمَّدٍ  
وَكَانَ كَزِيحَانِ الْعُرُوسِ بِقَاوِهِ  
فَيَا حَزْنَا نُغَضَّتْ قُرْبَ مُحَمَّدٍ  
أَغْرُ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ مُشِيعُ  
دَعْنُهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِصَوْتِهَا  
فَأُضْبَحَتْ أَبْدِي لِلْعَدُوِّ جَلَادَةٌ  
يُذَكِّرُنِي نَوْحَ الْحَمَامِ فِرَاقُهُ  
وَلِي كُلِّ يَوْمٍ عَبْرَةٌ لَا أَفِيضُهَا  
أَظَلُّ لِأَحْدَاثِ الْمَنُونِ مُفَزَّعًا  
إِذَا شِئْتُ رَاعَتْنِي مُقِيمًا وَظَاعِنًا  
غَدَا سَلَفٌ مِنَّا وَهَجَرَ رَائِحُ  
وَمَا نَحْنُ إِلَّا كَالْخَلِيطِ الَّذِي مَضَى  
نُؤْمَلُ عَيْشًا فِي حَيَاةٍ دَمِيمَةٍ  
وَمَا خَيْرُ عَيْشٍ لَا يَزَالُ مُفَزَّعًا

وَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ طَالَ نَحِيبِي  
وَمِنْ وَرْدِ آبَارِي وَقَضْدِ شَعِيبِي  
لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا تَزَعُوِي لِطَبِيبِ  
ذَوِي بَغْدَ إِشْرَاقِ الْغُصُونِ وَطِيبِ  
وَأَيَّ فِتَى نُغَضَّتْ يَوْمَ رُكُوبِي  
كَسَيْفِ الْمِحَامِي هَزَّ غَيْرَ كَذُوبِ  
فَلِلَّهِ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَمُجِيبِ  
وَيَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ هُنَاكَ كَثِيبِ  
وَإِذَا نَأَى أَبْكَارِ النِّسَاءِ وَثِيبِ  
لَأَحْظَى بِصَبْرِ أَوْ بِحَطِّ ذُنُوبِ  
كَأَنَّ فُؤَادِي فِي جَنَاحِ طَلُوبِ  
مَصَارِعُ شُبَّانٍ لَدَيَّ وَشِيبِ  
عَلَى أَثَرِ الْغَادِينَ قُوْدَ جَنِيبِ  
فَرَائِسَ ذَهَرٍ مُخْطِئٍ وَمُصِيبِ  
أَضْرَتْ بِأَبْدَانٍ لَنَا وَقُلُوبِ  
بِفُوتِ نَعِيمٍ أَوْ بِمَوْتِ حَبِيبِ

قال أبو العباس: حدثنا المغيرة بن محمد المهلب عن الزبير بن بكار الزبيري عن سليمان بن العباس السَّعْدِي قال: جاء عبد الله بن عمر العبلي<sup>(٢)</sup> إلى «سويقة»<sup>(٣)</sup> وهو طريد بني العباس وكان ذلك بزمان خروج ملك بني أمية وانتقاله إلى بني العباس، قاصداً لعبد الله وحسن، ابني حسن، فاستنشدته عبد الله من شعره فأنشداهم فقالوا: نريد من شعرك ما رثيت به قومك، وما كان من أمركم وأمر القوم فأنشداهم قوله:

[المتقارب]

(١) الْفُتُو: جمع فتى.

(٢) عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عدي «أبو عدي» بن عبد شمس ينسب إلى جدته «عبله بنت عبد الله التميمية» وولاه محمد ذو النفس الزكية «الطائف» وهرب إلى اليمن بعد مقتل محمد سنة ١٤٥ هـ (الأعلام: ج ٤، ص ١٠٩).

(٣) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه و (مواضع كثيرة في البلاد) (معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٨٦).

تَقُولُ أُمَامَةٌ لَمَّا رَأَتْ  
وَقَلَّةَ نَوْمِي عَلَى مَضْجَعِي  
أَبِي، مَا عَرَاكَ؟ فَقُلْتُ: الْهَمُّ  
عَرَيْنَ أَبَاكَ فَحَبَسْنَاهُ  
لِفَقْدِ الْعَشِيرَةِ إِذْ نَالَهَا  
رَمَتْهَا الْمَنُونُ بِلا تُصَلِّ  
بَأْسُهَا الْخَالِساتِ الثُّفُوسِ  
فَصَزَعَاهُمْ فِي نَوَاحِي الْبَلَا  
تَقِيَّ أَصِيبَ وَأَثْوَابُهُ  
وَأَخْرُقُ قَدْ رُسَّ فِي حُفْرَةٍ  
فَكَمْ مِنْ كَوَابِ بَوَاكِي الْعُيُ  
إِذَا مَا ذَكَرْتَهُمْ لَمْ تَنْمِ  
يُرْجَفَنَّ مِثْلَ بُكَاءِ الْحَمَا  
فَذَاكَ الَّذِي غَالَنِي فَاضْمُتِي  
وَفِي ذَاكَ أَشْيَاءُ قَدْ ضِغْنَنِي  
أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتَلَى كُدَى<sup>(١)</sup>  
وَبِالزَّابِيَيْنِ<sup>(٢)</sup> ثُفُوسٌ ثَوَتْ  
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَذَاعَتْ بِهِمْ  
فَذَلَّتْ قَنَاتِي لِمَنْ رَامَهَا

تُشَوِزِي عَنِ الْمَنْزِلِ الْمُتَفِيسِ  
لَدَى هَجْعَةِ الْأَغْيَنِ الثُّعَسِ:  
مُ عَرَيْنَ أَبَاكَ فَلَا تُبْلِسِي  
مِنَ الطَّرْدِ فِي شَرِّ مَا مَخْبَسِ  
سِهَامٍ مِنَ الْحَدَثِ الْمُوَسِّسِ  
وَلَا طَائِشَاتٍ وَلَا نُكُوسِ  
مَتَى مَا تُصِيبُ مُهْجَةً تَخْلِسِ  
دِ مُلْقَى بِأَرْضٍ وَلَمْ يُزَسِّسِ  
مِنَ الْعَارِ وَالْعَيْبِ لَمْ تَذْنِسِ  
وَأَخْرُ طَارَ فَلَمْ يُخَسِّسِ  
نِ حُزْنًا وَمِنْ صَنِيعَةِ بُؤْسِ  
صِبَاخِ الْوُجُوهِ وَلَمْ تَجْلِسِ  
مِ فِي مَاتَمٍ قَلِقِ الْمَجْلِسِ  
وَلَا تَسْأَلِينِي وَتَسْتَنْجِسِي  
وَلَسْتُ لَهْنٍ بِمُسْتَخْلِسِ  
وَقَتْلَى بِكُثُوءٍ لَمْ تُزَمِّسِ  
وَقَتْلَى بِنَهْرِ أَبِي فُطْرُسِ  
حَوَادِثُ مِنْ زَمَنِ مُثْعِسِ  
وَأَنْزَلَتِ الرَّغْمَ بِالْمَغْطَسِ

قال: فلما أتى عليها استبكى محمد بن عبد الله بن حسن، فنظر عبد الله إلى أخيه حسن فقال: مالك تنظر إلي! أما والله، لو كان ابنك على غير ما ترى لكان خيراً لنا ولك. فأقبل محمد على عمه بإظهار الشفقة على بني العباس ويقول: إنهم ليسوا كبني أمية لقرب بني العباس من رسول الله ﷺ، وقام الحسن إلى منزله فبعث إلى العبلي بخمسين ديناراً، وأمر له عبد الله، ومحمد وإبراهيم ابناه، كل واحد بخمسين ديناراً. وكانت هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة مقتفية بالعبلي.

(١) كُدَى: موضع بمكة وفيه اختلاف (معجم البلدان: ج ٤، ص ٤٤١).

(٢) الزابيان وفطرس: نهران الزابيان قرب إربل والثاني قرب الرملة (معجم البلدان: ج ٣، ص ١٢٥) و (ج ٤، ص ٢٦٧).

وهند المذكورة هي امرأة عبد الله بن حسن، ومحمد وإبراهيم ولداها.

فقال العبلي:

[الوافر]

أَقَامَ ثَوِيٌّ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ      بِخَيْرِ مَنَازِلِ الْجِيرَانِ جَارَا  
أَتَاهُمْ خَائِفًا وَجَلًّا طَرِيدًا      فَصَادَفَ خَيْرَ دُورِ النَّاسِ دَارَا  
إِذَا ذَمَّ الْجَوَارَ نَزِيلُ قَوْمٍ      شَكَرْتَهُمْ وَلَمْ أَذْمُمْ جَوَارَا

فقالت هند لعبد الله وابنيها محمد وإبراهيم: والله ما مدحكم بأفضل مما مدحني به فلتُغَطُّهُ عني مثل ما أعطاه أحدكم. فأعطوه عنها خمسين ديناراً.

فقال الزبير: إنما ينسب عبلياً من كان من ولد أُمَيَّة الأصغر، وليس عبد الله هذا من ولده، إنما أُمَيَّة عمه.

يقال: فلان يقتفي بفلان إذا كان يؤثره، والقَفِيَّة: الطعام يؤثر به الرجل واحداً يُقَدِّمه. ويقال للرجل يُخْتَارُ ويُقصد بالبر: أَلْقِيَتْ قَفِيَّتِي عَلَيْكَ.

وقال أحد الأعراب الفصحاء:

[الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ      نَعِيٍّ حَيٍّ أَنْ سَيِّدُكُمْ هَوَى  
أَجَلُ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي      إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى  
فَتَى قَبْلَ لَمْ تَغْنَسِ السُّنُّ وَجْهَهُ      سَوَى شُهْبٍ فِي الرَّأْسِ كَالْفَجْرِ فِي الدُّجَى  
أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ فَجَاءَهَا      يُقْعَقِعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى  
وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَلِيَّه      فَادَى وَأَسَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى  
وقال أيضاً يرثيه:

[الوافر]

أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى      وَلَهْفَ الْبَاكِياتِ عَلَى حَيٍّ  
لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى حَيٍّ      مَتَالِفَ بَيْنَ مَجْدٍ وَالسُّلَى  
وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى حَيٍّ      جَرِيرَةَ زُمَجِهِ فِي كُلِّ حَيٍّ

وقالت امرأة من كندة ترثي إختوها:

[الطويل]

بُؤَا أَنْ يَفِرُّوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ      فَمَاتُوا وَأَطْرَافُ الْقَنَا تَقْطُرُ الدِّمَا  
وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعْرَةً      وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمَا

هَوَتْ أُمَّهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ ضُرُّعُوا بِجَيْشَانِ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا  
وقال رجل من الخوارج يرثي عدداً منهم<sup>(١)</sup> :

[الوافر]

أَلَا فِي اللَّهِ لَا فِي النَّاسِ سَأَلْتُ إِدَاوُودَ وَإِخْوَتَهُ الْجُدُوعُ  
مَضُّوا قَتْلًا وَتَشْرِيدًا وَصَلْبًا تَحُومُ عَلَيْهِمْ طَيْرٌ وَقُوعُ  
إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابِدُوهُ فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ زُكُوعُ  
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعُ  
وقالت الكنديّة :

[البسيط]

لَا تُخْبِرُوا النَّاسَ إِلَّا أَنْ سَيِّدَكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُ وَلَوْ قَاتَلْتُمْ امْتَنَعَا  
أَغْنِي فَتَى لَمْ تَهَبَّ الرِّيحُ رَائِحَةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا  
الْوَاهِبَ الْأَلْفَ لَا يَنْبَغِي لَهَا ثَمَنًا إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ الَّذِي صَنَعَا  
وقال أبو عبد الرحمن العُتْبِيُّ<sup>(٢)</sup> :

[البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَبْكِي عَلَى مَنْ فَاتَ مِنْ سَلَفِي وَأَهْلُ وَدِّي جَمِيعُ غَيْرُ أَشْتَاتِ  
وَالْآنَ إِذْ فَرَّقْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَوَى بَكَيْتُ عَلَى أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ  
وَمَا بَقَاءُ امْرِئٍ كَانَتْ مَدَامَعُهُ مَفْسُومَةٌ بَيْنَ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ  
وكان أبو عبد الرحمن وسيطاً في قزيش، من ولد عتبة بن أبي سفيان.  
وكان معديناً من معادن العلم بالأخبار - جاهليتها وإسلاميتها - وكان بالإسلامي  
أخبر. وتوالى له بنون موتاً. وورثاهم مراثي كثيرة نذكر بعضها مع ما في غيرهم  
من المراثي إن شاء الله.

فمن ذلك قوله :

[الكامل]

أَضَحَّتْ بِخَدِّي لِلدُّمُوحِ رُسُومُ أَسْفَاً عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كُلُّومُ  
وَالضَّرِيرُ يُحْمَدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَلَئِنَّهُ مَدْمُومُ

(١) هو غيس بن فاتك الخبطين.

(٢) محمد بن عبيد الله بن عمرو «أبو عبد الرحمن الأموي» من بني عتبة ابن أبي سفيان: أديب كثير الأخبار حسن الشعر من أهل البصرة ووفاته فيها (٢٢٨/... هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٢٥٨).



يا واحداً مِنْ سِتَّةِ أَشْكَنتُهُمْ  
لَوْلَا مَعَالِمُ رُوسِهِنَّ لَمَا اهْتَدَى  
وَقَالَ أَيْضاً:

[المنسرح]

كَلَّ لِسَانِي عَنْ وَضْفِ مَا أَجِدُ  
وَأُوطِنْتُ حُرْقَةً حَشَايَ فَقَدْ  
إِنْ أَزْمَعْتُ بِالْعَزَاءِ لَجَّ بِهَا الشُّدُّ  
مَا عَالَجَ الْحَزْنَ وَالْحَرَارَةَ فِي الْـ  
فُجِعْتُ بِابْنَيْنِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا  
فَالنَّفْسُ تُطْوَى عَلَى أَحَرٍّ مِنَ الْـ  
وَكُلُّ حُزْنٍ يَبْلَى عَلَى قَدَمِ الدُّ  
وَذُقْتُ تُكْلاً مَا ذَاقَهُ أَحَدُ  
ذَابَ عَلَيْهَا الْفُؤَادُ وَالْكَبِدُ  
نُوقُ فَنِيرَانُ حَرِّهَا تَقْدُ  
أَخْشَاءُ مَنْ لَمْ يَمُتْ لَهُ وَلَدُ  
إِلَّا لِيَالٍ لَيْسَتْ لَهَا عَدَدُ  
جَمْرٍ وَأَذْنَى أَزْجَائِهَا الْكَمَدُ  
هَرٍ وَحُزْنِي يُجِدُّهُ الْأَبَدُ

ويروى عن الحسن البصري أنه قال: قدم علينا بشر بن مَرْوَان<sup>(١)</sup> وهو أشرف الناس، وأجملُ الناس، وأشبُّ الناس، ابن خليفة وأخو خليفة، فلبث خمسة وأربعين يوماً ثم طُعِنَ فِي نَيطِهِ فمات. فخرج به إلى قبره والناس معه. وجاء سودانٌ ثلاثة يحملون أسوداً، فدفن هذا وهذا. وخرجت إلى الصحراء ثم رجعت وقد انصرف عنهما، فلم أعرف قبر هذا من قبر هذا.

قال أبو العباس: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك المعروف بالزيات - وحدثني بهذا الحديث الذي أذكره غيره أيضاً - أنَّ محمد بن عبد الملك<sup>(٢)</sup> كانت له جارية وكان بها ضنيناً، وكان له منها ابنٌ يقال له عمر وهو باق الآن، فماتت وابنها هذا صغير. وسمعتُ أبا أيوب سليمان بن وهب<sup>(٣)</sup> يتحدث بقطعة

(١) بشر بن مروان بن الحكم: ولي إمرة العراقيين في عهد أخيه عبد الملك وتوفي في البصرة (-/ ٧٥ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٥٥).

(٢) محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة «أبو جعفر» المعروف بابن الزيات وزير المعتصم والوائق العباسيين وعالم باللغة والأدب من بلغاء الكتاب والشعراء عمل على تولية ابن الواثق وحرمان المتوكل فنكبه المتوكل وعذبه حتى الموت وكان من العقلاء الدهاة (١٧٣ - ٢٢٣ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٢٤٨).

(٣) سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن فنال: من أسرة كلها كتاب للخلفاء الأمويين والعباسيين كتب سليمان للمأمون ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله والمعتمد على الله مات في حبس الموفق بالله (-/ ٢٧٢ هـ) (وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٤١٥).

من خبر محمد بن عبد الملك في ضته ببنه هذا . فرثاها بيتين هما جاريان على  
ألسن الناس مشهوران :

[الطويل]

يَقُولُ لِي الْخِلَانُ لَوْ زُرْتُ قَبْرَهَا      فَقُلْتُ : وَهَلْ غَيْرُ الْفُؤَادِ لَهَا قَبْرُ؟  
عَلَى حَالٍ لَمْ أُخِذْ فَأَجْهَلَ عَهْدَهَا      وَلَمْ أَبْلُغِ السَّنَ الَّتِي مَعَهَا الصَّبْرُ  
ورثاها فقال شعراً يَقْرُبُ مِنَ الْقَلْبِ ، وَيُضْطَرُّ إِلَى تَصْدِيقِهِ ، وَيُرْتَاحُ لِعَهْدِ  
قَائِلِهِ ، وَيُرْحَمُ لَشَكْوَى بَثِّهِ وَهُوَ :

[الطويل]

أَلَا مَنْ رَأَى الطُّفْلَ الْمُفَارِقَ أُمَّهُ  
رَأَى كُلَّ أُمٍّ وَإِنَّهَا غَيْرَ أُمِّهِ  
يَرِنُ بِصَوْتٍ فَضَّ قَلْبِي نَشِيجُهُ  
وَبَاتَ وَحِيداً فِي الْفِرَاشِ تَحْتُهُ  
أَلَا إِنَّ سَجْلاً وَاحِداً إِنَّ هَرَقْتُهُ  
فَلَا تَلْحَيَانِي إِنْ بَكَيْتُ فَإِنَّمَا  
وَإِنْ مَكَاناً فِي الثَّرَى خُطَّ لَحْدُهُ  
أَحَقُّ مَكَانٍ بِالزِّيَارَةِ وَالْهَوَى  
فَهَبْنِي عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَنِّي  
ضَعِيفُ الْقُوَى لَا يَطْلُبُ الْأَجَرَ حِسْبَةً  
أَلَا مَنْ أُمْنِيهِ الْمُنَى وَأَعْدُهُ  
أَلَا مَنْ إِذَا مَا جِئْتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِي  
فَلَمْ أَرِ كَالْأَيَّامِ كَيْفَ تُصِيبُنِي  
وَلَا مِثْلَ أَيَّامٍ فُجِغْتُ بِفَقْدِهَا  
أَعَيْنِي إِلَّا تُسْعِدَا الْيَوْمَ عَبْرَتِي  
أَعَيْنِي إِنْ أَنْعَ الشُّرُورُ وَأَهْلَهُ  
أَعَيْنِي إِنْ أَبْكَى الْبَشَاشَةُ وَالصُّبَا  
أَلَا إِنَّ بَيْتاً لَمْ أُرْزُهُ لَشَدِّ مَا  
أَلَا إِنَّ بَيْتاً لَمْ أُرْزُهُ لِعَزِّ مَا  
وقال رجل من الأنصار يذكر امرأة كانت له ، وكانت به برّة ، وله حافظة إذا  
غاب ، وسارة إذا حضر ، فأصيب بها :

[الطويل]

أَلَا مَا لِهَذَا النَّبِيْتِ بِذِي أَهْلٍ      تَنَكَّرْتَ مَا قَدْ كُنْتَ تَأْلَفُ مِنْ قَبْلِي  
أَيَا جَارَتَا لَا تَبْعَدِي خَيْرَ جَارَةٍ      لِبَغْلٍ وَأَخْنَاهُ عَلَى وَلَدِ طِفْلٍ  
فَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْعَلِيلَ لَا يَقْظْتُ      بَنِيهَا وَمَا نَامَتْ وَلَا فَعَلْتُ فِعْلِي  
وقال رجل من بني شيبان<sup>(١)</sup> يرثي مغن بن زائدة<sup>(٢)</sup> :

[الطويل]

أَحِينَ ثَوَى مَغْنُ ثَوَى الْجُودِ وَالنَّدَى      وَأَضْبَحَ عَزْنَيْنِ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا  
فَيَا قَبْرَ مَغْنٍ أَنْتَ آخِرُ خُطَّةٍ      مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلْمَكَارِمِ مَضْجَعَا  
وَيَا قَبْرَ مَغْنٍ كَيْفَ وَارِنْتَ جُودَهُ      وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَخْرُ مُثْرَعَا  
بَلَى قَدْ وَسِغَتْ الْجُودَ وَالْجُودَ مِيتٌ      وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِغْتِ حَتَّى تَصْدَعَا  
فَتَى عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ      كَمَا عَادَ غَيْثٌ بَعْدَ جَدَوَاهُ مَرْتَعَا

وقال عبد الصمد بن المعذل<sup>(٣)</sup> يرثي سعيد بن سلم. وشهرة أفعال سعيد  
وبُغْد صيته في عقله وأدبه، وجاهه وقدره، وكثرة معروفه وتَمَكُّنه من الخلفاء،  
تُغْنِيه عن ذكر شيء من أفعاله :

[البيط]

مَا لِلسَّمَاءِ عَلَيْهِ لَيْسَ تَنْفَطِرُ      وَلِلْبِلَادِ أَلَا تَسْمُو زَلَزِلُهَا  
إِنَّ النَّدَى وَأَبَا عَمْرٍو يَضْمَهُمَا      قَبْرٌ بِبَغْدَادَ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ  
لِلَّهِ حَزْمٌ وَجُودٌ ضَمَّهُ جَدَثٌ      وَمَكْرُمَاتٌ طَوَاهَا الثُّرْبُ وَالْمَدْرُ  
يَا طَالِباً وَزَرّاً مِنْ رَيْبِ حَادِثَةٍ      أَوْى سَعِيدٌ فَلَا كَهْفَ وَلَا وَزَرَ  
أَبْكَى عَلَيْكَ عَيُونَ الْحَيِّ مِنْ يَمَنِ      وَمِنْ رَبِيعَةٍ مَا تَبْكِي لَهُ مُضَرُّ  
كُلُّ الْقَبَائِلِ قَدْ رَدَّيْتَ أَرْذِيَةً      مِنْ فَضْلِ نِعْمَاكَ لَا يَخْزِي بِهَا شُكْرُ

(١) الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي: شاعر متقدم في القصيد والرجز من مخضرمي الدولتين  
الأموية والعباسية وفد على معن بن زائدة في اليمن ومدحه ولما مات رثاه (١٦٩/... هـ)  
(الأعلام: ج ٢، ص ٢٦٠).

(٢) معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني «أبو الوليد» من أشهر أجياد العرب وأحد الشجعان  
الفصحاء أدرك العصرين الأموي والعباسي وكان مكرماً ولاء المنصور لدفاعه عنه يوم الهاشمية على  
اليمن ثم سجستان قتل غيلة (١٥١/... هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٧٣).

(٣) عبد الصمد بن المعذل بن غيلان «أبو القاسم» شاعر عباسي كان هجاءً سكيراً (-/٢٤٠ هـ)  
(الأعلام: ج ٤، ص ١١).

إِنَّ الرِّزْيَةَ مَغْمُومٌ بِهَا الْبَشَرُ  
لِطَوْلِ إِلْفِ بَكَثِكَ الْآيِ وَالسُّورُ  
إِلَّا مُرَاعَاتُهُمْ هَمٌّ وَلَا وَطَرُ  
وَلِلْعَفَاةِ جَنَابٌ مُفْرِغٌ خَضِرُ  
وَكُلُّ حَيٍّ عَلَى أَبْوَابِهِ زَمَرُ

المصَاد: رأس الجبل يتحصن فيه الخائفون، كما قال أوس بن حجر:

[الطويل]

مَصَادٌ لِمَنْ يَأْوِي إِلَيْهِمْ وَمَغْقِلُ  
وَأَكْرَمُ النَّاسِ عَفْوَاً حِينَ يَقْتَدِرُ  
وَلَا تُنَاجِيهِ إِلَّا بِالثَّقَى الْفِكْرُ  
بِالنَّائِبَاتِ لِصَغْبِ الدَّهْرِ مُقْتَسِرُ  
وَأَطْهَرُ النَّاسِ غَيْباً حِينَ يُخْتَبَرُ  
وَفِي ثَقَى اللَّهِ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ  
إِلَّا حَبَاهُ بِمَا يَسْمُو لَهُ الظَّفَرُ  
وَلَيْسَ يُغْطِيكَ إِلَّا وَهُوَ مُغْتَدِرُ  
إِنَّ الْجَسِيمَ لَدَيْهِ مِنْهُ مُخْتَقِرُ  
وَلَيْسَ إِلَّا مِنَ الْمَغْرُوفِ يَدْخِرُ  
لِحُرْمَةِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ مُنْتَصِرُ  
لِلنَّاسِ جُودَانِ: مَخَوِيٌّ وَمُنْتَظَرُ  
مِنَ الْبَرِيَّةِ خَلْقاً هَابَكَ الْقَدَرُ  
لَمْ يَخُلْ مِنْ نِعْمَةٍ أَسَدَيْتَهَا قَطَرُ  
مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَى أَبْيَاتِكَ السَّفَرُ  
مِثْلَ الرِّئَالِ حَبَاهَا الْبُؤْسُ وَالْكِبَرُ  
وَالْبَرُّ وَالْبَخْرُ وَالْإِغْسَارُ وَالْيُسْرُ  
عُثْمَانُ جَدُّهُمْ أَوْ جَدُّهُمْ عُمَرُ  
«أَبْنَاءُ قَوْمٍ هُمْ أَوْوَا وَهُمْ نَصَرُوا»  
أَيْتَمَّتْهُ وَهُوَ مُبْيَضُّ لَهُ الشَّعْرُ  
أَضْحَى لِيَوْمٍ سَعِيدٍ وَهُوَ مُنْتَشِرُ  
بَادِي الْكَأَبَةِ وَاخْتَالَتْ بِكَ الْحَفَرُ

مَا خَصَّ رُزُوكَ لَا قَيْنَساً وَلَا مُضَرّاً  
لَوْ كَانَ يَنْكِي كِتَابُ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ  
أَبُو الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ لَيْسَ لَهُ  
لِلْهَارِبِينَ مَصَادٌ غَيْرُ مُطَّلَعٍ  
مِنْ كُلِّ أَفْقٍ إِلَيْهِ الْعَيْسُ مُغْمَلَةٌ

إِذَا أَبْرَزَ الْخَوْفُ الْكَعَابَ فَإِنَّهُمْ  
مُشَيِّعٌ لَا يَفُوتُ الدَّخْلُ صَوْلَتَهُ  
لَا يَزْدَهِيهِ لِغَيْرِ الْحَقِّ مَنْطِقُهُ  
ثَبَّتَ عَلَى زَلَلِ الْأَيَّامِ مُضْطَلِعُ  
سَامِي الْجُفُونِ يَرُوقُ الطَّرْفَ مَنْظَرُهُ  
الْجَلْمُ يُضْمِتُهُ وَالْعِلْمُ يُنْطِقُهُ  
لَمْ تَسْمُ هِمَّتُهُ يَوْمَاً إِلَى شَرْفٍ  
يُغْطِيكَ فَوْقَ الْمُنَى مِنْ فَضْلِ نَائِلِهِ  
يَزِيدُ مَغْرُوفَهُ كِبَرَاً وَيَرْفَعُهُ  
وَلَيْسَ يَسْعَى لِغَيْرِ الْحَمْدِ يَكْسِبُهُ  
عَفًّ الضَّمِيرِ رَحِيبُ الْبَاعِ مُضْطَلِعُ  
مَا انْفَكَ فِي كُلِّ فَجٍّ مِنْ نَدَى يَدِهِ  
لَوْ هَابَ عَنْ عِزَّةٍ أَوْ نَجْدَةٍ قَدَرُ  
لِيَبْكِكَ فَقَدْكَ أَطْرَافُ الْبِلَادِ كَمَا  
وَلِيَبْكِكَ الْمُزْمِلُونَ الشُّغْثَ ضَمَّهُمْ  
وَذَاتُ هِذَمِينَ تُزْجِي دَرْدَقاً قَزَماً  
وَيَبْكِكَ الدِّينُ وَالْدُّنْيَا لِرَغِيهِمَا  
كَفَلْتَ عِثْرَةَ أَقْوَامٍ مُهَاجِرَةٍ  
وَقَدْ نَصَرْتَ وَقَدْ آوَيْتَ مُخْتَسِباً  
يَا رَبِّ أَزْمَلَةٌ مِنْهُمْ وَمُكْتَهِلٌ  
لِلَّهِ شَمْلٌ جَمِيعٌ كَانَ مُلْتَمِماً  
أَمْسَى لِفَقْدِكَ ظَهَرَ الْأَرْضِ مُخْتَشِعاً

أَخْيَاكَ عَمُرُو وَلَوْلَاهُ وَإِخْوَتُهُ  
 أَلْهَمْتَهُمْ طَوْعَهُ فَانْقَادَ رُشْدَهُمْ  
 كَأَنَّهُمْ كَنَفَاهُ وَهُوَ بَيْنَهُمْ  
 بَنُو قُتَيْبَةَ نُورُ الْأَرْضِ نُورُهُمْ  
 إِذَا تَشَاكَهَتْ الْأَيَّامُ وَاشْتَبَهَتْ  
 إِمَّا ثَوِيَتْ فَمَا أَبْقَيْتَ مَكْرَمَةَ  
 إِنَّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ لَوْ نَطَقَتْ  
 كَانَ النَّدَى فِي شَهْرِ الْحَوْلِ مُقْتَسِمًا

عَفَا التَّوَالُ فَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ خَبَرُ  
 كُلُّ يَرَاهُ بِحَيْثُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ  
 بَذَرُ السَّمَاءِ حَوْتُهُ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ  
 إِذَا خَبَا قَمَرٌ مِنْهُمْ بَدَا قَمَرُ  
 أَبَانَ أَيَّامَكَ التَّخَجُّيلُ وَالْغُرُرُ  
 إِلَّا بِكَفَيْكَ مِنْهَا الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ  
 أَثْنَتْ بِآلَائِكَ الْأَصَالُ وَالْبُكْرُ  
 بَيْنَ الْبَرِيَّةِ فَاغْتَالَ النَّدَى صَفَرُ

قال: وكان سعيدٌ عامراً لطرقِ السير، عواداً على الأيتام والأرامل، وعلى أبناء المهاجرين والأنصار. وكان حسن العزاء، وكان يُقدِّم من بنيه عمراً وسلاماً فأتاه موت ابن له يقال له العباس في يوم مات سلمٌ بحضرته، وكانت ميتة العباس بكرمان<sup>(١)</sup>، قتله بها الخوارج، فذكر الحسن بن رجاء أنهم دخلوا عليه مع رجاء بن أبي الضحاك ليُعزّوه عنهما، شرّأوا عنده من العزاء ما لو شهدته من لم يعرف القصّة لظنَّ أنه المعزّي.

وحدثني ابنٌ لموسى بن سعيد بن سلم أن سعيداً كان عنده قومٌ على الطعام في عقب موت سلم، فحدثهم حديثاً ثم قال لهم، واللقمة في يده: حدثني بهذا ابني سلم رحمه الله. ثم وضع اللقمة في فيه.

وقال عبد الصمد فيه:

[الخفيف]

رَبِّ طِفْلٍ نَعَشْتَهُ بَغْدِ يُثْمِ  
 كُلَّمَا عَضَّتِ الْحَوَادِثُ نَادَى  
 وَفَقِيرٍ أَغْنَيْتَهُ بَغْدِ عُدْمِ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلَمِ

وقال عبد الصمد يرثي عمرو بن سعيد بن سلم:

[الطويل]

هَرِيقَا دَمًا إِنَّ أَنْفِدَتِ عِبْرَةٌ تَجْرِي  
 وَلَا تَجْمُدَا عَيْنِي قَدْ حَسَّنَ الْبُكَاءُ  
 أَبِي الصَّبْرِ أَنَّ الرُّزْءَ جَلَّ عَنِ الصَّبْرِ  
 لِيُغْرِكَمَا بِالْبَثِّ أَنْ لَسْتُ وَاقِفًا  
 وَفَرَطَ الْأَسَى فَقَدْ الْمُعَيَّبُ فِي الْقَبْرِ  
 مِنَ الصَّبْرِ يَوْمًا بَغْدِ عَمُرُو عَلَى عُذْرِ

(١) كِرْمَان أو كِرْمَان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان (معجم

البلدان: ج ٤، ص ٤٥٤).

سَلامٌ وَسُقَيَا مِنْ يَدِ اللَّهِ ثَرَّةً  
جَرَتْ فَوْقَهُ الْأَزْوَاحُ أَمْنًا لِحَزْبِهِ  
تَوَلَّى النَّدَى وَالْبَاسُ وَالْجِلْمُ وَالتُّقَى  
فَإِنْ تَطْوَاهُ الْأَيَّامُ لَا تَطْوِي بَعْدَهُ  
مَتَى تَلْقَاهُ لَا تَلْقَ إِلَّا مُمَنِّعًا  
وَأَيُّ مَحَلٍّ لَا لِكَفِّهِ نِعْمَةً  
وَمَا اخْتَلَفَتْ حَالَانِ إِلَّا رَأَيْتَهُ  
وَمَنْ تَكُنِ الْأَوْرَاقُ وَالتَّيْبَرُ دُخْرَهُ  
كِلَا حَالَتَيْهِ الْجُودُ أَتَى تَصَرَّفَتْ  
وَمَا عُدِمَتْ يَوْمًا لِكَفِّهِ أَنْعَمَ  
وَمَا انْتَسَبَتْ إِلَّا إِلَيْهِ صَنِيعَةً  
يَرَى غَبْنًا يَوْمًا يَمُرُّ وَلَيْلَةً  
تُغْضُّ لَهُ الْأَبْصَارُ عِنْدَ اجْتِلَائِهِ  
تَرَى جَهْرَهُ جَهْرَ الثَّقِيِّ وَسِرَّهُ  
وَلَمْ يَضْحُ مِنْ يَوْمٍ وَلَمْ يُنْسِ لَيْلَةً  
وَكَاثَتْ تَعْمُ النَّاسَ نِعْمَاءُ كَفَّهُ  
تَنَاعَاهُ أَقْطَارُ الْبِلَادِ تَفْجَعًا  
تَبَاشَرَ بَطْنُ الْأَرْضِ أَنْسَاءَ بِقُرْبِهِ  
وَلَمْ تَكُ تُسْقَى الْأَرْضُ إِلَّا بِسِنْبِهِ  
إِذَا نَشَأَتْ يَوْمًا لِكَفِّهِ مُزْنَةٌ  
هَوَى جَبَلُ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مَغْقِلًا  
عَجِبْتُ لِأَيْدِي الْحَتَفِ كَيْفَ تَغْلُغَلَتْ  
وَمَا كُنْتُ بِالْمُغْضِي لِذَهْرِ عَلَى الْقَدَى  
وَلَوْ دَفَعَ الْعِزُّ الْجِمَامَ عَنِ امْرِئٍ  
أَلَمْ تَكُ أَسْبَابُ الرَّدَى طَوَّعَ كَفَّهُ  
إِذَا صَاحَ دَاعِي الرُّوْعِ سَارَ أَمَامَهُ

عَلَى جَسَدٍ بَالٍ بِلَمَاعَةٍ قَفَرٍ  
وَقَدْ كُنَّ حَسْرَى حِينَ يَجْرِي كَمَا تَجْرِي  
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا بَعْدَ عَمْرٍِ وَسِوَى الذُّكْرِ  
صَنَائِعَ مِنْهُ لَا تَبِيدُ عَلَى النَّشْرِ  
حِمَاهُ، مَصُونُ الْعِزِّضِ مُبْتَذَلُ الْوَفْرِ  
عَلَى أَهْلِهِ مِنْ أَرْضِ بَرٍّ وَلَا بَحْرِ  
رُكُوبَ الَّتِي تَسْبِي هَيُوبَ الَّتِي تُزْرِي  
فَمَا كَانَ غَيْرَ الْحَمْدِ يَرْغَبُ فِي دُخْرِ  
بِهِ دَوْلُ الْأَيَّامِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ  
تُضَافُ لَهُ مِنْهَا عَوَانٌ إِلَى بَكْرِ  
وَمَا نَطَقَتْ إِلَّا بِهِ أَلْسُنُ الْفَخْرِ  
عَلَيْهِ وَلَمْ يَكْسِبْ طَرِيقًا مِنَ الشُّكْرِ  
وَلَيْسَ بِهِ إِلَّا الْجَلَالَةُ مِنْ كِبَرٍ  
إِذَا مَا اخْتَبَرْتَ السُّرَّ أَتَقَى مِنَ الْجَهْرِ  
بِغَيْرِ اكْتِسَابِ الْحَمْدِ مُشْتَغِلَ الْفِكْرِ  
فَعَمُّوا عَلَيْهِ بِالْمُصِيبَةِ وَالْأَجْرِ  
لِمَضَرِّعِهِ تَبْكِيهِ قُطْرًا إِلَى قُطْرِ  
وَأَضَحَّتْ عَلَيْهِ وَهِيَ خَاشِعَةُ الظُّهْرِ  
إِذَا مَا جَفَا أَقْطَارُهَا سُبُلُ الْقَطْرِ  
أَدِيلَ الْغِنَى فِي كُلِّ فَجٍّ مِنَ الْقَفْرِ  
وَعِزًّا لِدَيْنِ اللَّهِ، ذَلًّا عَلَى الْكُفْرِ  
إِلَيْكَ وَبَيْنَ النَّسْرِ بَيْنُكَ وَالنَّسْرِ<sup>(١)</sup>  
وَلَا لَيْنَ لِلْحَادِثَاتِ عَلَى الْقَسْرِ  
لَمَّا نَالَ عَمْرًا لِلْجِمَامِ شِبَا ظَفْرِ  
تُبِينُ لَصَرْفِي مَا يُرِيشُ وَمَا يَنْبِرِي<sup>(٢)</sup>  
لِوَاءِ إِنْ مَغْقُودَانِ بِالْفَتْحِ وَالنُّصْرِ

(١) النسران: كوكبان «النسر الطائر» و «النسر الواقع».

(٢) فلان لا يريش ولا يبري: لا ينفع ولا يضر. برى السهم: نحته وراشه: جعل له ريشاً.

يَقْسُمُ آجَالَ الْعِدَى عَزْمُ بَأْسِهِ  
وَمَا ذَبَّ إِلَّا عَنْ حِمَى الدِّينِ سَيْفُهُ  
وَقَدْ كَانَ يَقْرِي الْحَتَفَ أَغْدَاءَ سِلْمِهِ  
تَوَلَّى أَبُو عَمْرٍو فَقُلْنَا لَنَا عَمْرُو  
وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو مُعَادَا حَيَاتِهِ  
وَكُنَّا عَلَيْهِ نَحْذِرُ الدَّهْرَ وَخَدَهُ  
وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّ مَنْ عَاشَ بَعْدَهُ  
وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنِّي لَا أَرَى امْرَأً  
رَمْتَنَا اللَّيَالِي فِيكَ يَا عَمْرُو بَعْدَ مَا  
سَأَجْزِيكَ شُكْرِي مَا حَيِّثُ فَإِنْ أَمْتُ  
وَأَوْثِرُ حُزْنِي فِيكَ دُونَ تَجَلُّدِي

قال أبو العباس: وكان مروان بن أبي الجثوب بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة<sup>(١)</sup> مداحاً للخلفاء من لدن المهدي إلى أن قام محمد ولي عهد، ولم يبلغ خلافته. وكان مطبوعاً خطيباً في شعره، صحيح المعاني، قليل الإغماض<sup>(٢)</sup> صلب الكلام، وأعطاه المهدي فأكثر. وني ذلك يقول:

[البسيط]

صَدَقْتَ يَا خَيْرَ مَأْمُولٍ وَمُنْتَجِعٍ  
أَعْطَيْتَ تَسْعِينَ أَلْفًا غَيْرَ مُتَّبِعِهَا  
ظَنِّي بِأَضْعَافٍ مَا قَدْ كُنْتُ أَخْتَسِبُ  
مَنَّا وَلَسْتُ بِمَنَّانٍ لِمَا تَهَبُ  
فلما مات المهدي جزع عليه جزءاً شديداً، ورثاه بأشعار اخترنا منها قوله:

[الكامل]

لَوْ خُلِدَتْ بَعْدَ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ  
كَمْ قَائِلٍ لَمَّا أَتَاهُ نَعِيُّهُ:  
نَفْسِي لَمَّا فَرِحَتْ بِطَوْلِ بَقَائِهَا  
إِنَّ الْبِلَادَ غَدَاةٌ أَضْبَحَ ثَاوِيَا  
لَيْتَ اللَّيَالِي آذَنْتُ بِفَنَائِهَا  
تَرَكَ الْمَسَامِعَ فَقْدُهُ مُسْتَكَّةً  
كَادَتْ تَعُودُ جِبَالُهَا كَصَفَائِهَا  
وَشَجَا النُّفُوسِ وَحَالَ دُونَ عَزَائِهَا  
فَالْيَوْمَ شَاغَبَتِ النُّفُوسَ حَرَارَةُ  
كَالنَّارِ مُوَصَّدَةً عَلَى أَحْشَائِهَا

(١) مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد: شاعر جمع ثروة واسعة من مدحه للخلفاء والقواد تقرب للرشيد بمدح العلوية وأعطى بكل بيت ألف درهم على مدحه الخلفاء توفي ببغداد (١٠٥ - ١٨٢ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٠٨).

(٢) الإغماض: الإبهام.

وَالْيَوْمَ أَظْلَمَتِ الْبِلَادُ وَرُبَّمَا  
وَالْيَوْمَ أَضْبَحَتِ الْأَرَامِلُ وَلَهَا  
كَانَتْ تَعُودُ مِنَ الشِّتَاءِ إِذَا شَتَّتْ  
وَتَبَيْتُ آمِنَةً لَدَى حَجَرَاتِهِ  
أَفْنَى الْبُكَاءِ عَلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ  
لَمَّا اسْتَنَارَ بِبَطْنِ مَكَّةَ هَلْبَكُهُ  
فَرِحَتْ بَطُونُ الْأَرْضِ إِذْ كُسِيَتْ بِهِ  
وَبَكَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهَا  
كَانَتْ خِلَافَتُهُ خِلَافَةَ رَحْمَةٍ  
مَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيْهِ وَلَيْلَةٍ  
رَوَى الظُّمَاءُ بَوَادِيَا وَعَوَادِيَا  
عَمَّ الصُّحَاخَ بِعَذْلِهِ وَبِعُزْفِهِ  
وَصَلَّتْ جَنَاحِي مِنْ فَوَاضِلِ سَيِّبِهِ  
فَلَاتُبِعَنَّ لَهُ الْمَدِيحَ مَرَاثِيَا  
أُثْنِي لِأَجْزِيَةِ أَيْادِي عُزْفِهِ  
أَقْلِي الْحَيَاةَ إِذَا رَأَيْتُ قُصُورَهُ  
وَجِيَادَهُ قَدْ عُرِّيَتْ وَقِبَابَهُ  
فَقَدَتْ مُشْرِفَهَا الْجِيَادُ فَأَضْبَحَتْ  
فَفُحُولُهَا عَنْ الْحُجُورِ ذَوَاهِلُ  
سُقِيَتْ عَلَى الظَّمَا الْقَرَاخَ لِفَقْدِهَا  
وَلَقَدْ تَرَاهَا وَالْحَلِيبُ صَبُوحُهَا  
قُلِعَتْ لِتَرْكِ رُكُوبِهَا غِلْمَائِهَا

الْقَلْعُ : الذي لا يستقر على سرج .

يَا مَنْ عَلَا شَمْسُ النَّهَارِ لِفَقْدِهِ  
إِنَّ الْقُبُورَ قَدِيمَهَا وَحَدِيثُهَا

كَشَفَتْ بِغُرَّتِهِ دُجَى ظُلُمَائِهَا  
تَدْعُو وَمَا ظَلَمْتُ بِطُولِ شَقَائِهَا  
بِفَنَائِهِ وَتَعِيشُ فِي أَذْرَائِهَا<sup>(١)</sup>  
كَحَمَامٍ مَكَّةَ قُطْنًا وَظُبَائِهَا  
مَاءَ الْعُيُونِ فَأَسْعَدَتْ بِدِمَائِهَا  
حَنُّ الثَّرَابِ إِلَيْهِ مِنْ بَطْحَائِهَا  
نُورًا جَلَا ظُلُمَاتِهَا بِجَلَائِهَا  
إِذْ غَابَ زَيْنُ عَشِيِّهَا وَضَحَائِهَا  
حَتَّى مَضَتْ أَيَّامُهُ لِمَضَائِهَا  
إِلَّا تَدْفَقَ كَفُّهُ بِعَطَائِهَا  
عَفْوًا بِأَزْشِيَةِ النَّدى وَدَلَائِهَا  
وَشَفَى الْمِرَاضَ بِسَيْفِهِ مِنْ دَائِهَا  
سَبْعُونَ أَلْفًا رَاشِنِي بِجَبَائِهَا  
يَبْقَى عَلَى الْمَهْدِيِّ حُسْنُ ثَنَائِهَا  
عِنْدِي وَلَسْتُ بِبَالِغٍ لِجَزَائِهَا  
غُبْرًا خَوَاشِعَ بَغْدَ طَوْلِ بَهَائِهَا  
مُخْتَلَّةَ عَرَصَاتِهَا لِخَلَائِهَا  
تَبْكِيهِ عِنْدَ صَبَاحِهَا وَمَسَائِهَا  
وَحُجُورُهَا تَصُدُّ عَنْ أَقْلَائِهَا  
مَنْ كَانَ يَعْضُضُهَا عَلَى أَسْمَائِهَا  
وَعَبُوقُهَا فِي قَيْظِهَا وَشِتَائِهَا  
وَلَقَدْ تُرَى ثَبْتًا عَلَى أَقْرَائِهَا<sup>(٢)</sup>

رَهْجُ الْقَتَامِ<sup>(٣)</sup> فَحَالَ دُونَ ضِيَائِهَا  
لِصَّدَاكِ فَاضِلَةً عَلَى إِضْدَائِهَا

(١) أذراء : جمع ذرى كل ما استظلت به .

(٢) قرء الفرس : أيام سفادها .

(٣) رهج القتام : الغبار الأسود .



ما حُفِرَ أَسْنَى وَأَكْرَمُ سَاكِناً  
إِلَّا الَّتِي أَمْسَى النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ  
يَا لَيْتَ نَفْسِي قَبْلَ نَفْسِكَ غَالِهَا  
وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ النَّهَارُ لِأُمَّةٍ  
فُجِعَتْ بِسِيرَتِكَ الرَّعِيَّةُ بَعْدَمَا  
أَلْبَسَتْهَا كَنَفِي رَوْوِفٍ حَافِظٍ  
يَمْشِي الْيَتَامَى فِي ذَرَاهُ كَأَنَّمَا  
لَوْلَا ابْنُكَ الْكَافِي الْخُطُوبَ لَأَذْبَرَتْ

مِنْ حُفْرَةِ حَدْرُوكَ فِي أَرْجَائِهَا  
فِيهَا فَإِنَّ لَتِلْكَ فَضْلَ سَنَائِهَا  
رَيْبُ الْمَنُونِ فَحَالَ دُونَ ثَوَائِهَا  
مَا إِنْ تَمَلُّ عَلَيْكَ طَوْلَ بُكَائِهَا  
أَنْسَيْتَهَا الْمَاضِينَ مِنْ خُلَفَائِهَا  
حُرَّمَ الْحُقُوقِ، مُوَكَّلٍ بِأَدَائِهَا  
يَأْوِي الْمَيْثُ بِهَا إِلَى آبَائِهَا  
عَنَّا بَقِيَّةُ عَيْشِنَا بِرَخَائِهَا

قال أبو العباس: كتب الحسن بن وهب<sup>(١)</sup> إلى الأمير محمد بن عبد الله بن ظاهر يُعزِّيه عن مصيبة: «بسم الله الرحمن الرحيم، أطل الله بقاء الأمير مسروراً غير محزون، ومُعْطَى غير مسلوب، ووفقه في أحواله كلها لما يستديم به النعمة، ويستحقُّ عنده المَثُوبَةَ. أفضعني - أعزَّ الله الأمير ما رأيتُ بالأمير - جعلني الله فداه - من هذه الرزية التي كادت تكون أشبه بالنعم منها بالرزايَا، لما وقرَّ الله، إن شاء الله، للأمير - أيده الله - من ثوابها، وبَقِيَ له في نفسه - حاطه الله - من بعدها. فَإِنَّ حياة الأمير مدَّ الله في عمره - حياةً لأهله وذوي تأميله، بعد الذي جعل الله للدين والخلافة من الأنس والعزِّ بسلامته، وللأمة من جميل مكانه وموضعه، ووقَّر الله للأمير، ولا نقصه وتولاه بحُسن المدافعة عنه والحياطة، ولا أراه سوءاً في نفس ولا حميم، بقدرته. وهذه جُعِلْتُ فداء الأمير - أبياتٌ ينظر فيها أيده الله عند نشاطه إن شاء الله:

[مجزوء الكامل]

قُلْ لِلْمُجِيرِ عَلَى الدُّهُورِ  
وَلِمَنْ يُصْغَرُ كِبَرُهُ  
حَتَّى يُرَى بَعْدَ الْجَلَا  
إِنَّ الْأَمِيرَ أَجَلٌ قَدْ  
مِنْ أَنْ تَفِيضَ دُمُوعُهُ  
لَا، بَلْ يَكُونُ مُسَلِّماً

وَمُقِيلِ ذِي الْجَدِّ الْعَثُورِ  
مُسْتَغْظَمِ الْخَطْبِ الْكَبِيرِ  
لَهُ مِنْهُ فِي حَالِ الصَّغِيرِ  
رَأْفَةٍ فِي مُلِمَّاتِ الْأُمُورِ  
لِفِرَاقِ إِلْفٍ أَوْ عَشِيرِ  
لِحُكُومَةِ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ

(١) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي «أبو علي» كاتب من الشعراء عاصر أبي تمام استكتبه الخلفاء وهو أخو الوزير سليمان بن وهب رثاه البحتري (٢٥٠/.. هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٦٦).

وَيَبُتُّهُ مِنْهُ الرُّضَى  
وَالصَّبْرَ فِي الْبَلَوِ فَيُعْـ  
وَالشُّكْرَ فِي التُّغْمَى لِيَعْفَ  
فَاللَّهُ يُنْسِيْ عُمْرَهُ  
وَإِذَا بَكَتْ غُرُزُ الْعُيُـ  
لَا بَلْ تَبِيْتُ قَرِيرَةً  
مَاذَا بِعَبْدِكَ مُذْ رَأَى  
عَبْدٌ يَرَاكَ وَلِيَّ نِعْمَ  
وَيَرَاكَ جَابِرَ مَا وَهَى  
وَيُجِـنُّ وَدَا، خُبْرُهُ

قال: وكان الحسن بن وهب يقدم حبيب بن أوس أبا تمام الطائي تقديماً يتجاوز فيه، ولا يرى له في الشعر ندأ قديماً فضلاً عن حديث. فأتاه خبر موته بالموصل فرثاه بشعر سلك فيه مثل طريقه، وترك مذهبه في السهولة والبيان وألفاظ الكتاب فقال:

[الوافر]

سَقَى بِالْمَوْصِلِ الْقَبْرَ الْغَرِيبَا  
إِذَا ظَلَّلْنَهُ أَطْلَقْن فِيهِ  
شَعِيبَ الْمُزْنِ تُشْبِعُهَا شَعِيبَا

الشَّعِيبُ: المَزَادَةُ الَّتِي يَحْمِلُهَا الْبَعِيرُ.

إِذَا ظَلَّلْنَهُ أَطْلَقْن فِيهِ  
وَلَطَمَتِ الْبُرُوقُ لَهَا خُدُودَا  
فَإِنَّ تُرَابَ ذَلِكَ الْقَبْرِ يَخْوِي  
لَبِيباً شَاعِراً فَطِنَا أَدِيبَا  
إِذَا شَاهَدْتَهُ رَوَّاكَ مِمَّا  
أَبَا تَمَّامِ الطَّائِي إِنْ أُنَا  
فَقَدْ نَا مِنْكَ عِلْقَا لَا تُرَانَا  
وَكُنْتَ أَخَا لَنَا يُذْنِي إِلَيْنَا  
وَكَاثَتْ مَذْجُجٌ تُطَوِي عَلَيْنَا  
فَلَمَّا بِنْتَ نَكَّرَتِ اللَّيَالِي  
وَأَبْدَى الدَّهْرُ أَفْبَحَ صَفْحَتِيهِ

شَعِيبَ الْمُزْنِ تُشْبِعُهَا شَعِيبَا  
وَشَقَّقَتِ الرُّعُودُ لَهَا جُيُوبَا  
حَبِيباً كَانَ يُدْعَى لِي حَبِيبَا  
أَصِيلَ الرَّأْيِ فِي الْجُلَى أَرِيبَا  
يَسُورُكَ رِقَّةً مِنْهُ وَطِيبَا  
لَقِينَا بَعْدَكَ الْعَجَبَ الْعَجِيبَا  
نُصِيبُ لَهُ مَدَى الدُّنْيَا ضَرِيبَا  
ضَمِيرَ الْوُدِّ وَالنَّسَبِ الْقَرِيبَا  
جَمِيعاً ثُمَّ تَنْشُرُنَا شُعُوبَا  
قَرِيبَ الدَّارِ وَالْأَقْصَى الْغَرِيبَا  
وَوَجْهًا كَالْحَا جَهْمًا قَطُوبَا

فَأَخِرِ بِأَنْ يَطِيبَ الْمَوْتُ فِيهِ وَأَخِرِ بِعَيْشَةٍ أَلَّا تَطِيبَا  
وقال أبو عبد الرحمن العُتْبِيُّ يرثي بنيه:

[المتقارب]

يُبْقِي الْبَنَاتِ وَيُفْنِي الْبَنِينَ  
فَلَمْ تَبْقَ فَوْقَ غُصُونِي غُصُونًا  
وَقَدْ فَقَّوْا أَغْيُنَ الْحَاسِدِينَ  
كَمَرُ الدَّرَاهِمِ بِالنَّاقِدِينَ  
وَأَلْقَيْنَ ذَاكَ إِلَى مُلْحِدِينَ  
بِ حَتَّى أَمَاتَهُمْ أَجْمَعِينَ  
وَقَدْ أَتَعَبُوا بِالدُّمُوعِ الْعُيُونَا  
تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ  
فَصَارُوا إِلَى بَطْنِهَا يُثْقَلُونَا  
فَحُزْنِي تُجَدِّدُهُ لِي السَّنُونَا

أَمَّا يَزْجُرُ الدَّهْرُ عَنَّا الْمَنُونَا  
وَأَنَحَتْ عَلَيَّ بِلا رَحْمَةٍ  
وَكُنْتُ أَبَا سَيْئَةٍ كَالْبُدُورِ  
فَمَرَوْا عَلَى حَادِثَاتِ الْمَنُونِ  
فَأَلْقَيْنَ ذَاكَ إِلَى صَارِخٍ  
فَمَا زَالَ ذَلِكَ دَأْبُ الزَّمَا  
وَحَتَّى بَكَى لِي حَسَادُهُمْ  
وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي  
رَأَيْتُ بَنِيَّ عَلَى ظَهْرِهَا  
فَمَنْ كَانَ يُسْلِيهِ مَرُّ السَّنِينَ  
وقال فيهم:

[الكامل]

لِخُدُودِهِمْ تَحْتَ الْجَبُوبِ وَسَادُ  
بَغْضَا فُهْنٍ وَإِنْ قَرُبْنَ بِعَادُ  
قَدْ أَسْلَمْتُ أَطْنَابَهُ الْأَوْتَادُ  
إِلَّا بَكَتْ حَتَّى بَكَى الْحُسَادُ  
سِثُونُ أَكْمَلَهَا لِي الْمِيلَادُ؟  
فُلَّ الْجَمِيعُ وَغُيِبَ الْأَوْلَادُ

يَا سَيْئَةً أَوْدَعَتْهُمْ حُفَرَ الْبِلَى  
مَنَعُوا جُفُونِي أَنْ يُصَافِحَ بَغْضُهَا  
لَمَّا بَقِيتُ عِمَادَ بَيْتِ مُفْرَدَا  
لَمْ تَبْقَ عَيْنُ أَسْعَدَتْ ذَا عَبْرَةٍ  
مَاذَا أُرْجِي بَعْدَ خَمْسِ بَعْدِهَا  
وَسَطْتُ عَلَيَّ مِنَ الزَّمَانِ يَدُ بِهَا  
وقال يرثي أخته:

[الطويل]

فَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا التَّأْسُفُ مِنْ جَهْدِي  
مِنَ الْحُزَنِ مَا تَبْقَى عَلَى الرَّجُلِ الْجَلْدِ  
عَنِ ابْنَةِ أُمِّي مَذْفَعًا لَعَلَى وَغْدِ

لَقَدْ خَانَنِي صَبْرِي بِأَمِّ مُحَمَّدٍ  
سِوَى أَنَّ صَدْرِي تَحْتَهُ مُسْتَكِثَةٌ<sup>(١)</sup>  
وَإِنِّي مُذِ الْيَوْمِ الَّذِي لَمْ أَطُقْ بِهِ

(١) المستكثة: الوقدة من الحزن.

وقال يرثي محمد بن عبّاد بن حبيب بن المهلب<sup>(١)</sup>:

[الطويل]

مُحَمَّدُ إِنْ أَنَسْتَ مِنِّي جَانِبَا      بِقَرَبٍ لَقَدْ أَوْحَشْتَ بِالْبُعْدِ جَانِبَا  
وَقَدْ عَظُمَتْ فِيكَ الْمَصَائِبُ إِنَّهَا      تُصَغَّرُ عِنْدِي فِي سِوَاكَ الْمَصَائِبَا  
سَلَوْتُ بِهِ عَمَّنْ تَقْدَمَ قَبْلَهُ      وَأَلَيْتُ أَضْفِي بَعْدَهُ الْوُدَّ صَاحِبَا  
سَتَبْكِيكَ أَخْلَاقَ الْمُرُوءَةِ إِنَّهَا      مُغَيِّبَةٌ مَا دُمْتَ عَنْهُمْ غَائِبَا  
وقال يرثي ابنه سليمان، وكان نفسياً من ولده:

[الطويل]

سُلَيْمَانُ وَاللَّهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ      لَقَلْبِي عَلِيلٌ مَا بَقِيَتْ حَزِينُ  
تَقَاضَاكَ دَهْرٌ فَاقْتِضَاكَ بِدَيْنِهِ      وَلِلدَّهْرِ فِي نَفْسِي عَلَيَّ دُيُونُ  
فَقَرَّتْ عُيُونُ كُنْتُ شَمْلَ جُفُونِهَا      وَجَادَتْ بِحُزْنٍ بِالدَّمَاءِ عُيُونُ  
فَلَيْسَ عَلَى دَهْرٍ مُجِيرٌ إِذَا عَدَا      بِكُرِهِ، وَلَا خَلَقَ عَلَيْهِ مُعِينُ  
دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَضْبَحْتُ      لَهَا دَافِنٌ مِنْ نَفْسِهَا وَدَفِينُ  
فَلِلَّهِ مَا أُعْطِيَ وَلِلَّهِ مَا حَوَى      وَأَخِرَ بِأَمْرِ كَائِنٍ سَيَكُونُ  
فَيَا فَجْعَةَ الدُّنْيَا بِمَنْ شَبْتُ بَعْدَهُ      فَسَيَانِ مَضْنُونٌ بِهِ وَضْنِينُ

وقال يرثي صديقاً له يقال له عيسى بن القاسم:

[الطويل]

بَكَتْ عَيْنُ مَنْ لَمْ يَبْكْ عَيْسَى بْنُ قَاسِمٍ      بِأَرْبَعَةٍ حَتَّى تَجِفَّ نَوَاطِرُهُ  
فَتَى غَابَ عَنْهُ أَقْرَبُوهُ فَلَمْ يَكُنْ      لَهُ مَنْ يُحَامِي دُونَهُ وَيُؤَازِرُهُ  
مَرَزْتُ عَلَى رُبْعٍ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ      قَبَاطُنُهُ يَشْكُو الْخَرَابَ وَظَاهِرُهُ  
تَكَادَ مَغَانِيهِ تَقُولُ لِفَقْدِهِ      لِسَائِلِهَا عَنْ أَهْلِهِ: مَاتَ عَامِرُهُ  
سَلَامٌ عَلَى الْإِخْوَانِ وَالْعَيْشِ بَعْدَهُ      وَمَنْ كُنْتُ أَصْفِيهِ الْهَوَى وَأَعَاشِرُهُ  
وَمَنْ كَانَ يُسْلِي الْهَمَّ عَنِّي حَدِيثُهُ      إِلَيَّ إِذَا ضَاقَتْ بِأَمْرِي مَصَادِرُهُ  
فَإِنْ أَسْلُ عَنْ شَيْءٍ فَمَا عَنْهُ سَلَوَةٌ      وَمَهْمَا أَضْيَعُهُ فَإِنِّي ذَاكِرُهُ

وقال في ابن له يكنى أبا عمرو - مات في آخر ولده - قصيدة يطيلها،

اخترت منها هذه الأبيات:

[الطويل]

(١) محمد بن عبّاد بن حبيب المهلب: أمير البصرة في زمن المأمون توفي فيها وهو من أبناء المهلب بن أبي صفرة كان من أكابر الأمراء جواداً ممدحاً (٢١٦/... هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ١٨١).

عِيُونُ أَرَاهَا بَغْدَ مَوْتِ أَبِي عَمْرٍو  
وَلَوْ كَانَ حَيًّا لاجْتَرَأْتُ عَلَى الدَّهْرِ  
فُدَيْتُمْ وَأَعْطَيْنَا بِكُمْ سَاكِنِي الظُّهْرِ  
عَلَيْهَا ثَوَى فِيهَا مُقِيمًا إِلَى الْحَشْرِ  
فَتُكَلَّلُ عَلَى تُكَلِّ وَقَبْرٌ إِلَى قَبْرِ

وقال دِعلَب بن علي الخُزاعي يريثي أبا القاسم نصر بن حمزة<sup>(١)</sup>:

[البسيط]

فَقَصَّ مَرُّ اللَّيَالِي مِنْ حَوَاشِيهَا  
تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا  
وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إِذْ يُجَارِيهَا  
وَكَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ يَقْرِيبُهَا

وقال أشجع بن عمرو السُّلَمي<sup>(٢)</sup> يريثي محمد بن منصور:

[السريع]

مَا مِثْلُ مَنْ أُنْعَى بِمَوْجُودِ  
مُنْتَسِبًا فِي الْبَيْضِ وَالسُّودِ  
كَغُيْبٍ وَأَوَّلَاهُمْ بِتَمَجِيدِ  
وَأَيَّدَ لَيْسَ بِرَغْدِيدِ  
مِثْلِ فِرَاحِ الطَّيْرِ مَجْهُودِ  
وَمُسْلَمٍ فِي الْقِدِّ مَضْفُودِ  
بَقِيَّةُ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ  
جَانِبُهَا لَيْسَ بِمَسْدُودِ  
يَمْلَأُ مَا بَيْنَ ذَرَى الْبَيْدِ  
قَدْ جُمِعَا فِي بَطْنِ مَلْحُودِ  
وَعَذْوَةُ الْبُخْلِ عَلَى الْجُودِ  
مَا بَيْنَ أَغْنَاكِ الْقَرَادِيدِ

لَقَدْ شِمَتِ الْأَعْدَاءُ بِي وَتَغَيَّرَتْ  
تَجَرًّا عَلَى الدَّهْرِ لَمَّا فَقَدْتُهُ  
أُسْكَاكَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَى  
فَيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ  
فَمَاتُوا كَأَنَّ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرُهُمْ

كَانَتْ خُزَاعَةٌ مِلءَ الْأَرْضِ مَا اتَّسَعَتْ  
هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الثَّوَيِّ بِبَلْقَعَةٍ  
هَبَّتْ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ لَا هُبُوبَ بِهِ  
أَضْحَى قَرَى لِلْمَنَايَا إِذْ نَزَلْنَ بِهِ

أُنْعَى فَتَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ  
أُنْعَى فَتَى أَصْبَحَ مَغْرُوفُهُ  
أُنْعَى إِلَى الْفِثْيَانِ أَغْلَاهُمْ  
أُنْعَى ابْنِ مَنْصُورٍ إِلَى سَيِّدِ  
وَأَشْعَثِ يَسْعَى عَلَى صَبِيَّةِ  
وَطَارِقِ أَغْيَا عَلَيْهِ الْقِرَى  
أُنْعَى فَتَى مَصْرَ الثَّرَى بَعْدَهُ  
وَانْتَلَمَ الْمَجْدُ بِهِ ثَلَمَةً  
أُنْعَى فَتَى كَانَ وَمَغْرُوفُهُ  
فَأَضْبَحَا بَعْدَ تَسَامِيهِمَا  
الْيَوْمَ تُخْشَى عَثْرَاتُ النَّدَى  
يَا رَاكِبَ الْعَيْسِ الَّتِي تَخْتَطِي

(١) دِعلَب بن علي بن رزِين الخُزاعي «أبو علي» شاعر كوفي هجاء أقام ببغداد وهجا الخلفاء وطلال عمره وكان ضخماً طوالاً طروشاً (١٤٨ - ٢٤٦ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٣٩).

(٢) أشجع بن عمرو السُّلَمي «أبو الوليد»: شاعر فحل ولد باليمامة ونشأ بالبصرة واستقر ببغداد ملاح الرشيد والبرامكة (١٩٥ هـ) (الأعلام: ج ١، ص ٣٣١).

إِنَّ بِبَابِ الْبَرْدَانِ الْفَتَى الضُّ  
مَنْ قَتَعَ الْمِسْكِينَ لَمَّا مَضَى  
مَنْ لَمْ يَكُنْ سَائِلُهُ مُمَسِّكاً  
لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ أُغْلِقَتْ  
لِيُزْتَجِ الْبُخْلُ عَلَيْهَا فَقَدْ  
أَوْرَدَهُ حَوْضاً عَظِيماً الشَّأَى  
كُلُّ فَتَى يَسْعَى إِلَى مُدَّةٍ  
سَيَنْطِقُ الشَّعْرُ بِأَيَّامِهِ  
كَفَاكَ أَنَّ الْمَجْدَ قَدْ أَضْبَحَتْ  
جُودِي بِدَمْعٍ أَوْ دَمِ جُودِي  
فَكُلُّ مَفْقُودٍ إِلَى جَنْبِهِ  
يَا وَافِدِي قَوْمِهِمَا إِنَّ مَنْ  
طَلَبْتُمَا الْجُودَ وَقَدْ ضَمُّهُ  
فَاتَّكُمَا الْمَوْتُ بِمَعْرِوْفِهِ  
يَا عَضْداً لِلْمَوْتِ مَفْثُوتَةً  
أَوْهَنْ زُنْدَيْهِ وَأَكْبَاهُمَا  
وَهَذَا الرُّكْنُ الَّذِي كَانَ بِالْ

أَمِنْ حَاجَاتِ الْمَجَاهِدِ  
مِنْ رَغْدِ الْعَيْشِ بِتَضَرِيدِ  
مِنْهُ بِأَذْنَابِ الْمَوَاعِيدِ  
أَبْوَابُهَا دُونَ الْفَتَى الْمُودِي  
مَضَى فَنَاهَا بِالْمَقَالِيدِ  
فِي الْمَجْدِ يَوْمَ غَيْرِ مَخْمُودِ  
مِنْ أَجْلِ قَدْ خُطَّ مَغْدُودِ  
عَلَى لِسَانِ غَيْرِ مَفْقُودِ  
أَعْلَامُهُ فِي بَطْنِ أَخْدُودِ  
يَا عَيْنُ لَا عُذْتَ بِمَجْلُودِ  
- وَإِنْ تَغَالَى - غَيْرُ مَفْقُودِ  
طَلَبْتُمَا تَحْتَ الْجَلَامِيدِ  
مُحَمَّدٌ فِي جَوْفِ مَلْحُودِ  
وَلَيْسَ مَا فَاتَ بِمَزْدُودِ  
وَسَاعِداً لَيْسَ بِمَغْضُودِ  
قَزَعُ الْمَنَايَا فِي الصَّنَادِيدِ  
أَمْسَ عِمَاداً غَيْرَ مَهْدُودِ

### باب

قال أبو العباس قد أملينا من أشعار المحدثين جملةً يُخاف على مثلها الملل. وإنما كتابنا هذا - وإن كان يُقصدُ به معنى واحد - فإنما يُخرجه شيء من ذلك المعنى إلى آخر منه. فكأنه بابٌ يخالف باباً. وهذا بابٌ مواعظٌ وتعازٍ وأشعارٌ داخلَةٌ في ذلك، موصولةٌ به.

وقد كُنَّا أملينا أخباراً عن عُرْوَةَ بن الزبيرٍ في قطع رجله، ومصاب ابنه بضرب دابةٍ إياه. وهذا الذي نذكره مما يتصل بجملة أخباره:

قال إسماعيلُ بن يسارٍ يرثي محمد بن عروة:

[الخفيف]

تِلْكَ عِرْسِي رَامَتْ سَفَاهاً فِرَاقِي      وَجَفَّتْنِي فَمَا تُرِيدُ عِنَاقِي  
زَعَمْتَ أَنَّما هَلَكَ مَعَ المَا      لِي وَأَنْتِي مُحَالِفِي إِمْلَاقِي

وَتَنَاسَتْ رَزِيَّةٌ بِدِمَشْقٍ  
يَوْمَ تُدْعَى إِلَى ابْنِ عُرْوَةَ نَعَشًا  
مُسْتَحَنًّا بِهِ سِيَاقُ الْقَبْرِ  
بِمَقَامِ رَبِيحٍ أَجْتُوا

مكان ربيع: إذا كان لا يستقرُّ عليه.

ثُمَّ وَلَيْتُ مُوجِعًا قَدْ شَجَانِي  
وَلَقَدْ كُنْتُ لِلْحُتُوفِ عَلَيْهِ  
فَإِذَا الْمَوْتُ لَا يُرَدُّ بِجِرْصٍ  
وَعَنِينَا كَابَتْنِي نُوَيْرَةُ يَوْمًا<sup>(١)</sup>  
ثُمَّ صِرْنَا لِفُرْقَةٍ ذَاتِ بُغْدٍ  
وقال أيضاً يرثيه:

أَشْخَصَتْ مُهْجَتِي فُؤُوقَ الثَّرَاقِي  
فُوقَ أَيْدِي الرِّجَالِ وَالْأَعْنَاقِ  
رِ وَمَا إِنْ يَحُثُّهُمْ مِنْ سِيَاقِ  
شَخْصُهُ اذْتَقَوْا وَلَيْسَ بِرَاقِ

قُرْبُ عَهْدٍ بِهِ وَيُغْدُ تَلَاقِ  
مُشْفِقًا لَوْ أَعَادَهُ إِشْفَاقِي  
لِحَرِيصٍ وَلَا لِرُقِيَّةٍ رَاقِ  
فِي رَخَاءٍ وَلَذَّةٍ وَاتِّفَاقِ  
كُلُّ حَيٍّ مَصِيرُهُ لِفِرَاقِ

[الكامل]

بِالشَّامِ فِي حَدِّ الضَّرِيحِ الْمُلْحَدِ  
نَائِي الْمَحَلَّةِ عَنْ مَزَارِ الْعُودِ  
لِيَمَّا تَرَوْحُ مَعَ الْكِرَامِ وَتَغْتَدِي  
لِسَفَى الْأَمَاعِزِ وَالْمَزَارِ الْأَبْعَدِ  
شَهِدُوا وَإِنَّكَ غَائِبٌ لَمْ تَشْهَدْ  
فَقَدْ ابْنُ عُرْوَةَ هَدَّةٌ لَمْ تَقْصِدِ  
لَا بُدَّ أَسْرَعَ مِنْ رِدَائِ الْمُرْتَدِي  
غُلِبَ الْعَزَاءُ وَحِيلَ دُونَ تَجَلُّدِي  
لَيْسَ الْعَدُوُّ عَلَيَّ جِلْدَ الْأَزْبَدِ

وقال البعيث<sup>(٢)</sup> ومات ابن له فقال يرثيه بشعرٍ حُفِظَ مِنْهُ بَيْتٌ اسْتَحْسَانًا:

[الطويل]

فَصَادَفَ مِنِّي غُصَّةٌ لَا يُسِيغُهَا شَرَابٌ وَلَمْ يَذْهَبْ مَرَارَتَهَا الْعَسَلُ  
وأخبرنا عن مخلد بن حمزة عن عبد الملك بن عمير قال: دخل عبد

(١) مالك ومتمم ابنا نويرة.

(٢) خدّاش بن بشر بن خالد «أبو زيد التميمي» المعروف بالبعيث: خطيب شاعر من أهل البصرة دامت  
مهاجراته لجريير أربعين سنة توفي بالبصرة (١٣٤/...) هـ (الأعلام: ج ٢، ص ٣٠٢).

الله بن الزبير على أمه، أسماء ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال: يا أمه، قد خذلني الناس، فلم يبقَ معي إلا من ليس عنده من المنع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت. فما رأيك؟ قالت: يا بُني، أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق، وإليه تدعو، فامضِ على حقك، ولا تُمكن غلمان بني أمية من نفسك. فقال: وفَّقك الله، هذا رأيي، وإني لحسن الظن بربي، فإن هلكت فلا يشتدَّ جزعك عليّ، فإن ابتك لم يتعمد إتيان دنية، ولا عملاً بفاحشة، ولم يسع بغدر، ولم يجز في حكم، ولم يكن شيء أثر عنده من رضى ربه. اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسي. أنت أعلم بي. ولكني أقوله لتسلو عني.

ويروى أنه خرج فحمل على أهل الشام وهو يتمثل:

[الطويل]

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ      وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا  
وقال رحمه الله تعالى:

[الرجز]

يَا أُمُّ إِنْ مُتْ فَلَا تَبْكِينِي      الدُّرُغُ وَالْبَيْضَةُ لَا تُنْجِينِي  
مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِذَا يَأْتِينِي      قَدْ عَلِمَ الْأَغْبُدُ أَنَّ دُونَِي  
ضَرْبًا كَلِيزَاغِ الْمَخَاضِ الْجَوْنِ      إِلَهًا شِمَالِي عَاوَنِي يَمِينِي  
فَلِنْ كَرِهْتِ ضُحْبَتِي فَبِينِي      فَإِنَّمَا يُضْنُ بِالضَّنِينِ

وتحدث عن سفيان بن عُيينة<sup>(١)</sup> قال: رأى سعيد بن جبيرة<sup>(٢)</sup> ابنه يطوف بالبيت فقال: هذا أعزُّ الخلق عليّ، وما شيء أَسْرَّ إلي من أن يكون في ميزاني.

وأخبرنا عن عامر بن حفص<sup>(٣)</sup> قال: جَزَعَ القَلَاخُ بنُ حَزْنٍ<sup>(٤)</sup> على أخيه جَحْنَاءَ فقال:

[الطويل]

(١) أبو محمد سفيان بن عُيينة بن ميمون الهلالي الكوفي: محدث الحرم المكي من الموالى ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي فيها كان حافظاً ثقة واسع العلم (١٠٧ - ١٩٨ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ١٠٥).

(٢) سعيد بن جبيرة «أبو عبد الله» تابعي من كبار العلماء قتله الحجاج بعد انتصاره على عبد الرحمن بن الأشعث (٤٣ - ٩٥ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٩٣).

(٣) عامر بن حفص: عالم بالأنساب (تقدمت ترجمته).

(٤) هو القلاخ بن حزن بن جناب بن جندل.



أَعَاذِلْ مَنْ يُرْزَأُ كَجَحْنَاءَ لَا يَزَلْ      حَزِينًا، وَيَزْهَدُ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ  
ثِمَالُ أَنْاسٍ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ      وَيَذْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّ أَبْلَحٍ شَاغِبٍ<sup>(١)</sup>  
الأبلخ: المتكبر. وقال ضمرة بن ضمرة<sup>(٢)</sup>:

[المتقارب]

مَاوِي لَسْتُ بِرَغْدِيدَةٍ      أَبْلَحُ جَادَ عَلَى الْمُغْدِمِ  
وقال عن الحسن بن دينار: جزع رجل على ابن له، فشكا ذلك إلى  
الحسن بن أبي الحسن فقال له الحسن: هل كان ابنك هذا يغيب عنك؟ قال: نعم  
كانت غيبته عني أكثر من حضوره قال: فأنزله غائباً، فإنه لم يغيب عنك غيبةً،  
الأجر لك فيها، أعظم من هذه الغيبة.

ومن غير هذا الإسناد أنه قال: فأنزله غائباً عنك، فإنه إن لم يقدم عليك  
قدمت عليه. قال: يا أبا سعيد، قد هونت من وجدي على ابني.

وأخبرني عن أبي إسماعيل الهمداني عن مجالد<sup>(٣)</sup> عن الشعبي<sup>(٤)</sup> قال: مات  
ابن لشريح<sup>(٥)</sup> فلم يشعر أحد بموته، ولم يصرخ عليه أحد، فغدا قوم إلى شريح  
يسألونه عن ابنه فقالوا: كيف أصبح مريضك يا أبا أمية؟ قال: قد سكن علزّه،  
ورجاه أهله، وما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة.

والعلز: شدة القلق.

وقال أحد بني كليب:

[البسيط]

وَإِنْ رَأَيْتُ سُهَيْلًا ظَلْتُ مُكْتَبِبًا      كَأَنِّي رَاقِبٌ لِلنَّجْمِ أَوْ عَلِيزُ

وأخبر عن أبي عمرو بن يزيد قال: احتضر رجل فوضع رأسه في حجر

(١) شاغب: مهيج الشر والفتنة.

(٢) ضمرة بن ضمرة بن جابر النهشلي: شاعر جاهلي وفارس من بني دارم صاحب يوم «ذات الشقوق»  
من أيام العرب وكان له على بني أسد (الأعلام: ج ٣، ص ٢١٦).

(٣) مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني: راوية للحديث والأخبار من أهل الكوفة اختلفوا في توثيقه  
(.../١٤٤ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٧٧).

(٤) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي: نسبة إلى «شغب» وهو بطن من همدان كان فقيهاً  
شاعراً استقضاه عمر بن عبد العزيز (١٩ - ١٠٣ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٥١).

(٥) أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي: أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام  
مات بالكوفة (٧٨ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ١٦١).

أخيه، فدمعت عين أخيه فقطرت قطرةً من دموعه على خد المريض، فأفاق من غشيته، فنظر إلى أخيه يبكي فقال:

[الطويل]

أَخْيَيْنِ كُنَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى وَمَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرَ؟

وتحدث عن عمر بن غياث عن محمد بن حرب قال: كتب إبراهيم بن أبي يحيى إلى بعض الخلفاء يعزيه: أما بعد. فإن أولى من عَرَفَ حقَّ الله عليه فيما أخذ منه، مَنْ عَظَّمَ حقَّ الله جلَّ وعزَّ عنده فيما أبقي له. واعلم أن الماضي قبلك الباقي لك، وأن الباقي بعدك هو المأجورُ فيك، وأنَّ أجرَ الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عندهم فيما يعافون منه.

وقال عمر بن غياث: عزى رجل قوماً فيهم نصرانيٌّ فقال: مثلي لا يُعزِّيكَ، ولكن انظر إلى ما زهدَ فيه الجاهل فارغب فيه.

قال الأصمعي: حدَّثني مُعْتَمِرُ بن سليمان<sup>(١)</sup> أن أخاً له مات، قال: فكنت أرغب إلى الله عزَّ وجلَّ أن أراه في نومي، فذكرت ذلك لشُعَيْب بن الحَبَّاب فقال: إنَّ الحزن ينضو عن ابن آدم كما ينضو صِبْغُ الثوب، ولو بقي على ابن آدم قتله.

وقال الأصمعي: سمعتُ بعضَ المحدثين يقول: نُعي مَجْزَأة بن ثور السدوسي<sup>(٢)</sup> إلى أخيه شقيق بن ثور فكأنه لم يُر ذلك فيه، فقال له صاحب البريد: هل نعاه إليك أحدٌ قبلي قال: نعم، قد خَبَرنا الله جلَّ ذكره أنا كلُّنا سنموت.

وقال الأصمعي: ماتت امرأة عبد الله بن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير، فقبَّخر ولبس حُلَّةً، فقالوا له في ذلك، فقال: أكره أن أستكين للمصيبة.

وقال أبو الحسن المدائني عن سعيد بن عبد العزيز<sup>(٣)</sup>: إن مسلمة بن عبد الملك كان له صديق يقال له شراحيل، فمات، فجزع عليه وخرج فصلَّى عليه

(١) معتمر بن سليمان بن طرخان «أبو محمد» محدث البصرة في عصره حدث عنه أحمد بن حنبل له كتاب المغازي (١٠٦ - ١٨٧ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٦٥).

(٢) مجزأة بن ثور بن عُفير السدوسي: صحابي شجاع فتح مدينة تُسَنَّر وقتل في موقعها (٢٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٧٩).

(٣) سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي «أبو محمد» فقيه دمشق في عصره (٩٠ - ١٦٧ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٩٧).

ودخل قبره فلما خرج أتاها المعزّون، وفيهم عبدُ الله بنُ عبد الأعلى، فعزّاه، فبكى مسلمةُ وقال:

[الطويل]

وَهَوْنٌ وَجُدِي عَنْ شَرَا حَيْلٍ أَتْنِي إِذَا شِئْتُ لَأَقِيَتْ أَمْرًا مَاتَ صَاحِبُهُ  
وقال القاسم بن الوليد: حدثني أبي، الوليد بن خلف، أَنَّ الحجاج بن يوسف أوفد مالك بن أسماء بن خارجة<sup>(١)</sup> إلى عبد الملك بن مروان فدخل عليه فَسَمِعَ صَوَارِخَ فِي دَارِهِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الصَّوَارِخُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ: مَاتَ أَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: أَجْرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَاللَّهِ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلُ بَيْتٍ أَعْظَمَ مَرْزُوقَةً وَاحِدَةً عَلَى النَّاسِ وَلَا اللَّهُ أَكْفَى لَهُمْ بِالْوَاحِدِ الْبَاقِي مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ. فَأَعْجَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ كَلَامَهُ، فَاسْتَعَادَهُ، وَفَضَّلَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ.

وكان الحجاج لا يستعمل مالكا لإذمانه الشراب واستهتاره فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إنك أوفدت إليّ رجل أهل العراق فوله واستعمله وأكرمه.

قال أبو الحسن المدائني عن عامر بن الأسود وغيره أَنَّ الحجاج رأى في منامه كأن عينيه ذهبتا. فلما طلق هند ابنة أسماء، وهند ابنة المهلب ظن أنها تأويل رؤياه. فلما مات ابنه محمد وأتاه موث محمد أخيه قال: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأخبر المدائني عن أبي محمد بن عمرو الثَّقَفِيِّ قال: لما مات محمد بن الحجاج جَزَعَ عليه فقال: إِذَا غَسَلْتُمُوهُ فَأَذِنُونِي بِهِ. فَأَعْلَمُوهُ بِهِ فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ:

[الكامل]

الآنَ لَمَّا كُنْتَ أَكْمَلَ مَنْ مَشَى وَافْتَرَّ نَابُكَ عَنْ شَبَابَةِ الْقَارِحِ  
وَتَكَامَلْتَ فِيكَ الْمُرُوءَةُ كُلُّهَا وَأَعْنَتَ ذَلِكَ بِالْفَعَالِ الصَّالِحِ  
فَقِيلَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ وَاسْتَرجِعْ، فَقَالَ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» وقرأ:  
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري «أبو الحسن»: شاعر من أشراف الكوفة تزوج الحجاج اخته هند وولاه خوارزم وأصبهان ثم حبسه مدة طويلة (-/ ١٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٣٥٧).

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٦ و ١٥٧.

وأناه موتُ مُحَمَّد بنِ يوسف وكان بينهما جُمعةٌ، فقال :

[الطويل]

حَسْبِي حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ      وَحَسْبِي بَقَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ  
إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ رَبِّي مُسْلِمًا      فَإِنَّ نَجَاةَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكَ  
. وجلس الحجاج للمعزّين ووضع بين يديه مرآة، وولّى الناس ظهره وقعد  
في مجلسه، فكان ينظر إلى ما يصنعون، فدخل الفرزدق فلما نظر إلى فعل  
الحجاج تبسّم، فلما رأى الحجاج ذلك منه قال: أتضحك وقد هلك المحمّدان  
فأنشأ يقول:

[الطويل]

لَئِنْ جَزَعَ الْحَجَّاجُ مَا مِنْ مُصِيبَةٍ      تَكُونُ لِمُخْزَوْنٍ أَجَلٌ وَأَوْجَعَا  
مِنَ الْمُضْطَفَى وَالْمُضْطَفَى مِنْ خِيَارِهِمْ      جَنَاحِيهِ لَمَّا فَارَقَاهُ فَوَدَّعَا  
أَخْ كَانَ أَغْنَى أَيْمَنَ الْأَرْضِ كُلِّهَا      وَأَغْنَى ابْنُهُ أَمْرَ الْعِرَاقَيْنِ أَجْمَعَا  
جَنَاحَا عُقَابٍ فَارَقَاهُ كِلَاهُمَا      وَلَوْ قُطِعَا مِنْ غَيْرِهِ لَتَضَغَضَعَا  
سَمِيًّا نَبِيَّ اللَّهِ سَمَاهُمَا بِهِ      أَبٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ النَّوَائِبِ أَخْضَعَا  
وكتب إليه الوليد يُعزّيه عن محمد بن يوسف ويحثّه على الصبر فكتب إليه:  
«كتب إليّ أمير المؤمنين يُعزّيني عن محمد بن يوسف ويذكر رضاه عنه، ويأمرني  
بالصبر، وكيف لا أصبر وقد أبقي الله لي أمير المؤمنين؟».

وتحدّث المدائني عن يونس بن حبيب قال: كان الحجاج إذا سمع نوحاً في  
دار هدمها. فلما مات ابنه وأخوه كان يعجبه أن يسمع النوح، وكان يتمثّل بشعر  
الفرزدق:

[الطويل]

هَلْ ابْنُكَ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاضْبِرِي      فَلَنْ يُرْجَعَ الْمَوْتِي حَنِينُ الْمَاتِمِ  
قال أبو العباس: حدّثني التّوزي قال: سمعتُ أبا زيد يُنشد «حنينُ الماتِم».  
وكان يتمثّل أيضاً بشعرٍ ليزيد بن الحكم الثّقفي<sup>(١)</sup>:

[الطويل]

أَنْ تَحْتَسِبَ تُوجَرُ وَإِنْ تَبْكِهِ تَكُنْ      كَبَاكِيةٍ لَمْ يُخَي مَيِّتاً بُكَاءُهَا  
وَمِنْ شَرِّ حَظِّي مُسْلِمٍ مِنْ حَمِيمِهِ      بُكَاءٌ وَأَخْزَانٌ قَلِيلٌ جَدَاؤُهَا

(١) يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثّقفي: شاعر أموي (-/١٠٥ هـ).

وتحدّث المدائني عن عوانة<sup>(١)</sup> قال: أرسل الحجاج إلى علي بن ثابت بن قيس الأنصاري فقال: أنشدني مرثيتك ابنك فأنشده:

[المنسرح]

يا كَذَّبَ اللَّهُ مَنْ نَعَى حَسَنًا      لَيْسَ لِتَكْذِيبِ نَعْيِهِ ثَمَنُ  
أَجُولُ فِي الدَّارِ لَا أَرَاكَ وَفِي الدَّ      إِنْ أَنْسَأَ جِوَارُهُمْ غَبَنُ  
كُنْتَ خَلِيلِي وَكُنْتَ خَالِصَتِي      لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَهْلِهِ سَكَنُ  
بُدِّلْتُهُمْ مِنْكَ، لَيْتَ أَنَّهُمْ      أَمْسُوا وَبَيَّنِّي وَبَيَّنَّهُمْ عَدَنُ

فقال الحجاج: إزث ابني محمداً، فرثاه. فقال الحجاج: مرثيتك ابنك أجود. قال: إن قلبي وجد على ابني ما لم يجد على ابنك. قال: كيف كان حبك له؟ قال: لم أمل من النظر إليه، ولم يغيب عني إلا اشتقت إليه قال: كذاك كنت أجد بابني محمد. وقال الفرزدق:

[البسيط]

إِنِّي لَبَاكٍ عَلَى ابْنِي يُوسُفَ عُمَرِي      وَمِثْلُ هُلْكِهِمَا لِلدَّيْنِ يُبْكِينِي  
مَاسِدٌ حَيٌّ وَلَا مَيِّتٌ مَسَدُهُمَا      إِلَّا الْخَلَائِفُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينِ  
وقال أيضاً:

[الكامل]

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلُهَا      فِقْدَانُ مِثْلِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ  
مَلِكَانِ قَدْ خَلَّتِ الْمَنَابِرُ مِنْهُمَا      أَخَذَ الْمَنُونُ عَلَيْهِمَا بِالْمَرْصَدِ

وأخبر المدائني عن سلمة بن عثمان وغيره أن الحجاج جزع على ابنه محمد، فقبل لرجل من بني عقيل كان الحجاج قتل ابنه: إن الحجاج شديد الجزع على ابنه محمد وقد أته وفاة أخيه محمد بن يوسف، فتمثل العقيلي:

[الطويل]

ذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحَرَّقٍ      مِنْ الْغَيْظِ فِي أَكْبَادِنَا وَالتَّحَوُّبِ

وتحدث المدائني عن إسحاق بن أيوب عن مطير، مولى يزيد قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يعزيه عن أخيه محمد بن يوسف فكتب إليه الحجاج: ما التقيت أنا ومحمد بن يوسف مذ كذا وكذا عاماً، وما غاب عني غيبة أنا، لطول اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دار لا نفترق فيها.

(١) عوانة بن الحكم: مؤرخ وراوية تقدمت ترجمته.

وقال ابن كُناسة<sup>(١)</sup>: مات محمد بن الحجاج ونُعيَ محمد بن يوسف في  
 جُمعة فخطب الحجاج الناس فقال: إِنَّ محمد بن الحجاج ومحمد بن يوسف ماتا  
 في جُمعة فكأنَّ الباقي منا ومنكم قد فني، وكأنَّ الحي منا ومنكم قد بلي، وتُدال  
 الأرض منا ومنكم فتأكل من لحومنا كما أكلنا من ثمارها، وتشرب من دمائنا كما  
 شربنا من أنهارها، وَلَتَجِدْنَهَا كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا  
 هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال عَوَانَةُ بن الحكم: لما مات محمد بن الحجاج وأتاه نَعِيُّ أخيه بعث  
 إلى مالك ابن أسماء وهو في السَّجَن فقال: أنشدني مَرْثِيَّتَكَ أَخَاكَ فَأَنشده:

[الخفيف]

أَقْطَعُ اللَّيْلَ زَفْرَةً وَنَحِيبًا      وَلَمَّا قَدْ لَقِيتُ أُمْسِي كَنِيبًا  
 أَذْكَرُ الْيَأْسَ مِنْ بَقَائِكَ فِي الْـ      دُنْيَا وَعَهْدًا مِنَّا وَمِنْكَ قَرِيبًا  
 يَوْمَ أَذْعُوكَ لِلخُطُوبِ وَلَوْ يُسْـ      مَعَ دَاعِيكَ مَنْ دَعَا لِأُجِيبَا  
 قال: وأنا، واللَّهِ، لو أسمعتهما النداء لأجابا.

وقال إبراهيم بنُ سعد: سمع عليُّ بن الحسين واعيةً من بيته وهو في  
 مجلسه وعنده جماعة، فنهض إلى منزله فسكَّتْهم ثم خرج إلى مجلسه فقالوا له:  
 أَمِنْ حَدَثٍ كَانَتْ الْوَاعِيَةُ؟ فقال: نعم، ابنُ لي، فعزَّوه وتعجبوا من صبره. فقال:  
 إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ نَطِيعِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيمَا نَحَبٌ وَنَكَرُهُ، وَنَحْمَدُهُ، فَإِذَا نَزَلَ مَكْرُوهٌ  
 حَمِدْنَا وَاحْتَسَبْنَا.

قال أبو القاسم بن قيس العامري: لما دَفَنَ عليُّ بن أبي طالب فاطمة  
 عليهما السلام، تَمَثَّلَ عند قبرها:

[الطويل]

وَإِنَّ أَفْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ      دَلِيلٌ عَلَى الْأَيْدُومِ خَلِيلُ  
 وتمام هذا الشعر:

ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَبِتُّ كَأَنَّنِي      بِرَدِّ الْأُمُورِ الْمَاضِيَاتِ وَكَيْلِ

(١) محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المازني الأسدي «الملقب بابن كُناسة»: شاعر عباسي من الكوفة  
 عالم بالعربية وأيام الناس وهو ابن أخت الزاهد إبراهيم بن أدهم (١٢٣ - ٢٠٧ هـ) (الأعلام: ج  
 ٦، ص ٢٢١).

(٢) سورة يس: الآية ٥١.

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ      وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلٌ  
وَإِنْ افْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ      دَلِيلٌ عَلَى الْأَيَّدُومِ خَلِيلٌ

وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - للأشعث بن قيس<sup>(١)</sup> وعزاه عن ابن له: يا أشعث، إن تجزع على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرَّحْمُ، وإن تصبر ففي الله الْخَلْفُ. يا أشعث، إنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت موزور.

وكان علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - يقول إذا عزى: إن تجزعوا فالرَّحْمُ أهل ذلك منكم، وإن تصبروا ففي ثواب الله خَلْفٌ من المصيبة. عَظُمَ اللَّهُ أجركم.

وعزى رجل رجلاً عن ابنه فقال: ذهب أبوك وهو أصلك، وذهب ابنك وهو فرعك، فما حال الباقي بعد أصله وفرعه؟.

وعزى رجل رجلاً فقال: ما كان لك في الآخرة أجراً خيراً لك مما كان في الدنيا سروراً.

وقال موسى الهادي<sup>(٢)</sup> لإبراهيم بن سلم وعزاه عن ابنه: أيسرك وهو بليّة وفنّة، ويحزنك وهو صلاة ورحمة؟.

وقال سعيد بن عبد الله: قال الحسن لرجل عزاه عن ابنه: إنما يستوجب على الله وعده من صبر لله بحقه. فلا تجمع، إلى ما أصبت به، الفجيعة بالأجر فإنها أعظم المصيبتين عليك وأنكأ المرزئتين لك.

وقال أبو الحسن المدائني: لما هلك يزيد بن الصّعق ورثه مَعِيَّةُ بن يزيد قدّره وجفّته فقالت ليلي بنت يزيد:

[الطويل]

يَزِيدُ أَبَا قَيْسٍ وَهَلْ تَسْمَعُهُ      وَعِنْدَكَ تَعْبِيرٌ لَوْ أَنَّكَ تَسْمَعُ  
لَأَضْبَحَ مَا جَمَعْتُ مِنْ كُلِّ صَالِحٍ      مَعِيَّةُ يُغْطِي النَّاسَ مِنْهُ وَيَمْنَعُ

(١) الأشعث بن قيس الكندي «أبو محمد»: أمير كندة في الجاهلية والإسلام من ذوي الرأي والإقدام والهيبة له أخبار في الفتوح (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٣٣٢).

(٢) موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور «أبو محمد» خليفة عباسي قتلته أمه خنقاً على يد جواربها عندما أراد خلع أخيه هارون من ولاية العهد (١٤٤ - ١٧٠ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٢٧).

فَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ شَيْئاً رَأَيْتَهُ      وَلَا أَنْ يَسُوقَ النَّاسَ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ  
وقال سعيد بن قيس المحاربي :

[الوافر]

أَبَادِرُ قِسْمَةِ الشُّرَكَاءِ مَالِي      إِذَا حَسَبُوا وَهُمْ حَوْلِي قُعودُ  
وَقَالُوا: حَقُّنَا الثُّلَثَانِ مِنْهُ      وَقَدْ صَدَقُوا لَعْنَرِي أَوْ يَزِيدُ  
تَقُولُ عَجُوزُهُمْ فِي ذَاكَ سَهْمِي      بَلَى وَبَسَّهْمِكَ الْعَيْنُ الشَّدِيدُ  
وَكَأَنْتَ قَبْلُ تَمْلِكُهُ جَمِيعاً      تُعْنِي بِالْيَدَيْنِ كَمَا تُرِيدُ  
وقالت الْمُحَيَّاةُ بِنْتُ طَلْقِ الْجَشْمِيَّةِ، مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فِي الْإِسْلَامِ،  
وَجَاءَ الْعَصْبَةُ يَقْتَسِمُونَ دَارَهَا الَّتِي كَانَتْ لَزَوْجِهَا، فَسَمِعَتْ أَصْوَاتَهُمْ فَقَالَتْ :

[السريع]

يَا دَعْوَةَ مَا دَعَوْتِي عَامِراً      بِاللَّهِ لَوْ يَسْمَعُنِي لَأَسْتَجَابَ  
تَاللَّهِ لَوْ يَسْمَعُ دَعْوَاهُمْ      لَفَلَّهْمُ عَنِّي بِظَفَرٍ وَنَابِ  
فَرَجَعُوا عَنْهَا وَغَبَرُوا حِيناً ثُمَّ عَادُوا، فَقَالَتْ :

[الطويل]

لَقَدْ بُدِّلَتْ دَارُ الْأَحِبَّةِ بَعْدَهُمْ      مَوَالِي مِنْهُمْ مُلْحَقُونَ وَتَابِعُ  
فَلَوْ أَنَّ دَاراً أَغُولَتْ فَقَدْ أَهْلَهَا      بَكَتْ دَارُنَا وَالتَّخُ<sup>(١)</sup> مِنْهَا الْمَسَامِعُ  
فَرَجَعُوا فَمَكَثُوا حِيناً ثُمَّ عَادُوا، فَقَالَتْ :

[مجزوء الكامل]

الدَّارُ تَبْكِي أَهْلَهَا      وَبُكَاءُهَا شَيْءٌ عَجِيبُ  
فيقال : إنهم تركوها لها .

قال المدائني : توفي ابنُ لُحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ يَكْنَى أَبَا الْحُصَيْنِ فَقَالَ : رَحِمَ  
اللَّهُ الْحُصَيْنِ . وَاللَّهُ إِنْ كَانَ ، مَا عَلِمْتَهُ ، لَبَرّاً بِوَالِدِيهِ ، وَصُولاً لِرَحِمِهِ بَعِيداً مِمَّا  
يُقْرَفُ بِهِ الشُّبَّانُ .

قال أبو العباس : وَحُدِّثْتُ بِهَذَا الْخَبَرِ عَلَى غَيْرِ هَذَا . إِنَّهُ تَوَفَّى ابْنُ لَهُ يَقَالُ لَهُ  
نُعَيْمٌ فَقَالَ : لَا أَنْسَى نُعَيْماً أَبَداً . وَفِي هَذَا الْخَبَرِ : وَلَقَدْ ذَكَرْتُ عِنْدَ مَوْتِهِ قَوْلَ  
الشَّاعِرِ - يَعْنِي أَبَا خِرَاشٍ الْهَذَلِيِّ :

[الطويل]

(١) التَّخُ : اصْطَكَ .



فَوَاللَّهِ لَا أَنْسى قَتِيلًا رُزِئَتْهُ  
بجانبِ قَوْسى ما مَشَيْتُ على الأَرْضِ  
ثم علم أنه سينساه فقال:

بَلَى إِنَّهَا تَغْفِرُ الْكُلُومَ وَإِنَّمَا  
نُوكِلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي  
وقال أبو الحسن في أخبار الطاعون: الذي بلغنا من خبر الطاعون أن الناس  
لا يَجْزَعُونَ فيه على موتاهم كَجَزَعِهِمْ في غير الطاعون، وذلك لتَأْسِي الناس  
بَعْضُهُمْ بَبَعْضٍ، ولما يَدْخُلُهُمْ من الخوف، فكلُّ إنسان يخاف على نفسه فيَسْلُو  
عن الولد والأهل والقربة.

وقال: وكانت الطواعين المشهورة العظام في الإسلام بالعراق خمسة:  
- طاعون شيرويه بالمدائن في سنة ست من الهجرة.

- والطاعون الجارف سنة تسع وسبعين في شوال. هلك في ثلاثة أيام في كل  
يوم سبعون ألفاً. مات لأنس بن مالك فيه ثلاثة وثمانون ابناً ويقال: وسبعون.  
ومات لعبد الرحمن بن أبي بكرة أربعون ابناً، وهرب عبيد الله بن عمير، مات له  
ثلاثون ابناً، وإنما هرب بهم من الطاعون. وقال البراء المازني: مات في الطاعون  
لصدقة بن عامر المازني سبعة بنين في يوم واحد، فدخل، فوجدهم قد سُجُّوا  
جميعاً، فقال: اللَّهُمَّ، إني مُسْلِمٌ مُسْلِمٌ.

وقال محمد أبو عبد الله التميمي: هرب المرقع بن العلاء، أحد بني  
ربيعة بن مالك بن زيد مناة، من الطاعون، وله اثنا عشر ابناً، فماتوا جميعاً،  
فدفنهم في سفح سنام فرثاهم فقال:

[الوافر]

دَفَنْتُ الدَّافِعِينَ الضَّيْمَ عَنِّي	بِرَأْسِيَةِ مُجَاوِزَةِ سَنَامَا
أَقُولُ إِذَا ذَكَرْتُهُمْ جَمِيعاً	بِنَفْسِي تِلْكَ أَضْدَاءَ وَهَامَا
فَلَيْتَ جَمَامَهُمْ إِذْ فَارَقُونَا	تَلَقَّانَا وَكَانَ لَنَا جَمَامَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ هَلَكُوا جَمِيعاً	وَلَمْ أَرْ مِثْلَ هَذَا الْعَامِ عَامَا

قال: أنشدني الرِّياشي ثلاثة أبيات منها ولم ينشدني الرابع.

وقال علي بن القاسم: حدثني رجل قال: رأيت في المنام أيام الطاعون  
كأنه أخرجت من داري اثنتا عشرة جنازة وأنا وعيالي اثنا عشر، فمات منا أحد  
عشر وبقيت وحدي، فقلْتُ في نفسي: أنا تمام العدة، فخرجت من الدار ثم  
رجعت من غدي إليها فإذا نصُّ قد دخل للسرقة فطعن في الدار فمات، فأخرجنا  
جنازته.

قال أبو الحسن: بلغني أن رجلاً نبش في الطاعون قبراً فأخرج الميت من قبره وأخذ ثيابه فطعن من ساعته فمات فوجد والثياب معه.

وقال سليمان بن قحذم: خرجت في الطاعون الجارف إلى مكة، ودارنا مشحونة، فرجعت وقد خلت، فقال لي أبي: يا بني، ما بقي في الدار أحد ممن تركت غيري وغير أمي جدتك.

وقال معاذ التمار: بلغني أن دوراً كثيرة مات أهلها. فلما قدم الحجاج هدمها مخافة أن يكمن فيها الخوارج، واشترى الناس دوراً كثيراً فدُفِنوا فيها.

قال: بلغني أن داراً مات أهلها جميعاً، فأغلقوا بابها وفيها صبي صغير رضيع لم يعلموا به، فلما خف الطاعون فتحوا الباب بعد أشهر فإذا صبي يحبو، فتعجبوا منه، فإذا كلبه تطير إلى الدار فتربض ناحية ويحبو إليها الصبي فيشرب من أطبائها ثم تطير الحائط إلى خارج. فلم يزل ذلك دأب الصبي حتى حبا حبواً.

قال: وأخبرت أن الدار كانت تُصبح وفيها خمسون، وتُصبح الغد وليس فيها واحد.

قال: وكان الرجل بعد الطاعون يلقي المرأة، فلو شاء أن يغصبها نفسها فَعَلَ قبل أن يمُرَّ أحد.

ثم خف الطاعون وخليفة مُصعب بن الزبير<sup>(١)</sup> على البصرة سنان بن سلمة الهذلي<sup>(٢)</sup> فخطب الناس فقال: اتقوا الله أيها الناس فإن عند الله أياماً مثل سؤال. قال: وكان طاعون القينات في سؤال سنة سبع وثمانين، مات فيه الجواري.

ثم كان طاعون سنة إحدى وثلاثين ومئة في رجب فاشتد في شهر رمضان فكان يُحصى في سكة المربد في كل يوم عشرة آلاف جنازة، أياماً، وخف في شوال.

وقال طارق: أخبرني رجل قال: تزوجت امرأة فدخلت بها ليلة الإثنين،

---

(١) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي «أبو عبد الله»: أحد الولاة في صدر الإسلام تولّى العراق لأخيه عبد الله حتى هزمته جيوش عبد الملك (٢٦ - ٧١ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٤٧).

(٢) سنان بن سلمة الهذلي: شجاع مذكور عمر طويلاً حتى زمن الحجاج ومولده يوم الفتح (اليان والتبيين: ج ٣، ص ١٤١).

وأصبحت غادياً من عندهم وهي عند أبيها وأُمها وأختها وخادمهم، فعدت إليهم يوم الجمعة فلم يبقَ منهم أحدٌ.

وهرب من الطاعون عليُّ بن زيد بن جُذعان إلى السَّيالة<sup>(١)</sup>، وكان يجمعُ كلَّ جمعة ويرجع فكان إذا جمع صاحوا به: فرَّ من الطاعون، فطعن فمات بالسَّيالة. وهرب عمرو بن عُبيد ورباط بن محمد بن رباط إلى الرِّباطية<sup>(٢)</sup> فقال إبراهيم بن عليِّ بن عبد الرَّحمنُ الفَقِيمِي:

لَمَّا اسْتَفَزَّ الْمَوْتُ كُلَّ مُكَذِّبٍ صَبَرْتُ، وَلَمْ يَصْبِرْ رِبَاطٌ وَلَا عَمْرُو  
ورأى نافع<sup>(٣)</sup> رجلاً قد خرج من البصرة على حمارٍ فرَقاً من الطاعون،  
وكان نافع يعرفه فقال: انظروا يَفِرُّ من الله على حمار.

وكان ابن شُبُلِ بن مَعْبِدِ البَجَلِي بشيراز فمات أهلُه بالطاعون فبلغه، فجزع عليهم فقال:

[الطويل]

عَرِيباً كَمَا بَعْضُ الرِّجَالِ غَرِيبُ	سَمَا لَكَ فِي شِيرَازَ هَمٌّ فَلَمْ تَنَمْ
كَمَا يَنْبَرِي دُونَ اللَّحَاءِ عَسِيبُ	بَرْتَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
نَوَى غُرْبَةً عَمَّنْ نُحِبُّ شَطُوبُ	أَقُولُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَذَفْتُ بِنَا
لَهُمْ مِنْ فُؤَادِي بِالْعِرَاقِ نَصِيبُ	مَتَى الْعَهْدُ بِالْأَهْلِ الَّذِينَ تَرَكْتُهُمْ
إِلَيْهِ إِذَا كَانَ الْإِيَابُ أَوْوَبُ؟	وَهَلْ تَرَكَ الطَّاعُونَ لِي مِنْ قَرَابَةِ
فَغَالَتْهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ شَعُوبُ	وَكُنَّا نُرْجِي أَنْ نَصِيرَ إِلَيْهِمْ
لَهُنَّ عَلَى كُلِّ الْأَنَامِ رَقِيبُ	مَقَادِيرُ لَا يُغْفِلَنَّ مَنْ كَانَ يَوْمُهُ
وَلِلْحَيِّ مِنْ أَنْفَاسِهِنَّ ذَنْوُ	سَقَيْنَ بِكَأْسِ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ أَصَبْنَهُ
بَعِيدٌ وَلَا هُمْ فِي الْحَيَاةِ قَرِيبُ	فَقَدْ أَصْبَحُوا لَا دَارَ لَهُمْ مِنْكَ غُرْبَةً
رَأَيْتُ الْمَنَايَا تَغْتَنِّي وَتَشُوبُ	وَهَوْنٌ عَنِّي بَعْضُ وَجْدِي أَنَّنِي
حَوَادِثُ، كُلُّ الْعَالَمِينَ تُصِيبُ	وَأَنْنِي رَأَيْتُ النَّاسَ أَفْنَى كِرَامَتِهِمْ
إِلَى أَجَلٍ تُدْعَى لَهُ فَتُجِيبُ	وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا

(١) السَّيَالَة: أرض يطؤها طريق الحاج (معجم البلدان: ج ٣، ص ٢٩٢).

(٢) الرِّباطية: ماء في الطريق إلى البصرة من جزيرة العرب.

(٣) نافع بن جُبَيْر بن مطعم بن عدي بن نوفل من قريش: من كبار رواة الحديث تابعي ثقة من أهل المدينة (٩٩/٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٣٥٢).

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال: هلك في طاعون «عمواس» من آل الوليد بن المغيرة عشرون فتى، ومن آل صخرٍ مثلهم. فقال رجل منهم:

[السريع]

مَنْ يَنْزِلِ الشَّامَ وَيُغْرِسَ بِهِ      فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْنِنَا كَارِبُ  
يقول: إن لم يفننا فهو يقارب ذلك. يقال: كَرَبَ الشيءُ يَكْرُبُ إذا قَرُبَ.

أَفْنَى بَنِي صَخْرٍ وَفُزْسَانُهُمْ      عَشْرِينَ لَمْ يَطْرُزْ لَهُمْ شَارِبُ  
وَمِنْ بَنِي أَغْمَامِهِمْ مِثْلَهُمْ      لِمِثْلِ هَذَا الْعَجَبِ الْعَاجِبُ  
طَغْنًا وَطَاعُونَاً مَنَايَاهُمْ      ذَلِكَ مَا خَطَّ لَنَا الْكَاتِبُ

واستشهد بالشَّام من بني المغيرة<sup>(١)</sup> سبعة وسبعون رجلاً في وقعة، فقال خالد بن الوليد: بنفسي أنتم زعم ابن حنثة - يعني عمر بن الخطاب - رحمه الله - أن بني المغيرة لا يستشهدون.

وقال المدائني: كان بالكوفة طاعون سنة خمسين، فقال المغيرة بن شعبة لأبي موسى: <sup>(٢)</sup> انطلق بنا. فخرج إلى «دابق» من الطاعون فقال أبو موسى: إلى الله أبق لا إلى دابق، فخرج المغيرة. فلما خرج خف الطاعون فقبل له: لو رجعت إلى أهلك! قال: ما يريدون مني؟ فلم يزالوا به حتى أقبل إلى الكوفة، فقال: كأنكم بالطاعون قد ختلني في خصاص بني عوف، فطعن فمات. واستخلف على الكوفة جرير بن عبد الله البجلي<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو إسماعيل عن مجالد عن الشعبي أن صديقاً لشريح خرج هارباً من الطاعون، فأقام بالنجف<sup>(٤)</sup> فكتب إليه شريح: إن المكان الذي أنت به بعين من لا

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي «أبو عبد الله» أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم صحابي تولى لعمر البصرة ثم الكوفة ولعثمان ومعاوية الكوفة وهو أول من وضع ديوان البصرة وأول من سلم عليه بالأمرة في الإسلام (٢٠ ق هـ - ٥٠ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٧٧).

(٢) عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري: صحابي من الولاة الشجعان من بني الأشعر من قحطان ولد في زبيد «باليمن» افتتح أصبهان والأهواز وتولى الكوفة لعثمان عزله عنها علي لعوده عن نصرته في موقعة الجمل خدعه عمرو بن العاص في التحكيم وتوفي في الكوفة (٢١ ق هـ - ٤٤ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ١١٤).

(٣) جرير بن عبد الله البجلي «أبو عمرو» من بجيلة أسلم سنة عشر اعتزل الحرب بين علي ومعاوية وأقام في الجزيرة حتى توفي سنة ٥٤ هـ.

(٤) النجف: موضع بظهر الكوفة فيه قبر علي رضي الله عنه (معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٧١).

يفوته طلب، ولا يُعْجِزُهُ هَرَبٌ، والمكان الذي خَلَّفَتْ لا يُعْجَلُ امرءاً إلى حِمَامِهِ قبلَ أَجَلِهِ، ولا يَظْلِمُهُ أَيَّامُهُ، وأنتَ وَهُمْ على بَساطٍ واحدٍ، وإنَّ الشَّجَفَةَ من ذي القدرة لَقرِيبٌ.

وقال أبو عاصم من ولد عباد بن زياد<sup>(١)</sup>: كانت الطوايعين بالشام كثيرةً وكانت الخلفاء وأبناء الخلفاء يَتَبَدَّدُونَ ويهربون من الرِّيف فينزلون البرِّيَّة خوفاً من الطاعون. فلما أراد هشام بن عبد الملك أن ينزل الرُّصَافَةَ<sup>(٢)</sup> قيل له: يا أَمِيرَ المؤمنين، لا تَجْزَعْ فَإِنَّ الخلفاء لا يُطْعَنُونَ، ولم نَسْمَعْ بخليفةٍ طُعِنَ ولم نَرَهُ. قال: أتريدون أن تَجْرِبُوا في؟ فتحول فنزل الرصافة وهي بَرِّيَّةٌ، وبني فيها قصرين.

قال: وكان عبد العزيز بن الوليد ينزل «أَسْنِيساً»<sup>(٣)</sup> فقدم على أبيه بدمشق غلامٌ للوليد فقال الوليد لابنه عبد العزيز: يا بني، ارجع إلى منزلك. قال: أبيثُ الليلة ثم أَعْدُو. قال: عزمْتُ عليك إِلَّا رَجَعْتُ. فرجع ولم يدْغُه بيت. قال أبو عُبَيْدة عن أبي عمرو بن العلاء: إِنَّ رجلاً من أهل البصرة أيام الطاعون الجارف - لَمَّا رآه قد كَثُرَ - أراد الهَرَبَ، فعمد إلى حمار له فجعل عليه مَتَاعَهُ، وغلامٌ له يناوله جِهَازَهُ، والغلام يرتجز:

[مشطور الرجز]

لَنْ يُسْبَقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَنِعَةٍ مَطَّارٍ  
قَدْ يُضْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي

فقال له الرجل: صدقت. ثم حطَّ رحله وأقام، فمات فيمن مات.

قال المدائني: قال الحسن البصري - وذكر عنده الطاعون -: ما أحسن ما أبلى الله فيه: ارتدع مذنبٌ، وأنفق ممسِكٌ، ولم يُغْلَطْ بأحد.

وقال أبو الحسن المدائني عن جناب بن موسى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما احتضر رسول الله أتاه جبريل عليه السلام فخيَّره بين البقاء في الدنيا وبين المصير إلى رحمة الله أو رَفَعَهُ إليه وتعجيل ما وعده فقال ﷺ: «بل الرفيق الأعلى». فكان يقول ذلك حتى قضى، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

(١) عباد بن زياد بن أبيه «أبو حرب» أمير فاتح أقام بالبصرة ولي سجستان وغزا بلاد الهند أيام معاوية وكان في الشام أيام عبد الملك (١٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٥٧).

(٢) الرصافة: رصافة هشام بن عبد الملك غربي الرقة (معجم البلدان: ج ٣، ص ٤٧).

(٣) أسيس: ماء في شرقي دمشق (معجم البلدان: ج ١، ص ١٩٣).

وأخبر المدائني عن شعبة عن سعيد بن إبراهيم عن عروة عن عائشة، رحمها الله، قالت: كنت أسمع أن النبي ﷺ لا يموت حتى يُخَيَّرَ، فسمعتة يقول ﷺ في مرضه: الرفيق الأعلى، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فظننت أنه خيَّرَ فاختار الآخرة.

وقال خلاد بن عبيدة عن علي بن زيد<sup>(١)</sup> عن الحسن قال: قيل لأبي بكر في مرضه: لو أرسلت إلى الطبيب! فقال: قد رأيته. قالوا: فما قال لك؟ قال: قال: إني فعّال لما أريد. وفي رواية: إني أفعل ما أشاء.

وقال أبو محمد الناجي عن الحسن: إن أبا بكر، رحمه الله سمع عائشة رضي الله عنها وهو في سكرات الموت، وهي تقول:

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ  
فقال: يا بنيّة ألا قلت ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾<sup>(٢)</sup> وقال متمثلاً:

[مخلع البسيط]

وَكُلُّ ذِي إِبِلٍ مُورِثُهَا      وَكُلُّ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوبُ  
وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَوْوُبُ      وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُؤْوِبُ  
وَأَخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ: رَبُّ ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو بلال الأشعري عن محمد بن عاصم الأسلمي عن موسى بن عقبة المزني قال: كتب أبو بكر، رحمة الله عليه وصيته بيده وهي: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا ما أوصى به أبو بكر الصديق عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث، يُؤْمِنُ الْكَافِرُ، وَيَتَّقِي الْفَاجِرُ، وَيَصْدُقُ الْكَاذِبُ. إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه فاسمعوا له وأطيعوا. فَإِنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِ وَرَأْيِي فِيهِ. وَإِنْ جَارَ وَبَدَلَ فَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَالْخَيْرَ أَرَدْتُ، وَلِكُلِّ امْرَأَةٍ مَا اكْتَسَبَ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) علي بن زيد بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان «أبو الحسن» فقيه ضريير من حفاظ الحديث (١٢٩/هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٢٨٩).

(٢) سورة ق: الآية ١٩. (٣) سورة يوسف: الآية ١٠١. (٤) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

وقال عمرُ بن غياث عن الهلالي: كان رسول الله ﷺ إذا أفرطت عليه الحمى في وجعه الذي تُوفي فيه قالت فاطمة: يا بآبي وأمي. ثم تمثلت:

[الطويل]

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ      ثِمَالُ الْيَتَامَى عِضْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ  
قال: فأفاق رسول الله فقال: ذلك قول عمك أبي طالب. ثم قال ﷺ:  
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾<sup>(١)</sup> الآية.

قال أبو الحسن عن عاصم بن عمر<sup>(٢)</sup> عن عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أسلم<sup>(٣)</sup> عن أبيه عن جده أن كعب الأحمار<sup>(٤)</sup> قال لعمر بن الخطاب رحمه الله: يا أمير المؤمنين، أنت ميت في ثلاث، أجد ذلك في بعض الكتب. قال: أتجد اسمي ونسبي؟ قال: لا، ولكن أجد صفتك وسيرتك وزمانك، فقال عمر:

[الطويل]

تَوَعَّدَنِي كَغَبِّ ثَلَاثٍ يَعُدُّهَا      وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَ لِي كَغَبِّ  
وَمَا بِي خَوْفُ الْمَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ      وَلَكِنَّ خَوْفَ الذَّنْبِ يَتَّبَعُهُ الذَّنْبُ  
وقال هشام بن عاصم عن الشعبي أن عمر بن الخطاب رحمه الله عليه قال عند موته: ليتني أنجو من هذا الأمر كفافاً لا لي ولا علي. يا عبد الله، ضع خدي على الأرض، ويل لعمر ولأم عمر إن لم يُنجه الله.

وقال أيضاً: لما طعن العِلْجُ عمرَ قال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال سعيد بن مسلم عن أبيه أن عثمان بن عفان - رحمه الله - يوم دُخل عليه فقتل، دعا بالمصحف فنشره، فكان أول حرف نظر إليه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٦)</sup>، وتمثل:

[الطويل]

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) عاصم بن عمر بن الخطاب: شاعر، جد عمر بن عبد العزيز لأمه كان طويلاً جسيماً (٦ - ٧٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٤٨).

(٣) زيد بن أسلم العدوي «أبو أسامة أو أبو عبد الله» فقيه مدني ومفسر كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي (-/١٣٦ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٥٧).

(٤) كعب بن ماتع الحميري «أبو إسحاق» تابعي من كبار أحمبار اليهود أسلم في أيام أبي بكر وأخذ المسلمون عنه أخبار الأمم الماضية (-/٢٢ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٢٨).

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٣٧.

أَرَى الْمَوْتَ لَا يُنْقِي عَزِيزاً وَلَمْ يَدَعْ  
يُبَيِّتُ أَهْلَ الْحِصْنِ وَالْحِصْنُ مُغْلَقٌ وَيَأْتِي الْجِبَالَ مِنْ شَمَارِخِهَا الْعُلَا  
وقال أبو الحسن عن سعيد بن عبد العزيز السلمي عن أبيه أن الزبير<sup>(١)</sup> -  
رحمه الله - قال حين طعنه ابن جرموز: ما له - قاتله الله - يذكّر بالله وينساه!  
وذلك أن الزبير - رحمه الله - لما رآه همّ به، فقال ابن جرموز: أذكرك الله، فتركه  
ثم تغفله فطعنه. وتمثل الزبير:

[الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عِلْمِي نَافِعِي      أَنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبٌ  
وقال طلحة بن عبيد الله<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - يوم الجمل عند موته:

[مجزوء الكامل]

صَرَفَ الزُّبَيْرُ جَوَادَهُ      أَنَّى لَتُذَرِكُهُ وَفَائِئُهُ  
ثم قال حين نزل به الموت: تالله ما رأيت كالיום مصرع أسد أضيع،  
وتمثل:

[الطويل]

أَرَى الْمَوْتَ أَغْدَادَ الثُّفُوسِ وَلَا أَرَى      بَعِيداً غَدّاً مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ  
وقال يعقوب بن داود الثقفي عن الحسين بن بزيغ: إن أمير المؤمنين  
علي بن أبي طالب رحمه الله خرج في الليلة التي ضرب فيها في السحر وهو  
يقول:

[الهمزج]

أَشْدُّ حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ      فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيكَ  
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ      إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ  
وضربه ابن ملجم، فقال: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءَ مرضاة الله،  
والله رؤوفٌ بالعباد﴾<sup>(٣)</sup>. وقال علي حين ضرب: ﴿فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ﴾. وكان

(١) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي «أبو عبد الله» صحابي جليل من العشرة المبشرين  
بالجنة أسلم وعمره ١٢ سنة كان من رجال الشورى الستة قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادي  
السباع (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٤٣).

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني «أبو محمد» أحد العشرة المبشرين بالجنة قتل  
يوم الجمل وعمره ٦٢ سنة وقبره بظاهر البصرة (٢٨ ق هـ - ٣٦ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٢٩).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٧.



آخَرَ مَا تَكَلِّمُ بِهِ أَنْ قَالَ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال أبو الحسن عن علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران عن أبيه: إِنَّ معاويةَ قال في مرضه الذي مات فيه: إن رسول الله ﷺ كساني قميصاً فَرَفَعْتُهُ. وَقَلَمَ أَظْفَارَهُ يوماً فَأَخَذَتْ قُلَامَتَهَا فجعلتها في قارورة فإذا مُتُّ فَأَلْبِسُونِي ذَلِكَ القميص وقطعوا تلك القلّامة واسحقوها وذروها في عيني وفمي ثم أغميَ عليه، فقالت ابنته أو امرأة من أهله متمثلة:

[الطويل]

إِنْ مَاتَ مَاتَ الْجُودُ وَأَنْقَطَعَ النَّدَى      مِنْ النَّاسِ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدٍ  
وَرَدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا      مِنْ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِخَلْفٍ مُجَدَّدٍ  
ثم أفاق فقال لمن حضره من أهله: اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَّقِي مَنْ اتَّقَاهُ، وَلَا وَايَةَ لِمَنْ لَا يَتَّقِي اللَّهَ.

وقال عوانة: لَمَّا حَضَرَتْ معاويةَ الوفاةُ قال: يَوْمَ مِنْ ابْنِ الْأَدْبَرِ<sup>(٢)</sup> طویل! ثم تمثّل:

[البسيط]

لَقَدْ جَمَعْتُ لَكُمْ مِنْ جَمْعٍ ذِي حَسَبٍ      وَقَدْ كَفَيْتُكُمْ التَّرْحَالَ وَالنَّصَبَا  
ثم قال: إِنَّكُمْ لَتُقْلَبُونَ حَوْلًا قَلْبًا، إِنَّ نَجَا مِنْ كِبَةِ النَّارِ فَهُوَ الرَّجُلُ.  
وفي غير هذا الإسناد أنه قال حيرَ أَحْضِرَ لابنةَ قرظة: اندُبيني فقالت:

[الهزج]

أَلَا أَبْكِيهِ أَلَا أَبْكِيهِ      أَلَا كُلُّ الْفَتَى فِيهِ  
وقال لابنتيه: قَلْبَانِي، ففَعَلْتَا. فقال: إِنَّكُمَا لَتُقْلَبَانِ حَوْلًا قَلْبًا إِنَّ وُقَى كِبَةِ النَّارِ. ثم تمثّل:

[الكامل]

لَا يَبْعَدَنَّ رَبِيعَةُ بِنُ مَكْدَمٍ      وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبٍ  
وقال سعيد بن بشر: إِنَّ عبد الملك بن مروان ليلة قبض قَلِقَ فَسَمِعَ صَوْتَ

(١) سورة الزلزلة: الآية ٧.

(٢) هو حجر بن عدي بن جبلة الكندي: صحابي شجاع قتله معاوية مكبلاً بالحديد في مرج عذراء مع أصحاب له (.../٥١ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٦٩).

قَصَّار<sup>(١)</sup> فقال: ما هذا؟ فأخبر، فقال حنين ثقل: لیتني كنتُ غسلاً أَعِيش بما أكتسبَ يوماً بيوم. فقیل لأبي حازم: إنَّ عبدَ الملك قال كذا وكذا. فقال: الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه، ولا نتمنى ما هم فيه.

وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد<sup>(٢)</sup> عن أبيه إنَّ سليمان بن عبد الملك قال عند الموت متمثلاً بقول الحارث بن عباد<sup>(٣)</sup>:

[الرجز]

إِنَّ بَنِي صَبِيَّةٍ صَغَارَ      أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارُ  
إِنَّ بَنِي غِلْمَةٍ صَنِفِيُونُ      أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونُ  
فقال له عمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، أفلح من تزكى وذكر اسمَ ربِّه فصلى. فقالها، ثم قال: أسألك مُنْقَلَباً كريماً. ثم قضى. وقال مسلم بن خالد<sup>(٤)</sup> عن ابن أبي نجیح: تأوّه طاوُس<sup>(٥)</sup> في مرضه الذي مات فيه، فقیل له: يا أبا عبد الرحمن، شكوتَ ربَّك فقال: لیتني أخرجُ من مرضي هذا لا علي ولا لي.

وقال محمد بن جعفر<sup>(٦)</sup> عن أبيه: دخلتُ على عبد الرحمن بن الفضل بن ربیعة بن الحارث بن عبد المطلب في مرضه فبكى وقال: أبكي لصبيات خلف هذا السّتر، لولاهنّ لهانّ عليّ الموت. إني لمؤمن، وإني لتائب، وإن الله لغفور رحيم. قلتُ: رحمك الله فالذي رجوتَه لمغفرة ذنبك فأرجُهُ لخير بناتك. فقال: صدقت، جزاك الله خيراً.

(١) القصار: المحور للثياب (يدقها بالقصرة: قطعة خشب).

(٢) عبد الله بن ذكوان القرشي المدني «أبو الزناد» محدث وفقه صاحب كتابه وحساب وفد على هشام بحساب ديوان المدينة توفي فجأة بالمدينة (٦٥ - ١٣١ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٨٥).

(٣) الحارث بن عباد البكري: شاعر شجاع من سادات العرب دخل حرب البسوس بعد أن قتل المهلهل ابنه بجيراً فأسر المهلهل وجز ناحيته وأطلقه وأقسم أن لا يكف عن تغلب حتى تكلمه الأرض فكلمه رجل دسوه في سرب بشعر فقیل بر القسم واصطلح القبيلان (٥٠/... ق هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٥٦).

(٤) مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد القرشي المخرومي «المعروف بالزنجي»: من كبار الفقهاء تفقه به الشافعي قبل أن يلقي مالكا (١٧٩ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٢٢).

(٥) طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء «أبو عبد الرحمن» فقيه من رواة الحديث متقشف كان يعظ الخلفاء والملوك أصله فارسي ومولده في اليمن توفي حاجاً في المزدلفة أو منى (٣٣ - ١٠٦ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٢٤).

(٦) محمد بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي القرشي «أبو القاسم» صحابي ولد في الحبشة وقتل في صفين (٣٧ هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٦٨).

وقال أبو الحسن عن معاوية بن محمد عن عبد الله بن بُجَيْر قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاصي لأبيه: يا أبة، كنت تقول: ليتني ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت به يحدثني ما يجد. وقد نزل بك وأنت ذلك الرجل فصِف لي الذي تجد. قال: يا بُني لكأن جنبي في تحت ولكأنني أتنفس من سَمِّ إبرة، ولكأن غَضَن شوك يجرُّ به من قدمي إلى هامتي. ثم قال متمثلاً قول أمية بن أبي الصلت<sup>(١)</sup>:

[الخفيف]

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَا لِي      فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أَزْعَى الْوُعُولَا  
والله ليتني كنت حيضة عركها الإماء. ثم مدَّ يده فقال: اللهم، إني لست ذا قوة فأنتصر، ولا ذا براءة فأعتذر. اللهم إني مُقِرُّ مُذنب مُستغفر. وقال عوانة: قال عمرو بن العاصي عند موته: اللهم، إنك أمرتنا فلم نأتمر، وزجرتنا فلم ننزجر، فإنا لا نعتذر، ولكنا نستغفر.

وقال يعقوب بن عوف بن عبد الملك بن نوفل: لما نزل بالمغيرة بن شعبة الموت قال: اللهم، هذه يدي بايعتُ بها نبيك ﷺ، وجاهدت في سبيلك، فأغفر لي ما يعلمون من ذنوبي وما لا يعلمون.

وقال أبو الحسن عن مسلمة بن محارب: لما ثقل زياد<sup>(٢)</sup> قدم عليه الهيثم ابنُ الأسود النَّخَعِي<sup>(٣)</sup> بعهدِه على الحجاز، ف قيل له، فقال: شربة من ماءٍ أسيغها أجدُ طعمها أحبُّ إليَّ مما جاء به الهيثم.

وقال عليُّ بن مجاهدٍ عن محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> عن الزُّهري<sup>(٥)</sup> قال أبو

(١) أمية بن عبد الله بن أبي الصلت الثقفي: شاعر جاهلي أدرك الإسلام ولم يسلم كان يلبس المسوح تبعداً وأول من جعل في الكتب باسمك اللهم مات بالطائف (هـ/ ٥) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٣).

(٢) زياد بن أبيه: أمير وقائد فاتح تولى لعلي إمرة فارس ولعمارة سائر العراق حتى توفي (١ - ٥٣ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٥٣).

(٣) الهيثم بن الأسود النَّخَعِي «أبو العريان»: شاعر وخطيب معمر ومن ذوي الشرف والمكانة في الكوفة ظل موالياً للأُمويين في فتنة ابن الزبير غزا القسطنطينية مع مسلمة سنة ٩٨ هـ (١٠٠/.. هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ١٠٣).

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبلي «المدني» من أقدم المؤرخين العرب كان قدرياً ومن حفاظ الحديث سكن ومات في بغداد (١٥١/.. هـ) (الأعلام: ج ٦، ص ٢٨).

(٥) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري «أبو بكر» قرشي أول من دوّن الحديث وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء استقر بالشام ومات بشغب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين (٥٨ - ١٢٤ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٩٧).

العباس - وحدثني ببعض هذا الحديث وزاد عليه شيئاً العباس بن الفرّج الرّياشي - قال: أغميَ على أميّة بن أبي الصّلت أبي مرضه الذي مات فيه، وهو يقول: لَبَّيْكُمْ لَبَّيْكُمْ، هأنذا لديكما، لا بريء فأعذر. ولا ذو قوّة فأنصّر. ثم أغميَ عليه ثم أفاق وهو يقول: لَبَّيْكُمْ لَبَّيْكُمْ، هأنذا لديكما، لا مالٌ يَفْديني، ولا عشيرة تحميني. وأغميَ عليه ثم أفاق وهو يقول: لَبَّيْكُمْ لَبَّيْكُمْ، هأنذا لديكما، محفوف بالنعم:

[الرجز]

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا      وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمًّا؟  
ثم قال:

[الخفيف]

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ يَوْمًا      قَضَرُهُ مَرَّةً أَنْ يَزُولَا  
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَا لِي      فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أَزْعَى الْوُعُولَا  
اجْعَلِ الْمَوْتَ نُضْبَ عَيْنَيْكَ وَاحْذَرْ      غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ لِلدَّهْرِ غُولا

قال أبو الحسن عن إسحاق بن يوب: إنّ عبد الله بن عبد الملك بن مروان لمّا نزل به الموت بُشِّرَ بقدوم مالٍ له كثيرٍ كان له بمصر، فقال: مالي وله! لَيْتَهُ كَانَ بَعْرًا حَائِلًا بَنَجْدَ.

وقال عوانة: قال نافع بن علقمة<sup>(١)</sup> حين حُضر: ليت القرابة التي كانت بيني وبين مروان كانت بيني وبين رجلٍ من الزّوج، ولم أَدْخُلْ في شيء من هذا الأمر.

وقال أبو الحسن عن الحسن بن دينار: كان الحسنُ البصريُّ يُغْمَى عليه ثم يُفِيْقُ فيقول: ساعةٌ صبرٍ واحتسابٍ وتسليمٍ لأمر الله عزّ وجل، حتى مات.

قال: وكان محمّد بن سيرين يقول، وهو في الموت: في سبيل الله نفسي أعزّ الأنفس عليّ، حتى هلك.

وقال يحيى بن زكريا<sup>(٢)</sup> عن أبيه إنّ الشّعبي قال وهو بالموت: اشهدوا أنّي قد احتسبتُ نفسي عند الله تعالى.

(١) نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث: والي مكة والمدينة خال مروان بن الحكم (البيان والتبيين: ج ٢، ص ٢٦).

(٢) يحيى بن زكريا بن أبي زائدة «أبو سعيد»: فقيه محدث تولى قضاء المدائن وتوفي سنة ١٨٢ هـ (تاريخ بغداد: ج ١٤، ص ١١٥).

وقال قيس بن الربيع: بلغني أن إبراهيم النخعي بكى عند الموت فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ولم لا أبكي؟ وإنما أنتظر مُبشراً يُبشّرني بالجنة أو بالنار. واللّه لو ددت أنها تجلجل في صدري إلى يوم البعث.

وقال حفص بن منيمون عن يونس وغيره عن الحسن أنه قال: إذا كان يوم القيامة قيل لمن كان يحدث بالرخص: لم حدّثتم عبادي بالرخص قالوا: سمعناك تذكر أن رحمتي وسّعت كلّ شيء، وأنت تغفر الذنوب غير الشرك، فحدّثناهم ليُشكروك ولا يقنطوا من رحمتك. فيقول لهم: قد جعلتُ ثوابكم على ذلك الجنة.

وقال أبو الحسن: بلغني أن سليمان التيمي<sup>(١)</sup> قال لابنه وهو بالموت: يا بُني، حدّثني بالرخص حتى ألقى الله وأنا له راج.

وقال أبو الحسن عن أبي محمّد الناجي قال: قال حذيفة<sup>(٢)</sup> وهو بالموت: حبيبٌ جاء على فاقة، لا أفلح من ندم. الحمد لله الذي سبق بي الفتن. أليس بين يدي ما أعلم.

وقال النضر بن إسحاق: قيل للحسن: إن الحجاج قال عند الموت: اللهم، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تغفر لي. اللهم، فاغفر لي ذنوبي، فإنها صغيرة في جنب عفوك. فقال الحسن: أقالها؟ قالوا: نعم. قال: عسى!

وقال أبو الحسن عن مسلمة بن محارب: قال مسلمة بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز: أوص إليّ ببنيك أو: ألا توصي إليّ ببنيك فقال: أوصي بهم إلى الذي نزل الكتاب، وهو يتولّى الصالحين ونظر إلى ولده فقال: بنفسي فتيّة أفقرتهم من هذا المال، ثم قال: ونعم المذهوب إليه ربّي. وقرأ قارئ من ناحية البيت ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، والعاقبة للمتقين﴾<sup>(٣)</sup>. فقالها عمر ثم قضى.

(١) سليمان بن طرخان البصري: عابد ناسك توفي سنة ١٣٤ هـ (تهذيب التهذيب ج ٤، ص ٢٠١).

(٢) حذيفة بن حسل بن حابر العبسي أبو عبد الله واليمان لقب حسل: صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين كان صاحب سبيل رسول الله في المنافقين تولى المدائن وغزا نهاون والدينور وماء سندان وافتتح همذان والري أيضاً توفي في المدائن (٣٦ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٧١).

(٣) سورة القصص: الآية ٨٣.

قال عوانة: قال الوليد بن عقبة<sup>(١)</sup> عند الموت وهو بالبليخ<sup>(٢)</sup> من أرض الجزيرة: اللهم، إن كان أهل الكوفة صدقوا عليّ، فلا تلق رُوحِي منك رُوحاً ولا رِيحاناً، وإن كانوا كذبوا عليّ فلا تُرضهم بأмир، ولا تُرض أميراً عنهم، وانتقم لي منهم واجعله كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي.

قال أبو الحسن عن علي بن سليمان<sup>(٣)</sup>: دخل عمر بن عبد العزيز على رجل وهو يجود بنفسه، فقال له: استغفر الله، فقل له: يا أبا حفص، لو لقنته شهادة أن لا إله إلا الله، فقال عمر: إن لا إله إلا الله من ذنبه، وله ذنوب يستغفر الله منها، فإذا استغفر الله فقد وحده، وإن المستغفر الخائف بعرض خير.

وقال أبو الحسن المدائني عن المنهال بن عبد الملك، مولى بني أمية حبس هشام بن عبد الملك عياض بن مسلم - كاتب الوليد بن يزيد - وضربه وألبسه المسوح<sup>(٤)</sup> فلم يزل محبوساً مدة هشام، فلما ثقل هشام وصار في حد من لا يرجى برؤه رَهَقته غشيّة، فظنوا أنه قد مات، أرسل عياض ابن مسلم إلى الخزان أن احتفظوا بما في أيديكم، فلا يصلن أحد إلى شيء وأفاق هشام من غشيته، فأرسل يطلب شيئاً من الخزان فمنع. فقال هشام: أرانا كنّا خزّاناً للوليد، وخرج عياض من ساعته من الحبس، فحتم الأبواب والخزائن، وأمر بهشام فأنزل عن فرشه، ومنعهم أن يكفّوه من الخزائن. فكفّنه غالب، مولى هشام، ولم يجدوا قُمقمًا يسخن فيه ماء حتى استعاروه، فقال الناس: إن هذه لعبرة لمن اعتبر.

قال أبو الحسن عن عبد الله بن قائد عن أشياخ بني تميم قالوا: خرج إياس بن قتادة يوم الجمعة من المسجد فنظر إلى السماء ثم قال: مرحباً بك، قد كنت أنتظر مجيئك! ثم سقط فحمل إلى أهله، فمات. فحمل إلى «ملحوب»<sup>(٥)</sup> فدفن بها، فيها قبره.

وقال أبو المنذر عن عمه عامر بن حفص قال: قيل للربيع بن خُشيم حين

(١) الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي «أبو وهب» وال من شعراء وأجواد قريش ولاء عثمان الكوفة وهو أخوه لأمه توفي بالرقّة (٦١ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ١٢٢).

(٢) البليخ: نهر بالرقّة.

(٣) علي بن سليمان بن الفضل «الأخفش الأصغر» نحوي بغدادي أقام في مصر ثم ارتحل إلى حلب وتوفي في بغداد (٣١٥/٠٠) (الأعلام: ج ٤، ص ٢٩١).

(٤) المسوح: جمع مشح: لباس من شعر.

(٥) ملحوب: اسم موضع (اسم ماء لبني أسد) (معجم البلدان: ج ٥، ص ١٩١).

ثَقُلَ: أَلَا ندعو لك أصحابَ الطُّبِّ؟ فقال: قد أردتُ ذلك ثم ذكرتُ عاداً وشمود وأصحاب الرُّسِّ وقروناً بين ذلك كثيراً، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ كَانَ فِيهِم الداء والمداوي. فهِلَكُوا جميعاً.

وقال أَبُو مِخْنَفٍ: مَرَضَ مَعْبِدُ بْنُ طُوقِ الْعَنْبَرِيِّ<sup>(١)</sup> فَجَزَعَ فَقِيلَ لَهُ: كَأَنَّكَ تَخَافُ أَنْ تَمُوتَ! فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ، مَا أَمْرَضُ إِلَّا خِفْتُ ذَاكَ. قِيلَ لَهُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنِّي قَدْ اسْتَأْنَيْتُ احْتِضَارَ الْمَدَّةِ، وَانْقِضَاءَ الْعِدَّةِ، وَتَمَامَ الظَّمَا وَاتِّجَاهَ الْقَرَبِ.

وقال عوانة عن الأسود بن عُبَيْدٍ: قَالَ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ عِنْدَ الْمَوْتِ: اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقْطَعْ رَحِمًا، وَلَمْ أَشْرَبْ بِإِنَاءٍ غَادِرٍ، وَلَمْ أَضْبُ بِكَنْةٍ وَلَمْ أَبْتَ لَيْلَةً جُبْنًا حَتَّى أَصْبَحَ، فَاعْفِرْ لِي.

وقال الحِرْمَازِيُّ: هَلَكَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ابْنَانِ، فَسُئِلَ عَنْ جَزَعِهِ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: كُنْتُ أَتَوَهُمَا حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ تَنْشَقُّ عَنْهُمَا فَانْظُرْ إِلَيْهِمَا. قِيلَ لَهُ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ كَانَ جُرْحًا فَبَرَأَ.

وقال أَبُو الْحَسَنِ: أَخْبَرَنِي بَعْضُهُمْ قَالَ: أَتَيْتُ امْرَأَةً أُعْزِيهَا عَنْ ابْنِهَا. قَالَ: فَجَعَلْتُ تُشْنِي عَلَيْهِ فَقَالَتْ: كَانَ، وَاللَّهِ، مَا لَهُ لَغِيرَ بَطْنِهِ، وَأَمْرُهُ لَغَيْرِ عِزِّهِ، وَكَانَ:

[الطويل]

رَحِيبَ الذَّرَاعِ بِأَلْتِي لَا تَشِيئُهُ وَإِنْ كَانَتْ الْفَخْشَاءُ ضَاقَ ذَرْعَا  
قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ لَكَ مِنْهُ خَلْفٌ؟ وَأَنَا أَعْنِي الْوَلَدَ - قَالَتْ: نَعَمْ، بِحَمْدِ  
اللَّهِ كَثِيرٍ، طَيِّبُ ثَوَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَنِعْمَ الْعَوَظُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وقال: دَخَلَ دِرْوَاشُ بْنُ حَبِيبِ الْعِجْلِيِّ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ<sup>(٢)</sup> يَعْزِيهِ  
بِأَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ جَعْفَرٌ قَالَ: إِنْ كَانَ عِنْدَ أَحَدٍ فَرْجٌ فَعِنْدَ  
دِرْوَاشٍ. فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، التَّمَسُّ ثَوَابَ اللَّهِ بِحَسَنِ الْعِزَاءِ، وَالشُّكْرُ لِأَمْرِ  
اللَّهِ، وَادِّكُرْ مَصِيبَتَكَ فِي نَفْسِكَ تُنْسِكَ فَقَدْ غَيْرَكَ وَادِّكُرْ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ  
أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مَصِيبَتَهُ بِي فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ». وَادِّكُرْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»<sup>(٣)</sup> وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ

(١) معبد بن طوق العنبري: أعرابي من البصرة جَدُّ الشعر (البيان والتبيين: ج ٣، ص ٢٣١).

(٢) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: ابن عم السفاح والمنصور (البيان والتبيين: ج ٣، ص ١٣٦).

(٣) سورة الزمر: الآية ٣٠.

قَبْلَكَ الْخُلْدُ<sup>(١)</sup>. وَخُذْ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَرَاكَةَ فِي أَخِيهِ عَمْرٍو:

[الطويل]

تَفَكَّرْ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ هَالِكاً      عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو  
وَلَا تَبْكُ مَيِّتاً بَعْدَ مَيِّتٍ أَجْنَهُ      عَلَيَّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ  
قال: وهلك أخٌ لبعض الأعراب فأظهر له الشَّماتة بعض بني عمِّه، فأنشأ الأعرابي يقول:

[الكامل]

وَلَقَدْ أَقُولُ لِذِي الشَّمَاتَةِ إِذْ رَأَى      جَزَعِي، وَمَنْ يَذُقِ الْفَجِيعَةَ يَجْزَعُ  
اشْمَتَ فَقَدْ قَرَعَ الْحَوَادِثُ مَزَوَّتِي      وَأَفْرَحَ بِمَزَوَّتِكَ الَّتِي لَمْ تُفْرِعْ  
إِنْ تَبَقَ تُفَجِّعُ بِالْأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ      أَوْ تُزِدُكَ الْأَخْدَاثُ إِنْ لَمْ تُفْجَعِ  
قال: ومات بنون لامرأة تباعاً فكلمنها، فحدثتنا ساعة ثم ضحككت، فقالت لها امرأة: أتضحكين! أجنون بك أم فند<sup>(٢)</sup>! قالت: لا، وأبيك، ولكن الشر لم يجد لي مزيداً.  
قال أبو الحسن المدائني: وأنشد ابن كناسة:

[الطويل]

لَا تَجْزَعِي يَا أُمَّ زَيْدٍ فَإِنَّهُ      سَتَأْتِي الْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلِ  
فَلَوْلَا الْأَسَى مَا بَتُ فِي النَّاسِ لَيْلَةً      وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاوِبَنِي مِثْلِي  
وقال محمد بن كناسة عن خُشَّافِ الْفَقْعَسِيِّ قال: حدثتني أُمِّي قالت:  
دخلت علينا عجوزٌ للحَيِّ اسْمُهَا (بَادِيَةٌ) - وَرَحَالُ إِخْوَتِي ثَمَانِيَةٌ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ -  
فَقَالَتْ لِي: لِمَنْ هَذِهِ الرَّحَالُ؟ أَنْزَلَ بِكُمْ اللَّيْلَةَ رَكْبٌ؟ قُلْتُ: هَذِهِ رَحَالُ إِخْوَتِي.  
فَقَالَتْ: لَقَدْ وَلَدْتَ لَكَ أُمُّكَ حَزْناً طَوِيلاً. قَالَتْ: وَصَدَقْتُ بَادِيَةً، ذَهَبَتْ نَفْسِي  
عَلَيْهِمْ قِطْعاً. وَأَنْشَدَتْ:

[الكامل]

ذَهَبُوا بِنَفْسِي أَنْفُساً إِذْ فَارَقُوا      فَالْعَيْشُ بَعْدُ مُنْغَصٌّ مَذْمُومٌ  
وقال عمر بن غياث: أخبرني الثقة قال: دَفَنَ أَعْرَابِيٌّ ابْنًا لَهُ، فَلَمَّا أَجْنَهُ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

[الكامل]

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.

(٢) فند: خطأ الرأي والقول.



لَمَّا مَشَى وَرَجَوْتُهُ لِعَدِ  
وَيَكُونُ مِنْ أَغْمَامِهِ خَلْفاً  
رَشَقْتُهُ عَنْ قَوْسٍ مَنِئِيَّتُهُ  
قَدْ كَانَ يَضْرِبُ مَنْ مَضَى مَثَلاً  
مَا ذَاكَ حَتَّى ذُوتُ لَوْعَتَهُ  
وَطَمِغْتُ أَنْ يَقْوَى بِهِ أَذْرِي  
فَيَقُومَ بَعْدَ تَأْطُرِ ظَهْرِي  
فَعَدَا رَهِيْنَةً مُظْلِمِ الْقَعْرِ  
وَجَدَ التَّكْوِلَ وَكُنْتُ لَا أَذْرِي  
فَالَّذُ مِنْهَا لَوْعَةُ الصَّبْرِ

وخرج رجل مع خالد بن الوليد بدومة الجندل<sup>(١)</sup>، فاستشهد فجزع عليه أبوه فبكاه حتى كثر عليه بكاؤه، فليم في ذلك وعوتب، فقال: دُعُونِي أَبْكِي عَلَيْهِ مَا أَسْعَدَتْنِي عَيْنِي، فَإِنْ دَمَوْعَهَا سَتَنْقُدُ وَتَبْلَى كَمَا ذَهَبُ نَافِعٍ وَبَلِي. وقال يرثيه:

[الكامل]

مَا بَالُ عَيْنِي لَا تُغْمِضُ سَاعَةً  
أَزْعَى نُجُومِ اللَّيْلِ عِنْدَ طُلُوعِهَا  
يَا نَافِعاً مَنْ لِلْفَوَارِسِ أَخْجَمَتْ  
فَلَوْ اسْتَطِيعَ جَعَلْتُ مِنِّي نَافِعاً  
يَا نَافِعاً مَنْ لِلْفَوَارِسِ إِذْ ثَوَّوْا  
إِلَّا اغْتَرَثْنِي عَبْرَةً تَغْشَانِي  
وَهَنَاءَ وَهْنٍ مِنَ الْغِيَارِ دَوَانٍ  
عَنْ شِدَّةٍ مَذْكُورَةٍ وَطِعَانٍ؟  
بَيْنَ اللَّهِاءِ وَبَيْنَ عَكْدِ لِسَانِي  
فِي يَوْمٍ بُؤْسٍ أَوْ لِيَوْمٍ لِيَانٍ؟

قال أبو الحسن: حدثني كليب بن خلف عن إدريس بن حنظلة قال: أصيب عمرو بن كعب النّهدي بثُستَر مع مجزأة بن ثور<sup>(٢)</sup> فكتموا أباه الخبر ثم عَلِمَ بَعْدُ فلم يجزع وقال: الحمدُ لله الذي جعل من صُلْبِي من أصيب شهيداً وقال:

[الوافر]

فَهَلْ تَعْدُو الْمَقَادِرُ يَا لِقَوْمِي  
فَكُلًّا قَدْ لَقَيْتُ وَقَلَّبْتُني  
فَمَا أَبْقَيْنَ مِنِّي غَيْرَ نِضْوٍ  
عَرُوفٍ<sup>(٣)</sup> كَلَّمَا جَلَبَتْ قُرُوحُ  
هَلَاكَ الْمَالِ أَوْ فَقْدَ الرُّجَالِ!  
صُرُوفُ الدَّهْرِ حَالاً بَعْدَ حَالٍ  
بِهِ أَثَرُ الرِّحَالَةِ وَالْحِبَالِ  
بِهِ نُكَيْتُ بِأَعْدَالٍ تُقَالِ

(١) دومة الجندل: حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء (معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٨٧).

(٢) مجزأة بن ثور بن عفير السدوسي: شجاع فاتح صحابي جعل له عمر رئاسة بكر بن وائل وهو الذي فتح مدينة تستر وفيها قُتل (٢٠/... هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٧٩).

(٣) العُروف: الصبور.

ثم استشهد ابن له آخر يقال له «حَمَل» مع سعيد بن العاصي بجرجان فبلغه فقال: الحمد لله الذي توفي متي شهيداً. وقال:

[الطويل]

جَزَى خَمَلًا جَازِي الْعِبَادِ كَرَامَةً      وَعَمَرُوا بَنَ كَغَيْبِ خَيْرٍ مَا كَانَ جَازِيَا  
خَلِيلِيَّ وَابْنِيَّ اللَّذَيْنِ تَتَابَعَا      شَهِيدَيْنِ كَانَا عِصْمَتِي وَرَجَائِيَا  
وَمَنْ يُغْطِهِ اللَّهُ الشَّهَادَةَ يُغْطِهِ      بِهَا شَرَفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلِيَا  
وقال محمد بن كُناسة: زَوْجُ زَبَّانُ بن مَنْصُورِ الحَسَنِ بنِ عَلِي بنِ أَبِي طَالِبٍ  
خَوْلَةٌ ابْنَةُ زَبَّانٍ، فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ حَوْلًا لَا تَكْتَحِلُ وَلَا تَذْهَنُ حَتَّى وَضَعَتْ لَهُ ابْنًا،  
فَاكْتَحَلَتْ وَتَهَيَّأَتْ لَهُ. فَقَالَ لَهَا الْحَسَنُ: مَا حَمَلِكِ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَتْ: كَرِهْتُ  
أَنْ تَقُولَ النِّسَاءُ: احْتَفَلْتُ فَلَمْ تَضْنَعْ شَيْئًا. فَأَمَّا إِذَا جَاءَ هَذَا فَمَا أَبَالِي مَا كَانَ. فَقَالَ  
لَهَا الْحَسَنُ: وَآبَابِي أَنْتِ! فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ اشْتَدَّ جَزَعُهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ زَبَّانُ:

[الكامل]

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ أُمِّسٍ قَدْ جَزِعَتْ      مِنْ أَنْ تَتُوبَ نَوَائِبُ الدَّهْرِ  
لَا تَجْزَعِي يَا خَوْلُ وَاضْطَبِّرِي      إِنَّ الْكِرَامَ بُنُوا عَلَى الصَّبْرِ  
قال: وحدثني رجلٌ من بَجِيلَةَ<sup>(١)</sup> عن امرأة من بني العنبر يقال لها مَهْدِيَّةٌ،  
قال: وكان لها بنون وإخوة فهلكوا حتى بقي لها ابنٌ فمات فقالت:

[الوافر]

أُمْنِجَابَ الْأَكَارِمِ مَنْ لِرَكْبٍ      أَنَاخُوا جَنْبَةً وَدَنُوا أَصِيلًا؟  
أُمْنِجَابَ الْأَكَارِمِ عُدْ إِلَيْنَا      لِكَيْ نَشْفِيَ بِرُؤْيَاكَ الْغَلِيلَا  
كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ لِلرَّكْبِ سِيرُوا      وَلَمْ تَزَحَلْ عُذَافِرَةً ذُمُولًا<sup>(٢)</sup>  
وقال عن علي بن سليمان بن الحسن قال: الخير الذي لا شرف فيه الشكرُ  
مع العافية، والصبر عند المصيبة. فكم من مُنْعَمٍ عليه غيرُ شَاكِرٍ، ومُبْتَلَى غيرُ  
صَابِرٍ.

وقال أبو الحسن: قال جَهْمُ بنِ حَسَّانٍ: بَلَّغْنِي أَنْ تَوْسِعَةَ بنِ أَبِي عَتْبَانَ  
جَزَعَ عَلَى أَخِيهِ عُتْبَةَ فَقَالَ يَبْكِيهِ:

[الكامل]

(١) بَجِيلَةُ: حيٌّ باليمن من معد.

(٢) الْعُذَافِرَةُ: العظيم الشديد من الإبل وذمل: سار سيراً ليناً.

مَنْعَ الرُّقَادِ تَحَوُّبِي مَا أَهْجَعُ  
 أَعْتَيْبَ قَدْ كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبَ  
 فَلِمَنْ أَقُولُ إِذَا ثَلِمَ مُلِمَّةٌ  
 قَدْ كُنْتُ أَنْظُرُ فِي الْمَقَامَةِ سَادِرًا  
 وَفَقَدْتُ إِخْوَانِي الَّذِينَ بِقُرْبِهِمْ  
 نِعَمَ الْفَتَى مِنْ آلِ بَكْرِ الْبَسُوا  
 عَنْهُ وَمَا طَابَتْ بِذَلِكَ نَفْسُهُمْ  
 وَجَزَعَتْ عَلَيْهِ أُخْتُهُ عَمْرَةَ فَقَالَتْ:

وَنَبَا بِجَنْبِي عَنْ فِرَاشِي مَضْجَعُ  
 حَتَّى رَزْتُكَ وَالْجُدُودُ تَضْغَعُ  
 أَرْنِي بِرَأْيِكَ أَمْ إِلَى مَنْ أَفْرَعُ؟  
 فَنَظَرْتُ قَضْدِي وَاسْتَقَامَ الْأَخْدَعُ  
 أُعْطِي الدَّنِيَّةَ مَنْ أَشَاءُ وَأَمْنِي  
 أَثَوَابُهُ فِي اللَّحْدِ ثُمَّ تَصَدَّعُوا  
 وَلِكُلِّ جَنْبٍ لَا مَحَالَةَ مَضْرَعُ

[الكامل]

قُلْ لِلْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى قَدْ ثَوَى  
 أَوْدَى ابْنُ كُلِّ مُخَاطِرٍ بِيَلَادِهِ  
 الرَّاكِبِينَ مِنَ الْأُمُورِ صُدُورَهَا  
 فَلَتَبِكَ أَغْيُثُهَا عَلَى عَثَابِ  
 وَيَنْفُسِهِ بَقِيَا عَلَى الْأَخْسَابِ  
 لَا يَرْكَبُونَ مَعَاقِدَ الْأَذْنَابِ  
 قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: قَالَ الْهَلَالِيُّ: أَغْمِي عَلَى سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيبِ فُوجَّهُ ثُمَّ أَفَاقَ  
 فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: أَوْ لَيْسَ وَجْهِي لِلَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ حَيْثُ كَانَ!

وَقَالَ الْهَلَالِيُّ: كَانَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي،  
 فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ لَتَبْكِي عِنْدَ الْقَبْرِ بَكَاءَ مَا تَبْكِيهِ عِنْدَ شَيْءٍ! فَقَالَ:  
 نَعَمْ، إِنَّهُ آخِرُ مَنَازِلِ الدُّنْيَا وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ شَدَّدَ عَلَى صَاحِبِهِ فَمَا بَعْدَهُ  
 أَشَدُّ، وَإِنْ هُوَ عَلَى صَاحِبِهِ فَمَا بَعْدَهُ أَهْوَنُ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا  
 رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ.

وَقَالَ الْهَلَالِيُّ: لَمَّا حَضَرَتْ مَعَاوِيَةَ الْوَفَاءُ، قِيلَ لَهُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.  
 فَضَعُفَ عَنْهَا، ثُمَّ قِيلَ لَهُ فَضَعُفٌ، فَثَلَّثَ عَلَيْهِ. فَقَالَ: أَوْ لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا!

وَقَالَ الْهَلَالِيُّ: أَثْنَى قَوْمٌ عَلَى عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: يَا  
 قَوْمَ، أَمِدُّونَا بِالْدَعَاءِ، وَاعْفُونَا مِنَ الشَّاءِ.

## باب الجُفَاء عند الموت

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : ونذكر الجفأة عند الموت :

قال علي بن محمد بن علي بن مجاهد عن ابن إسحاق عن الزُّهري أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب وهو في الموت : يا عمّ، قُلْ لا إله إلا الله أشهدُ لك بها عند ربِّي . قال : يا بن أخي، لولا أن تكونُ سُبَّةً عليك بَعْدِي لأقررتُ بها عَيْنَكَ .

وقال : قال الزُّهري : مرَّ عبد الله بن مسعود<sup>(١)</sup> بأبي جهل<sup>(٢)</sup> فقال : الحمد لله الذي أخزأك يا عدوَّ الله . قال : يا بنَ أُمِّ عبدٍ، ما أخزاني الله . لستُ بأوَّلَ سبيِّ قتلته قومُه . إنَّ أشدَّ من ذلك عليَّ ألا يكونَ وليّ مني ما تريد أن تُلِيه، رجلٌ من صميم المُطَيِّبين<sup>(٣)</sup> فوضع ابن مسعود رجله على عنقه فقال : أُرْوِيْعِيَا<sup>(٤)</sup> بالأمس بمكة . لقد ارتقيت مُرتقى صعباً .

قال أبو الحسن : سئل وكيع بن الدُّورَقِيَّة<sup>(٥)</sup> : كيف قتلت عبد الله بن خازم؟ قال : قعدتُ على صدره، وغلبته بفضل فتاءٍ كان لي عليه وناديت : يا لثارات «دُوَيْلة» يعني أخاه من أمه . وكان دُوَيْلةُ أخا وكيعٍ من أمه، قتلته عبدُ الله . قال :

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي «أبو عبد الرحمن» من كبار الصحابة كان خادماً رسول الله وصاحبه ورفيقه ولي بيت مال الكوفة بعد وفاة رسول الله ﷺ وكان قصيراً جداً وكثير التَّطْيِب توفى في المدينة (٣٢ / . . . هـ) (الأعلام : ج ٤ ، ص ١٣٧) .

(٢) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي «أبو جهل» أحد سادات قريش وأبطالها في الجاهلية وأشدَّهم عداوة للنبي (٢ / - هـ) (الأعلام : ج ٥ ، ص ٨٧) .

(٣) المطيِّبون : حلف لبني عبد مناف (غمس أحلاف بني عبد مناف أيدهم في جفنة طيب عند الكعبة فسمي الحلف بالمطيين) .

(٤) الرُّويعي : تصغير الراعي .

(٥) وكيع بن عمير القريعي السعدي والدورقية أمه وهي من سبي دورق (بلدة نجوزستان) (تاريخ الطبري : ج ٧ ، ص ١٩٦) .

وكنـت طـعنـته في شـِدْقِه ، فـجـمـع ما كان في فيه من الدّم والرّيق فـتـنـخـم به ، فـمـلأ وـجـهـي وـقـال : قَبَّحَكَ اللهُ ، أَتَقْتُلُ كَبْشَ مَضَرٍّ بِأَخٍ لَكَ لَا يَسَاوِي كَفًّا نَوَى !

قال : وكان ابنُ هُبَيْرَةَ يقول : هذه والله البسالة ، لقدرته على كثرة ريقه عند الموت .

وقال عبدُ الله بن قائد: كان طريفُ بن نافع الباهلي عالماً بالنسب، فلما ثَقُلَ قال لقومه وهو في الموت: بُلِّوا فمي بماء، فعصروا في فيه ماءً بِقِطْنةٍ. ثم قال: أَجْلِسُونِي فَأَجْلِسُوهُ فَقَالَ: فُلَانٌ لَيْسَ لِأَبِيهِ الَّذِي يُدْعَى لَهُ. فَقِيلَ لَهُ: أَتَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ! فَقَالَ: خِيفْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ، ثُمَّ أَضْجَعِرُهُ فَمَاتَ.

وقال يعقوبُ بن عوفٍ عن عبد الله بن أبي بكر أنَّ بَجْرَةَ بن فراس القُشَيْرِيَّ  
 قيل له - وقد نزل به الموت - : قل لا إله إلا الله ، قال : أشهد أن أبا الزاهرية أو  
 أبا حرب نِعِمَّ الفارس كان يوم التُّخَيْل<sup>(١)</sup> ثم مات .

وقال عَوَانَةُ: قال الحَجَّاجُ لَوَازِعِ بْنِ ذُوَالَةِ الْكَلْبِيِّ: كَيْفَ قَتَلْتَ هَمَّامَ بْنَ قَبِيصَةَ الْفَزَارِيَّ؟ قَالَ: مَرَّ بِي وَالنَّاسُ مِنْهَزَمُونَ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَفُوتَنِي فَعَلَ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَصَدَنِي فَضْرَبَنِي وَضْرَبْتَهُ، وَسَقَطَ وَحَاوَلَ الْقِيَامَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، وَقَالَ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ:

[الطويل]

تَعَسَتْ ابْنُ ذَاتِ الْبَطْرِ أَجْهَزَ عَلَى امْرِئٍ  
يَرَى الْمَوْتَ خَيْرًا مِنْ فِرَارٍ وَأَكْرَمًا  
وَلَا تَشْرُكُنِي بِالْحُشَاشَةِ إِنَّنِي  
فَدَنَوْتُ مِنْهُ . فَقَالَ : أَجْهَزُ عَلَيَّ قَبْحُكَ اللَّهُ ، فَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَلِيَ هَذَا مِنِّي  
أَرْبَطُ جَاشَأً مِنْكَ . فَاحْتَرَزْتُ رَأْسَهُ فَأَتَيْتُ بِهِ مِرْوَانَ وَأَخْبَرْتَهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ : لَا تَبْعُدْ  
رَجَالَاتِ قَيْسِ !

قال أبو عبد الرحمن التميمي: جاء رجل من كلب برأس زياد بن عمرو العُقيلي إلى مروان، فقال له مروان: مَنْ قَتَلَ هَذَا؟ قال: أنا. قال: كذبت! هذا أشرف وأشجع من أن تقتله. قال: أنا، والله، قتلتَه، مَرَّ بي يعدو به فرسه وهو يقول:

[مشطور الرجز]

(١) يوم التُّخَيْل: من أيام العرب والنخيل: عين قرب المدينة.

قَدْ طَابَ وَرْدُ الْمَوْتِ مَرَوَانُ فَرِدُ لَا تَحْسِبَنَّ الْعَيْشَ أَذْنَى لِلرَّشْدِ  
لَا خَيْرَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ فِي كَبْدِ

فطعنته فسقط، ثم نزلت إليه وهو يجود بنفسه ويقول:

[السريع]

بُعْدًا وَسُخْقًا لَأَمْرِيءٍ عَاشَ فِي دُلُّ وَفِي كَفِّهِ عَضْبٌ صَقِيلُ  
وقال يزيد بن قحيف: لما قَتَلَ حَلْحَلَةُ بْنُ قَيْسٍ وَسَعِيدُ بْنُ عُيَيْنَةَ مِنْ قَتْلَا  
مِنْ «كَلْب»، رَجَعُوا إِلَى «خَيْر»<sup>(١)</sup> فَأَقَامُوا. فَلَمَّا ظَفِرَ عَبْدُ الْمَلِكِ اسْتَعْدَاهُ الْكَلْبِيُّونَ  
وَقَالُوا: دِمَاءُنَا! فَأَخَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَعِيدًا وَحَلْحَلَةَ. فَأَمَّا سَعِيدٌ فَكَانَ يَسْبُحُ  
وَيَسْتَغْفِرُ، وَأَمَّا حَلْحَلَةُ فَقَالَ: أَرْحَنَا مِنْكَ يَا بَنَ الزَّرْقَاءِ، فَلَوْ مَلَكَتْهَا مِنْكَ لَمَا  
تَرَكْتُكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ. وَقَالَ:

[الطويل]

إِنْ أَكُ مَقْتُولًا أَقَادُ بَرْمَتِي فَمِنْ قَبْلِ قَتْلِي مَا شَفَى نَفْسِي الْقَتْلُ  
وَقَدْ تَرَكْتُ حَرْبِي زُفَيْدَةً كُلُّهَا مُحَالِفُهَا فِي دَارِهَا الْجُوعُ وَالذُّلُّ  
وَمِنْ عَبْدٍ وَدٌّ قَدْ أَبْرَتْ قَبَائِلًا فَعَادَزْتُهُمْ كَلًّا يُطِيفُ بِهِ كُلُّ  
وَقَالَ أَيْضًا:

[الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ شَنِخَا فَرَاةً أَسْلَمَا لَقَدْ خَزَيْتُ قَيْسَ وَقَدْ ظَفِرْتَ كَلْبُ  
فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلًا وَخُصُّوا بِغَارَةِ بَنِي عَبْدِ وَدٍّ بَيْنَ دُومَةٍ وَالْهَضْبِ  
سَلَامٌ عَلَى حَيِّي عَدِيٍّ وَمَازِنِ جَمِيعًا وَخُصًّا بِالسَّلَامِ أَبَا وَهَبِ  
أَبُو وَهَبٍ هُوَ زَبَّانُ بْنُ مَنْظُورِ بْنِ زَبَانَ. فَقَالَ لَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُهُ «وُخْصًا بِالسَّلَامِ»  
أَبَا وَهَبٍ: رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا ثَوَابَةٍ، لَقَدْ كَفَيْتُنَا الْعَارَ وَالنَّارَ، وَأَدْرَكَتِ الثَّارُ، وَلِلْقَوْمِ  
فِينَا فَضْلٌ، فَلَمْ تَخْصُصْنَا عَلَيْهِمْ، وَقَدْ ظَلَمْتَهُمْ!  
فَلَمَّا دُعِيَ بِهِ لِيُقْتَلَ قِيلَ لَهُ: اصْبِرْ حَلْحَلُ، فَبَرَكَ وَقَالَ:

[الرجز]

أَصْبِرُ مِنْ عَوْدِ بَجَنْبِنِهِ الْجَلْبُ قَدْ أَثَرَ الْبِطَانُ فِيهِ وَالْحَقْبُ  
وَقَالَ:

[الرجز]

(١) خير: ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام (الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ)

(معجم البلدان: ج ٢، ص ٤٠٩).

أَضْبَرُ مِنْ ذِي ضَاغِطٍ عَرَكْرَكَ أَلْقَى بَوَانِي زَوْرِهِ لِلْمَبْرَكِ  
ومدَّ عنقه فقتله رجلٌ من بني عبدِ الدِّ.

وقال عَوَانَةُ وَيَزِيدُ بْنُ عِيَاضٍ إِنَّ مُسْلِمَ بْنَ عَقْبَةَ الْمُرِّيَّ<sup>(١)</sup> لَمَّا قَتَلَ أَهْلَ  
الْمَدِينَةِ وَتَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ فَنَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، بِثَنِيَّةِ هَرْشَا<sup>(٢)</sup> أَوْ بِقِفَا الْمُشَلَّلِ<sup>(٣)</sup> فَدَعَا  
حُصَيْنَ بْنَ ثُمَيْرِ السَّكُونِيَّ<sup>(٤)</sup> فَقَالَ: يَا بَرَزْدَةَ الْحِمَارِ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدَ إِلَيَّ إِنْ  
نَزَلَ بِي الْمَوْتُ أَنْ أَوْلِيَّكَ، وَأَكْرَهُ خِلَافَةً عِنْدَ الْمَوْتِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ الْوَالِي  
حُبَيْشُ بْنُ دَلْجَةَ<sup>(٥)</sup> فَإِنَّهُ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ. احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ: لَا تُطِيلَنَّ  
الْمَقَامَ بِمَكَّةَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ جَرْدَةٍ مُحْتَدِمَةٍ لِحَرٍّ، وَلَا تَصْلُحْ الدَّوَابُّ بِهَا، وَلَا تَمْنَعُ  
أَهْلَ الشَّامِ مِنَ الْحُمَلَةِ، وَلَا تُمَكِّنْ قَرِيشاً مِنْ أَذْنِكَ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خُدَّعٌ. لِيَكُنْ أَمْرُكَ  
الْوَقَافُ ثُمَّ الثَّقَافُ ثُمَّ الْإِنْصِرَافُ. وَلَمَّا دَخَلْتُ النَّارَ بَعْدَ قَتْلِي أَهْلَ الْحَرَّةِ إِنْني إِذَنْ  
لَشَقِيٌّ.

وقال عثمان بن الضحَّاك عن ذُكْوَانَ - مولى مروان - قال: بعث يزيد بطبيب  
إلى مسلم فقال مُسْلِمٌ للطبيب: وَيَحْلِكُ، إِنَّمَا كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى حَتَّى أَشْفِيَ  
نَفْسِي مِنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ، وَقَدْ أَدْرَكْتُ مَا أَرَدْتُ. فَمَا شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى  
طَهَارَتِي قَبْلَ أَنْ أُحْدِثَ حَدَثًا. فَإِنِّي لَا أَشْكُ فِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ طَهَّرَنِي مِنْ ذُنُوبِي  
بِقَتْلِ هَؤُلَاءِ الْأَرْجَاسِ.

وقال ابن جُغْدَبَةَ: قَالَ مُسْلِمُ بْنُ عَقْبَةَ وَهُوَ بِالْمَوْتِ لِحُصَيْنِ بْنِ ثُمَيْرٍ: إِنَّكَ  
تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ لَا عُدَّةَ وَلَا سِلَاحَ لَهُمْ: جِبَالٌ مُشْرِفَةٌ عَلَيْهِمْ، فَاَنْصِبْ عَلَيْهِمُ  
الْمَنْجَنِيْقَ فِي مَوْضِعَيْنِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَإِنْ تَعَوَّذُوا بِالْبَيْتِ فَارْزِمِهِ، فَمَا أَقْدَرَكَ عَلَى بِنَائِهِ.  
وَمَاتَ.

(١) مسلم بن عقبة بن رباح المرِّي «أبو عقبة» قائد أموي قاس شهد صفين مع معاوية وهو صاحب الحرَّة  
فأسرف قتلاً ونهباً فسمي مسرفاً، مات في الطريق إلى مكة متوجهاً لحرب ابن الزبير في موضع اسمه  
المشلل ثم نبش قبره وصلب في مكان دفنه (٦٣ - ٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٢٢٢).

(٢) هَرْشَا: ثنية في طريق مكة.

(٣) قفا المشلل: جبل من ناحية البحر يهبط إلى قُدَيْد (معجم البلدان: ج ٥، ص ١٣٦).

(٤) حُصَيْنُ بْنُ ثُمَيْرِ بْنِ نَاضِلِ الْكِنْدِيِّ ثُمَّ السَّكُونِيَّ «أبو عبد الرحمن» قائد من القساة الأشداء حمصي  
حاصر عبد الله بن الزبير بمكة ورمى الكعبة بالمنجنيق قتل مع ابن زياد قرب الموصل (٦٧/٠٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٢٦٢).

(٥) حُبَيْشُ بْنُ دَلْجَةَ الْقِنِي: من قادة الجيوش الأموية شهد صفين مع معاوية وولي جيشاً لمروان لفتح  
المدينة قتل في الربرة بسهم (٦٥/٠٠٠ هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ١٦٧).

وقال حمزة بن إبراهيم بن مُضَرَّس: قيل لرجل من بني قُرَيْع: قل لا إله إلا الله وَقَدّْم خيراً فقال:

[البسيط]

يَا رَبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ لَغِبَتْ      كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ  
ومات في ساعته.

وقال عبدة العُثْرِيّ: قيل لعبد الله بن شعبة بن القَلْعَم<sup>(١)</sup>: لو قَدَمْتَ لنفسك خيراً، فقال لبنيه: يا بني إِنْ قَوْمًا يَقُولُونَ لَكُمْ بعدي: اقضُوا دَيْنَ أَبِيكُمْ عنه، فلا تفعلوا، فَإِنْ لأبيكم ذنوباً كُلُّهَا أعظمَ من الدَّيْنِ. اللَّهُمَّ، إِنْ تَغْفِرَ جَمًّا. فبكت امرأته، فقال: لا تُعْصِرِي عَيْنِكَ عَلَيَّ، وإذا مَثُّ فاركبي بغلاً قوياً وطوفي اليمن وانظري أطولَ بني تميم رَقَبَةً فتزوّجيه. فلما هلك تزوجها أبو شيخ بن العرق الفقيمي.

وقال: لما حضرت لبید بن ربيعة الوفاة قال لبني عمه: أسمعوني كيف تبكون علي. فقال رجال منهم أشعاراً لم يرضها، فقال بعضهم:

[الطويل]

لَتَبْكُ لَبِيداً كُلُّ قَدَرٍ وَجَفْنَةٍ      وَتَبْكُ الصَّبَا مَنْ فَادَ وَهُوَ حَمِيدُ  
ولما حضرت الفرزدق الوفاة قال لأهله ومن اجتمع إليه من قومه:

[الوافر]

أُرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي      إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنِ الْعِتَابِ  
إِلَى مَنْ تَفَرَّغُونَ إِذَا حَثِيْتُمْ      بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ الثَّرَابِ  
فقالت مولاته له: إلى الله. فقال: وَأَنْتِ تعيشين في مالي؟ امحوا اسم الخبيثة من الوصية.

وقال المدائني: لما هلك الأحوص بن محمد بن عبد الله بن ثابت الأنصاري<sup>(٢)</sup> كان آخر ما قال، ورأسه في حجر جارية له يقال لها بُشْرَة:

[الطويل]

---

(١) عبد الله بن شعبة بن القلعم أبوه نسابة ذو لسان وجواب وعارضة وكان وصافاً فصيحاً وإخوته عمر وخالد وهم على صفته (البيان والتبيين: ج ١، ص ٢١٤).

(٢) الأحوص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري: شاعر هجاء كان حماد الراوية يفضلته في النسب على شعراء زمانه توفي بدمشق (-/١٠٥ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ١١٦).



مَا لِجَدِيدِ الْمَوْتِ يَا بُشْرُ لَذَّةٌ      وَكُلُّ جَدِيدٍ تُسْتَلَذُّ طَرَائِفُهُ  
فَلَا ضَيْرَ إِنَّ اللَّهَ يَا بُشْرُ سَائِقِي      إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ تَكُونُ خَلَائِفُهُ  
فَلَسْتُ وَإِنْ عَيْشٌ تَوَلَّى بِجَانِعٍ      وَلَا أَنَا مِمَّا حَمَلَ الْمَوْتُ خَائِفُهُ  
وَقَالَ عَوَانَةُ: لَمَّا حُضِرَ بِأَخْرَةِ قَيْلٍ لَهُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: قَدْ بَلَغَ الْأَمْرَ  
إِلَى هَذَا؟

وَقَالَ مُعَلَّسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيِّ: كُنْتُ بِسَابَاطٍ<sup>(١)</sup> فَسَمِعْتُ غَلَامًا يَصِيحُ  
وَاسَيِّدَاهُ! يَعْنِي نَوْفَلَ بْنَ صَالِحٍ مَوْلَى بَنِي جَعْفَرٍ، فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ.  
فَقُلْتُ: أَبَا صَالِحٍ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَأَبَى وَقَالَ:

[الطويل]

أَيَا وَيْحَ نَفْسِي حَسْبُ نَفْسِي الَّذِي بِهَا      وَيَا وَيْحَ أَهْلِي مَا أُصِيبَ بِهِ أَهْلِي  
فَقُلْتُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَأَبَى، وَجَعَلَ يَرُدُّ هَذَا الْبَيْتَ حَتَّى قُبِضَ.

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ<sup>(٢)</sup>: لَمَّا حَضَرَتْ أَخَا الْأَبَحِّ الْكَنْدِي الْوَفَاةُ قِيلَ لَهُ:  
قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ جَعَلَ يَتَقَلَّبُ عَلَى جَنْبِهِ وَيَقُولُ:  
وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الْمَدَنِيُّ وَغَيْرُهُ: إِنَّ سَالِمَ ابْنَ دَارَةَ<sup>(٣)</sup> - وَهِيَ أُمُّهُ، وَأَبُوهُ  
مُسَافِعُ بْنُ عُقْبَةَ، مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطْفَانَ - وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زُمَيْلِ ابْنِ أُمِّ دِينَارٍ<sup>(٤)</sup>  
- وَأَبُوهُ أَبِيرٌ، مِنْ بَنِي فِزَارَةَ - شَرٌّ، فَضْرِبُهُ، فَجَرَحَهُ أَبِيرٌ، فَأَدْخَلَ الْمَدِينَةَ، وَحُمِلَ  
إِلَى عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، فَأَمَرَ عَثْمَانُ الطَّبِيبَ فَنَظَرَ مَا مَبْلَغُ جُرْحِهِ ثُمَّ أَمَرَهُ فِدَاوَاهُ،  
فَأَفَاقَ مِنْ وَجَعِهِ، فَدَسَّتْ أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ - وَهِيَ امْرَأَةُ عَثْمَانَ - إِلَى  
الطَّبِيبِ دِينَارِينَ. وَقَالَ قَوْمٌ: بَلْ أَعْطَاهُ ذَلِكَ مَنْظُورُ بْنُ سَيَّارٍ<sup>(٥)</sup> فَسَمَّ جُرْحَهُ،  
فَانْتَقَضَ فَقَالَ لِأَبِيهِ وَهُوَ بِالْمَوْتِ يَحْضُهُ عَلَى قَتْلِ مَنْظُورٍ:

[البسيط]

(١) سَابَاط: موضع بالمدائن معروف (معجم البلدان: ج ٣، ص ١٦٦).

(٢) يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ: تقدمت ترجمته.

(٣) سَالِمُ بْنُ مُسَافِعِ بْنِ يَرْبُوعٍ: شاعر مخضرم هجا بني فِزَارَةَ فقتله زُمَيْلُ الْفَزَارِيِّ (البيان والتبيين: ج ١، ص ٣٨٩).

(٤) زُمَيْلُ ابْنِ أُمِّ دِينَارٍ: أحد بني مازن بن فِزَارَةَ مخضرم.

(٥) مَنْظُورُ بْنُ زَبَّانَ بْنِ سَيَّارِ الْفَزَارِيِّ: صحابي وشاعر مخضرم تزوج مليكة امرأة أبيه ففرق بينهما أبو بكر عاش إلى زمن عثمان (٢٥/... هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ٣٠٨).

أُبْلِغَ أَبَا سَالِمٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً      فَلَا تَكُونَنَّ أَذْنَى الْقَوْمِ لِلْعَارِ  
لَا تَأْخُذَنَّ مِثْلَ مِثِّي مُكَمَّلَةً      وَإِنْ أَتَاكَ بِهَا تُخْدَى ابْنُ عَمَارِ  
لَوْ كَانَ زَيْدٌ هُوَ الْمَقْتُولَ لَا عَتَرَفُوا      وَسَطَ الدِّيَارِ غُلَاماً غَيْرَ عَوَارِ  
ومات من يومه . فقال أبوه : إن ابني عَقَنِي فِي حَيَاتِهِ ، وَكَلَّفَنِي تَعَباً بَعْدَ  
مَوْتِهِ .

وقال أبو الحسن - قال أبو العباس : وَحَدَّثَنِي أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ وَحَدَّثَ بِهِ  
أَبُو الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ - قَالَ : قِيلَ لَامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ : أَوْصِي -  
فَحَدَّثَنِي أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ أَنَّهَا قَالَتْ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَوْصِي . قِيلَ : إِنْ لَكَ فِي ذَلِكَ  
لَأَجْراً ، قَالَتْ : مَنْ الَّذِي يَقُولُ :

[الوافر]

لَعَمْرُكَ مَا رِمَاخُ بَنِي نُمَيْرٍ      بِطَائِشَةِ الصُّدُورِ وَلَا قِصَارِ  
قالوا : زِيَادُ الْأَعْجَمِ ، قَالَتْ : وَمَنْ هُوَ؟ قَالُوا : مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ قَالَتْ : فَتُلْثِي  
لِبَنِي نُمَيْرٍ .

وقال أبو الحسن عن كليب بن - نلف قال : مَرَضْتُ عَجُوزٌ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ  
فَأَتَوْهَا بِعَطَاءِ ابْنِهَا ، وَكَانَ غَائِباً ، فَقَالُوا : هَذَا عَطَاءُ ابْنِكَ ، وَقَدْ نَقَصْنَاهُ دَرَاهِمِينَ .  
قَالَتْ : وَلِمَ؟ قَالُوا : قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي سَلُولٍ ، فَحَمَلْنَا الدِّيَّةَ  
شَيْئاً تَرْضَاؤُهَا بِهِ ، فَتَنَاولَتْ دَرَاهِمِينَ آخَرِينَ فَأَلْقَتْهُمَا إِلَيْهِمْ وَقَالَتْ : قُولُوا لَهُ يَقْتُلْ  
آخَرَ ، وَادْفَعُوا هَذَيْنِ فِي الدِّيَةِ ، فَضَحِكُوا وَخَرَجُوا ، فَمَا غَابُوا حَتَّى مَاتَتْ .

وقال عوانة : قِيلَ لِلْحُطَيْئَةِ عِنْدَ مَوَاهٍ : لَكَ مَالٌ فَأَوْصِ مِنْهُ لِلْمَسَاكِينِ . قَالَ :  
بَلْ أَوْصِيهِمْ بِالْحَافِ الْمَسْأَلَةِ . قِيلَ : فَأَعْتَنِي غِلَامَكَ «سَيَّار» . قَالَ : هُوَ عَبْدٌ مَا بَقِيَ  
عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ عَبْسِي . قِيلَ : فَأَوْصِ فَإِنَّ لَكَ بَنَاتٍ . قَالَ : مَالِي كُلُّهُ لِلذَّكَورِ  
دُونَ الْإِنَاثِ . قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ لَمْ يَقُلْ هَكَذَا . قَالَ : لَكِنِّي أَقُولُهُ . وَأَوْصِيكُمْ  
بِالْأَيْتَامِ شَرّاً ، كُلُوا أَمْوَالَهُمْ ، وَانكِحُوا أُمَّهَاتَهُمْ ، وَاحْمِلُونِي عَلَى حِمَارٍ ، فَلَعَلِّي لَا  
أَمُوتُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ عَلَيْهِ كَرِيمٌ قَطُّ ، وَوَيْلٌ لِلشَّعْرِزِ مِنْ رَاوِيَةِ السُّوءِ .

وقيل له وهو يجود بنفسه : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَتَمَثَّلَ قَوْلَ الشَّمَاخِ<sup>(١)</sup> :

[الطويل]

(١) الشَّمَاخُ بْنُ ضَرَّارِ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ سَنَانَ الْمَازِنِيِّ الذَّبْيَانِيِّ الْغُطَفَانِيِّ : شَاعِرٌ مَخْضَرُمٌ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ  
كَانَ أَرْجَزَ النَّاسِ عَلَى الْبَدِيَّةِ تَوَفَّى فِي غَزْوَةِ مَوْقَانَ ( . . . / ٢٢ هـ ) (الأعلام : ج ٣ ، ص ١٧٥) .

فَظَلْتُ بِيَمُودٍ<sup>(١)</sup> كَأَنَّ عُيُونَهَا إِلَى الشَّمْسِ هَلْ تَذْنُو رُكْبِي نَوَكِرًا

وقال أبو الحسن عن أبي خَيْرَانَ الحِمَّانِي<sup>(٢)</sup> عن عَوْفِ الأَعْرَابِيِّ عن أَبِي رَجَاءِ العُطَارِدِيِّ قال: رَأَيْتُ رَجُلًا مُضْطَلَمَ الأُذُنِ فَقُلْتُ: أَخِلَقَةُ أَمْ حَادِثٌ؟ قَالَ: بَلْ حَادِثٌ. بَيْنَا أَنَا يَوْمَ الْجَمَلِ أَجُولُ فِي القَتْلِ، مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ يَنْشُدُ:

[الطويل]

لَقَدْ أَوْرَدْتُنَا حَوْمَةَ المَوْتِ أُمْنَا      فَمَا صَدَرَتْ إِلَّا وَتَحْنُ رِوَاءُ  
أَطْعَمْنَا قُرَيْشًا ضِلَّةً مِنْ حُلُومِنَا      وَنُضِرْتُنَا أَهْلَ الحِجَازِ عَنَاءُ  
لَقَدْ كَانَ عَنْ نَضْرِ ابْنِ ضَبَّةٍ أُمُّهُ      وَشِيعَتُهَا مَنْدُوحَةٌ وَغَنَاءُ  
أَطْعَمْنَا بَنِي تَيْمٍ بِنَ مُرَّةٍ شِقْوَةٌ      وَهَلْ تَنِيْمُ إِلَّا أَغْبُدُ وَإِمَاءُ  
فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَذُنٌ مِنْي أَخْبِرُكَ. فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَأَزَمَ بِأُذُنِي فَقَطَعَهَا  
وَقَالَ: إِذَا أُتِيتَ أَمَّكَ فَأَخْبِرْهَا أَنَّ عُمَيْرَ بْنَ الأَهْلَبِ فَعَلَ ذَلِكَ بِي، وَمَاتَ.

وقال أبو الحسن عن عامر بن حفص قال: بلغني أَنَّ رجلاً من بني الهَجِيمِ قال وهو بالموت:

[الرجز]

كَيْفَ تَرَانِي وَالمَنَايَا تَغْتَرِكُ      تَنْهَضُ أَخْيَانًا وَحِينًا تَبْتَرِكُ  
وقال أبو الحسن عن عامر بن الأسود: ثَقُلَ وَكَيْعُ بْنُ أَبِي سُودٍ<sup>(٤)</sup> فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ عَدِيٌّ بْنُ أَزْطَاةٍ<sup>(٥)</sup> - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَمِيرُ البَصْرَةِ - مِنْ دَارِ الإِمَارَةِ، فَقَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا المُطَرِّفِ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ وَثَابًا جَرِيًّا، فَضَحَكَ عَدِيٌّ وَرَجَعَ. فَمَا جَلَسَ حَتَّى سَمِعَ الوَاعِيَةَ عَلَيْهِ.

وقال حمزة بن إبراهيم: قَالَ لَبَطَةُ بْنُ الفَرَزْدَقِ: لَمَّا ظَنَّنَا أَنَّ أَبِي قَدْ احْتَضَرَ بَكَيْنًا حَوْلَهُ، فَفَتَحَ عَيْنِيهِ ثُمَّ قَالَ: أَعْلِيٌّ تَبْكُونُ؟ فَقُلْنَا: أَفَعَلَى ابْنِ المَرَاغَةِ نَبْكِي؟ قَالَ: أَوْ هَا هُنَا مَوْضِعُ ذِكْرِهِ؟ ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ:

[الوافر]

(١) يمُود: وادٍ لغطفان.

(٢) الرُّكْبِي: الآبار والنواكز: الغوائر.

(٣) هو أبو الحسن علي بن خيران الحِمَّانِي.

(٤) وكيع بن أبي سُود: سَفَاكُ عَاشٍ فِي زَمَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (البيان والتبيين: ج ٣، ص ١٨٢).

(٥) عَدِيٌّ بْنُ أَزْطَاةٍ الفَزَارِيُّ «أَبُو وَائِلَةَ»: أَمِيرُ دِمَشْقِي تَوَلَّى لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ البَصْرَةَ، قَتَلَهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ المَهْلَبِ بِوِاسِطِ (-/١٠٢ هـ) (الأعلام: ج ٤، ص ٢١٩).

إِذَا مَا دَبَّتِ الْأَتَقَاءُ فَوْقِي      وَصَاحَ صَدَى عَلَيَّ مَعَ الظَّلَامِ  
لَقَدْ شِمِثْتُ أَعَادِيكُمْ وَقَالَتْ      أَدَانِيكُمْ مِنْ أَيْنَ لَنَا الْمُحَامِي؟

وقال أبو الحسن عن كليب بن خلف قال: قال وكيع بن أبي سُود عند موته لأهله وولده: إني إذا ميت جاءكم قومٌ قد سَوَّدُوا جباهَهُمْ، ونشروا لُحاهم، وعرضوا نعالهم، يقولون إن على أبيكم دَيْنًا فاقضوه، فلا تقضوا عني شيئاً، فإنَّ على أبيكم من الذنوب ما إن غفرها الله فالَّذِينَ من أيسرها.

قال أبو الحسن عن عامر بن الأسود قال: قيل لأبي السفاح بُكير بن مَعْدَان أَوْصِ، قال: إِنَّا الْكَرَامُ يَوْمَ طَخْفَةَ<sup>(١)</sup>. قالوا: إنك في الموت فقل خيراً وَتَشْهَدْ. قال: غلامي إذا مات فهو حرّ.

قال أبو الحسن: قال دُحَيْم<sup>(٢)</sup> وهو بالموت:

[الرجز]

نَذَّ وَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَادَتْ تَرِدُ      قَدْ كُنْتُ ذَا أَزْرِ شَدِيدِ الْمُغْتَمَذِ  
وَكُنْتُ ذَا شَغَبٍ عَلَى الْخَضَمِ الْأَلَدِ      قَدْ جَاءَ قِرْنٌ لَيْسَ بِالْقِرْنِ يُرَدُ  
ثم هلك.

قال أبو الحسن: قيل لرجل وهو مريض: قل لا إله إلا الله. فقال: لم يَأْنِ لذلك بَعْدُ.

وقيل لِهَرَمِ بْنِ حَيَّان<sup>(٣)</sup>: أَوْصِ. فقال: صَدَقْتَنِي فِي الْحَيَاةِ نَفْسِي، مَا لِي مَالٌ أَوْصِيكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ أَوْصِيكُمْ بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وأخبر أبو الحسن عن شعبة بن عبد الله الأنصاري قال: عَزَى إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ رَجُلًا عَنْ ابْنِهِ فَقَالَ: لَا يَنْقُصُ اللَّهُ عِدَّتَكَ، وَلَا يُزِلْ نِعْمَةً عَنْكَ، وَعَجَّلَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْخَلْفِ خَيْرًا مِمَّا رُزِيتَ بِهِ.

وعَزَى آخَرُ رَجُلًا فَقَالَ: إِنَّ فِيمَا عَوَّضَكَ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ خَيْرًا مِمَّا فَجَعَلَكَ بِهِ مِنَ الرِّزْيَةِ.

(١) يوم طَخْفَةَ: يوم بُنِيَ يَرْبُوعٌ عَلَى قَابُوسِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ.

(٢) عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو الأموي «أبو سعيد» محدث الشام ولي قضاء الأردن وفلسطين وفيها توفي (١٧٠ - ٢٤٥ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٢٩٢).

(٣) هرم بن حيان العبدي الأزدي: قائد فاتح وناسك مات في إحدى غزواته (٢٦٠ هـ) (الأعلام: ج ٨، ص ٨٢).

وقيل لأعرابية: ما أحسنَ عزاءكِ عن ابنك! فقالت: إِنَّ فُقدانيه أَمَنني من المصائب بعده.

وقال: أخبرني سعيدٌ عن رجلٍ منهم قال: خرجتُ إلى اليمن فنزلتُ على امرأةٍ منهم، فرأيتُ مالاَ كبيراً ورقيقاً وولداً وحالاً حسنة، فأقمتُ حتى قَضيتُ حاجتي. فأردت الرحيل فقلتُ لها: أَلَك حاجة؟ قالت: نَعَمْ، كلماَ نزلتُ هذه البلاد فأنزلُ عليّ، فغبرثُ أعواماً، ثم أتيتُ اليمنَ، فأُتيتُ منزلَ المرأةِ فإذا حالتها قد تغيرت، وذهب رقيقها، ومات ولُدها، وباعت منزلها، وإذا هي مسرورة بحالها، ضاحكة. فقلت: أَتضحكين مع ما قد نزل بك؟ قالت: يا عبد الله، كنتُ في حال النعمة وَليَ أحزانٌ كثيرة، فعلمتُ أن ذلك من قِلَّة الشُّكر، فأنا اليوم في هذه الحال أضحكُ شكراً لله على ما أعطاني من الصَّبْر. فقلت لعبد الله بن عمر: ما رأيتُ منها؟ فقال: ما كان صبرُ أيوب النبي عليه السلام إلى هذه بشيء.

وقال سفيان<sup>(١)</sup>: شكَا الرِّبيع بن أبي راشد إلى مُحارب بن دِثَار<sup>(٢)</sup> إبطاءَ خبر أخيه جامع. فقال له محارب: إن لم تكن وَطَّئتَ نفسك على فِراق جامع فأنت عاجز.

وقال محمدُ بن أبي محمد: بلغني أن الإسكندرَ مرَّ بمدينةٍ قد مَلَكَها أملاكٌ سبعة، وبادوا. فقال: هل بقي من نَسُلِ الأملاك الذين مَلَكَوا هذه المدينة أحدٌ؟ قالوا: رجلٌ يكون في المقابر. فدعا به فقال: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ قال: أردتُ أن أغزَلَ عظامَ الملوك من عظام عبيدهم، فوجدت ذلك سواءً. قال: فهل لك أن تتبَعني فأحييَ بك شرفَ آبائك إن كانت لك هَمَّةٌ؟ قال: إن هَمَّتي لعظيمة إن كانت بُغيتي عندك. قال: وما بغيتك؟ قال: حياةٌ لا موتَ فيها، وشبابٌ لا هرمَ معه، وغنىٌ لا يَتبعهُ فقرٌ، وسرورٌ لا يُغيِّرُه مكروه. قال: ما أَقدِرُ على هذا. قال: فامضِ لشأنك، وَخَلِّني أَطْلُبُ بُغيتي مِمَّن هي عنده. فقال الاسكندر: هذا أَحْكَمُ من رأيتُ.

وقال عبد الله بن عباس: ما قيلَ لِقَوْمٍ قَطُّ طوبى لهم إلاَّ خَبَأَ لهم الدهر يومَ شَرٍّ، فالصبر خيرٌ مَعْبَةٌ.

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي: فقيه حافظ محدث زاهد توفي (٩٨ - ١٦١ هـ) (تهذيب التهذيب: ج ٤، ص ١١١).

(٢) مُحارب بن دِثَار بن كردوس السدوسي الشيباني الكوفي «أبو المطرَف» قاضي الكوفة كان فقيهاً فاضلاً زاهداً شجاعاً حسن السيرة ومن المرجَّنة عزل عن القضاء وأعيد حتى توفي (١١٦/٠ هـ) (الأعلام: ج ٥، ص ٢٨١).

وتحدّث أبو الحسن المدائني قال: قال بَغْثُرُ بن لَقِيْطِ بن خالد بن نُضْلَةَ  
الْفَقْعَسِيِّ - وهلك ابنه طُعْمَة، فورثه بُزْدَيْن فلبسهما وأنشأ يقول:

[الطويل]

كَسَانِي ثَوْبِي طُعْمَة الْمَوْتُ إِنَّمَا التُّ      رَاثُ وَإِنْ عَزَّ الْحَبِيبُ الْغَنَائِمُ  
إِذَا نَفَحَتْ رِيَاهُمَا الرِّيحُ نَفْحَةً      أَيْبَتْ كَأَنِّي غَضَّةُ الطَّرْفِ رَائِمُ  
يقول: أَيْبَتْ أَحْنُ كالناقة الرّائم حنيناً إلى ابني. والرائم: الناقة يفارقها  
ولدها فيُحشَى جِلْدُ فصِيلٍ تَبْنًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَيُلَطَّخُ بشيء من سَلاهَا<sup>(١)</sup> وتحشى  
غِمَامَةً في أنفها، وتُجْعَلُ دُرْجَةً في حياتها، فتفتح عينها، وذلك الجلد مَحْشُوٌّ كأنه  
خرج منها، ورائحة السّلا فيه، وتُنَزَّرُ الغِمَامَةُ من أنفها فتجدُ لذلك رائحة، فكأنّها  
قد وَلَدَتْ، فإذا تَشَمَّمَتْ ذلك الولد فقد رَأَمَتْه، فينزل اللبن، فكأنهم خدعوها عن  
لبنها.

وقال شُعَيْب بن صفوان: كان لِحَضْرَمِي بن عامرٍ الأَسَدِيِّ<sup>(٢)</sup> إخوةٌ  
فهلَكُوا، فَوَرِثَ أموالهم، فراح ذات يوم في بُزْدَيْن له، فنظر إليه رجلٌ من قومه  
يقال له جَزْءُ بن فاتك، فقال له: لقد أَمْسَيْتَ يا حضرمي جَذْلَان، فأنشأ يقول  
وَجَزَع:

[المنسرح]

يَقُولُ جَزْءٌ وَلَمْ يَقُلْ جَلًّا      إِنِّي تَرَوَّخْتُ نَاعِمًا جَذْلًا  
إِنْ كُنْتُ أَزْنَيْتُنِي بِهَا كَذِبًا      جَزْءٌ فَلَا قَيْتَ مِثْلَهَا عَجَلًا  
أَفَرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِرَامَ وَأَنْ      أَوْرَثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا نَبَلًا؟  
إِنَّ الذَّوْدَ: القليل من الإبل. يقال: «إِنَّ مِنَ الذَّوْدِ إِلَى الذَّوْدِ إِبِلٌ»  
وَالشَّصَائِصُ: المهازِيلُ العِجَافُ، والنَّبَلُ: يقول أصحاب الغريب إنها الحقيرة،  
وإنها من الأضداد.

كَمْ كَانَ فِي إِخْوَتِي إِذَا اشْتَمَلُ      الْأَبْطَالُ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ الْأَسْلَا  
مِنْ فَارِسٍ مَاجِدٍ أَخِي ثِقَّةٍ      يُعْطِي جَزِيلًا وَيَقْتُلُ الْبَطْلَا  
وقال حَرْب - وذكر المَعْمَرَيْن -: عاش دُوَيْدُ التَّهْدِيّ أَرْبَعَ مِائَةِ سَنَةٍ، فقال

(١) السّلى: جلدة يكون الولد فيها في بطن أمه.

(٢) حَضْرَمِي بن عامر بن مجمع الأَسَدِيِّ «أبو كدام» صحابي من خزيمة شاعر وفارس (-/١٧ هـ)  
(الأعلام: ج ٢، ص ٢٦٣).

لولده وأهله حين نزل به الموت: أوصيكم بالناس شراً، طَغْنَا لَزًّا، وضرباً أَرَّا،  
اقصِّروا الأعنة، وأطيلوا الأسنة، وازعوا الكلاً. ثم قال:

[مشطور الرجز]

الْيَوْمَ يُبْنَى لِذُوَيْدَ بَيْتُهُ      يَا رَبِّ نَهَبَ حَسَنَ حَوَيْثُهُ  
وَمَغْصَمٍ ذِي بُرَّةٍ لَوَيْثُهُ      لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَيْثُهُ  
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِداً كَفَيْثُهُ

وقال عُرْوَةُ بْنُ سُلَيْمٍ: دخلتُ على رجلٍ من الأَحَامِرَةِ<sup>(١)</sup> بالكوفة، وعنده  
جماعة من أهله وغيرهم، فقالوا: قل لا إله إلا الله، فأعرض بوجهه، فأعادوها  
عليه مراراً، فقال: أخبروني عن أبي طالب أقالها؟ قالوا: وما أنت وأبو طالب؟  
قال: لا أرغب بنفسِي عنه.

وقال سلام بن أبي خيرة: ضربت الخوارج بكراً الطاحي ققطعه بالسيوف،  
فدخل عليه قوم يعودونه وعنده رجال ونساء، فقالوا له: ليس عليك بأس، فقال:

[الطويل]

عَنَاءٌ قَلِيلٌ عَن بُكَيْرِ بْنِ وائِلٍ      تَرْمُزُ أَشْتَاهِ الْإِمَاءِ الْعَوَائِدِ

---

(١) الأحامرة: قوم من العجم نزلوا البصرة واستقروا بالكوفة.

## باب من تكلم في مرضه بشيء حكى عنه

قال أبو الحسن: حدثني رجل من بني كنانة من أهل المدينة قال: مَرَضَ بلالٌ - مؤذُنُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فعادَهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر الصديق، فقال بلال<sup>(١)</sup>:

[الرجز]

جاءَكَ مَوْلَاكَ مَعَ الرَّسُولِ      ذَاكَ هَدَى اللَّهُ بِهِ سَبِيلِي  
فَلَمْ أَدِنْ دِينَ أَبِي عَقِيلٍ      وَلَا بِدَيْنِ الْأَسْوَدِ الضُّلُولِ

وقال أبو الحسن عن غياث بن إبراهيم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - قال أبو العباس: وحدثني به ابن عائشة وأبو عمر الجرمي<sup>(٢)</sup> ورسمه واحد قال: لما قَدِمَ المهاجرون المدينة وعُكُوا - وابنُ عائشة والجرمي يقولان: اجْتَوَوْهَا<sup>(٣)</sup>، وكانت أشدَّ أرض الله حُمَى. - قالت عائشة: فقال لي رسول الله ﷺ: اذهبي فانظري كيف أبوك وعمك، فدخلتُ على أبي بكر فقلت: يا أبتاه كيف تجدك؟ فقال:

[الرجز]

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ      وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

ثم دخلتُ على بلال فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

[الطويل]

(١) بلال بن رباح الحبشي «أبو عبد الله» مؤذن رسول الله ﷺ وخازن بيت ماله أحد السابقين إلى الإسلام شهد كل المشاهد مع رسول الله ﷺ ولم يؤذن بعده خرج مع بعوث الشام وتوفي في دمشق (٢٠/هـ) (الأعلام: ج ٢، ص ٧٣).

(٢) صالح بن إسحاق الجرمي النحوي «أبو عمر» كان فقيهاً عالماً باللغة والنحو ديناً ورعاً ونسبته إلى جُزَمِ اسم قبائل (وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٤٨٥).

(٣) الجوى: المرض وداء الجوف إذا تطاول.



أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً      بِفَخٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرَ وَجَلِيلٌ<sup>(١)</sup>  
وَهَلْ أَرَدَنَ يَوْمًا مِياهَ مَجْنَّةٍ      وَهَلْ يَبْذُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ<sup>(٢)</sup>  
قالت: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ:  
وَأَبَا جَهْلٌ بْنُ هِشَامٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا  
الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ، وَانْقُلْ وَبَاءَهَا إِلَى الْجُحْفَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث ابن عائشة وأبي عمر: «اللَّهُمَّ، الْعَنْ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ  
وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ. وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبَ  
إِلَيْنَا مَكَّةَ وَأَكْثَرَ، وَانْقُلْ مَا بَهَا مِنَ الْوَبَاءِ إِلَى مَهْيَعَةَ»، وهي «الجُحْفَةُ». قال: فجاء  
أهل الجُحْفَةُ يَضْجُونَ مِنَ الْحُمَى.

قالت: ودخلت على عامر بن فهيرة فقلت: يا عَمَّ، كيف تجدك؟ فقال:  
[مشطور الرجز]

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ

قال: وأنشدنا ابن عائشة:

وَالْمَرءُ يَأْتِي حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ

وقال أبو الحسن:

إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ      كُلُّ امْرِئٍ مُقَاتِلٌ عَنْ طَوْقِهِ  
كَالثَّوْرِ يَخْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ

قال أبو الحسن: مَرَضَ حَسَّانُ بْنُ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيُّ<sup>(٤)</sup> وَمَنْظُورُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو  
بَنِي عَبْدِ وَدٍّ، مِنْ كَلْبٍ، مَرَضًا شَدِيدًا، فَعَادَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ  
عِنْدَهُمَا تَمَثَّلَ:

[الوافر]

وَمَالِي فِي دِمَشْقَ وَلَا قُرَاهَا      مَبِيتٌ إِنْ عَرَضْتُ وَلَا مَقِيلٌ

(١) الأذخر: نبات طيب الرائحة والجليل: الشام.

(٢) شامة وطفيل: جبلان قرب مكة.

(٣) الجُحْفَةُ: قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة وكان اسمها «مَهْيَعَةُ».

(٤) حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ بَحْدَلٍ بْنُ أَنَيْفٍ أَبُو سُلَيْمَانَ الْكَلْبِيُّ: أمير بادية الشام من قادة معاوية في صفين  
أَزَرَ مَرْوَانَ وَاسْلَمَ لَهُ الْخِلَافَةَ لَهُ قَصْرٌ فِي دِمَشْقَ يَعْرِفُ بِقَصْرِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ (٦٥/ هـ)  
(الأعلام: ج ٢، ص ١٧٦).

وَمَالِي بَغْدَ حَسَانٍ صَدِيقٌ وَمَالِي بَغْدَ مَنْظُورٍ خَلِيلٌ  
 وقال أبو الحسن: لَمَّا وَلِيَ بَشْرُ بْنُ رِوَانَ البَصْرَةَ أَتَاهُ الْفَرَزْدَقُ وَلَمْ يَكُنْ أَتَاهُ  
 بِالْكُوفَةِ، وَكَانَ بِشْرٌ عَلَيْهِ وَاجِدًا. وَقَدِمَ الْبَصْرَةَ فَمَرَضَ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ حَيْثُ  
 قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ:

[البسيط]

لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ ذَا نَفْسَيْنِ إِنْ هَلَكْتُ إِخْدَاهُمَا بَقِيَتْ أُخْرَى لِمَنْ غَبَرَا  
 إِذَنْ لَجِئْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلٍ وَمَا وَجَدْتُ حِمَامًا يَغْلِبُ الْقَدْرَا  
 لَهُ يَدٌ يَغْلِبُ الْمُعْطِينَ نَائِلُهَا إِذَا تَرَوَّحَ لِلْمَغْرُوفِ أَوْ بَكَّرَا  
 تَغْدُو الرِّيحُ وَتُمْسِي وَهِيَ فَاتِرَةٌ وَأَنْتَ ذُو نَائِلٍ يُمْسِي وَمَا فَتَّرَا  
 وقال: دخل كثير عزة على عبد الملك وهو مريض، فلما رآه قال: ها هنا،  
 وأجلسه من ورائه، فقال كثير:

[الكامل]

وَنَعُودُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا لَيْتَ التُّشَكِّي كَانَ بِالْعُودِ  
 لَوْ كَانَ يَقْبَلُ فِذِيَّةَ لَفْدِيَّتِهِ بِالْمُضْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتِلَادِي  
 قال أبو العباس: هذا الشعر غلط، إنما هو لجريز في الوليد بن عبد الملك  
 وفيها يقول:

وَدَعَا الْخَلِيفَةَ فَاسْتُجِيبَ دُعَاؤُهُ وَاللَّهُ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْأَجْنَادِ  
 وتحدث أبو الحسن عن حماد الراية قال: حدثني العريان بن الهيثم قال:  
 بعثني أبي إلى شبيب بن ربيعة أسأل به وهو مريض، وهو بين ابنتين له كأنهما  
 الشمس يقلبان، فقلت: يقول لك أخوك لهيثم: كيف تجدك؟ فقال متمثلاً:

[الطويل]

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍ  
 وَنَادِبَتَيْنِ تَنْدُبَانِ بِعَاقِلٍ أَخَا ثِقَةٍ لَا عَيْنَ مِنْهُ وَلَا أَثَرَ  
 فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا وَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَخْلِقَا شَعْرَ  
 وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا حَمِيمَهُ أَضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدَرَ  
 إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَرَ

ثم قال: ما فعل الحجاج؟ فأخبرته. ثم أتيت أبي فأعلمته، فلما رُحنا إلى  
 الحجاج قال: ما فعل شبيب؟ قال أبي: أتاه العريان اليوم عائداً. فسألني فحدثته

الحديث. فقال الحجاج: لا تَبْعِدِ العرب! ثم قال: وَيَحْكُمُ يا أهل العراق، إنكم لأَنْتُمْ النَّاسُ لولا ما شملكم من هذا الرأي الخبيث.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: قد أكثرنا في المراثي والمواعظ من بين شعر وكلام نثر ورسالة وغير ذلك مما يتصل له.

والمراثي وأسبابها باقية مع الناس أبداً، إذ كانت الفجائع لا تنقضي إلا بانقضاء المصائب، ولا يَفْنَى ذلك إلا بفناء الأرض ومن عليها، ولا إله إلا الله الحي الذي لا يَمُوتُ. ونحن خاتموا ذلك باب تجمع فيه من كل شيء إن شاء الله، وبه الحول والقوة. ثم نبتدىء شيئاً غيره. فإن الإكثار سَرَفٌ، كما أن التَّقْصِيرَ كالعجز. وفيما أُمْلَيْنَا بلاغٌ وعظَةٌ إن شاء الله تعالى.

قال عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب يرثي أباه. وكان أبوه جليلاً من بني هاشم له أدبٌ وعارضة وبلاغة ونجدة وبيان، فولاه أمير المؤمنين المعتصم بالله اليمنَ ثم ولّى - بعد أن طال مُكُّثُهُ بها - إِيْتاخَ<sup>(١)</sup> ذلك البلد، فولّى إِيْتاخَ عليها الشار، فحمل إليه الشارُ عبد الرحيم، فطالبه إِيْتاخَ بالخراج وحبسه لامتناعه عليه، فمات في السجن بعد مدة.

وكان عبد العزيز أَجَلَ بنيه، وقد وَلِيَ الولايات، وكان شاعراً مُفْلِقاً وخطيباً مِضْقِعاً، فقال يرثي أباه قولاً أعرب فيه فأفصح، وأغرب فيه فلم يفحش، ولكنه خرج أحسن الخروج من كلام منسوط ومعان مفهومة وهو قوله:

[الطويل]

أَشِدَّ أَيُّهَا النَّاعِي وَإِنْ كُنْتُ لَا تَذَرِي	بِكُنْهِ الَّذِي تَنْعَى مِنَ الدِّينِ وَالْقَدْرِ
وَمَنْ رُكِّنُ أَرْكَانِ الْمُلُوكِ الَّذِي بِهِ	تَلَوْدُ إِذَا حَلَّ الْجَسِيمُ مِنَ الْأَمْرِ
هَوَى فَهَوَتْ أَرْكَانُ عِزٍّ وَأَغْوَزَتْ	تُغَوِّرُ بِهِ كَانَتْ أَوَامِنَ لِلدُّعْرِ
وَمَنْ يَلْبِسُ الْأَقْطَارَ أَمْنًا بِذِكْرِهِ	وَيَكْشِفُ عَنْهَا طُخْيَةَ الدُّلِّ وَالْفَقْرِ
وَمَنْ كَانَ إِنْ أَرْضُ مِنَ الْمَحَلِّ أَظْلَمَتْ	رَمَاهَا بِأَنْفَى لِلظُّلَامِ مِنَ الْفَجْرِ
بِوَجْهِهِ كَأَنَّ الْبَدْرَ فَوْقَ جَبِينِهِ	وَبَذَلَ لُهِىَ <sup>(٢)</sup> الْأَمْوَالِ بِالنَّائِلِ الْعُمْرِ
وَجُودٍ يَبْذُو الْمَجْدَ وَالْجُودُ قَبْلَهُ	وَتُورُ بَهَاءٍ كَانَ أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ

(١) إِيْتاخُ التركي: قائد ميمنة المعتصم في فتح عمورية تأمر على المتوكل مع ابن الزيات في زمن الواثق قتله المتوكل بالماء البارد (مروج الذهب: ج ٤، ص ٦٠ ووفيات الأعيان: ج ١ ص ٤٧٨).

(٢) اللُهى: جمع لهوة أو لُهيّة: هي العطية، وقيل أفضل العطايا.

تَزِيدُ اللَّيَالِي وَالْخُطُوبُ ضِيَاءَهُ  
وَيَبْسُطُ بِالْعَرْفِ الْعُفَاةَ تَهْلُلاً  
فَإِنَّكَ تَغْنَى بِالصِّفَاتِ عَنِ اسْمِهِ  
وَأَنَا لَمُعْتَادُ رَزَايَا عَظِيمَةٍ  
يَظِلُّ لَهَا مِنَّا رَجَالٌ كَأَنَّمَا  
فَنَضِيرُ حَتَّى تَنْجَلِي غَمَرَاتِهَا  
تَجِلُّ مُصِيبَاتٌ وَتَغْرُو نَوَائِبُ  
لَقَدْ عَرَكْنَا لِلزَّمَانِ مُلِمَّةً  
وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبْرَ أَضْبَحَ بَعْدَهُ  
فَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ  
وَأَنَّ الْبُكَاءَ فَخَرٌ، بَكَيْتُ بِعَوْلَةٍ  
وَرَوَّخْتُ بَعْدَ الْيَأْسِ وَالصَّبْرِ زَفْرَةً  
حَنِيناً كَمَا حَنَّ الْيِرَاعُ يَرْدُهُ  
وَحَلَيْتُ أَشْرَابَ الدَّمُوعِ فَأَمْطَرْتُ  
وَقُلُّ لَهُ مِنَّا الْبُكَاءُ وَقَدْ بَكَتْ  
بَكَى الثَّقَلَانِ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ فَقَدَهُ  
وَأَقْسِمُ لَوْ لَا خَشْيَةُ اللَّهِ وَخَدَهُ  
بِمَوْتِكَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ بَنَ جَعْفَرٍ  
وَصَارَتْ بُنَاةُ الدِّينِ بَعْدَكَ صَدْعُهَا  
بِمَوْتِكَ مَاتَ الْجُودُ وَالْمَجْدُ كُلُّهُ  
لَقَدْ هَذَا رُكْنُ الدِّينِ مَوْتُكَ هَذِهِ  
وَأَبْلَسَ إِبْلَاسَ الْمَذَلَّةِ دَيْنُنَا  
وَأَضَحَّتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ مَرِيضَةً  
وَقَدْ وَجَدَ الْأَعْدَاءُ فِي الْمُلْكِ مَطْعَنًا  
فَلَا هُنَا الْأَعْدَاءُ عَشْرَةَ دَهْرِنَا  
رُزْنُنَا أَمْرًا لَا نَحْفِلُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ  
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ رَزِيَّةٍ  
فَوَاكِيدًا لَوْ فِي الْوَعَى كَانَ مَوْتُهُ  
وَبِالْبَيْضِ وَالْمَرْفُوعَةِ الزُّرْقِ دَمْعُهَا

إِذَا غَيَّرَ الْبَذْرُ الْمُحَاقَ مِنَ الشَّهْرِ  
إِذَا كَانَ بَغْضُ الْمَنْعِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ  
فَلَمْ تَرَ إِلَّا عَارِفًا غَيْرَ ذِي نُكْرِ  
نَخَافُ بِأَذْنَاهُنَّ قَاصِمَةَ الظَّهِرِ  
تَعَالَى عَلَى أَكْتَاغِهَا فَلَقِيَ الصَّخْرِ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الصَّبْرِ عَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ  
وَلَا مِثْلَ مَا أَنْحَتِ عَلَيْنَا يَدُ الدَّهْرِ  
أَذْمَتُ بِمَخْمُودِ الْجَلَادَةِ وَالصَّبْرِ  
بِمَنْ كَانَ ذَا دِينَ وَمَعْرِفَةٍ يُزْرِي  
وَضَاقَ بِمَا قَدْ جَلَّ مِنْ حَدَثٍ صَدْرِي  
عَلَيْهِ لِكَيْلَا يَغْتَلِبَنِي أُولُو الْفَخْرِ  
تَرَدَّدُ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصُّدْرِ  
حَيَازِيمُ ضَاقَتْ لِلنُّشِيجِ الَّذِي يَفْرِي  
بِغَيْرِ مَعِيبٍ بِالدَّمُوعِ وَلَا نَزْرِ  
لَنَا الطَّيْرُ لَوْ كَانَتْ مَدَامِعُهَا تَجْرِي  
وَغَيْرُهُمَا مِنْ سَاكِنِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
رَكِبْتُ بِنَفْسِي كُلَّ مُسْتَضْعَبٍ وَغَرِ  
تَزَايَلُ شَغَبُ الْمُلْكِ عَنْ أَفْحَشِ الْكُسْرِ  
يَطِيرُ شَطَايَا لَا تَلَاءُمُ بِالْجَبْرِ  
وَجُدَّعَ أَنْفُ الْعِزِّ فِينَا إِلَى الْحَشْرِ  
أَنَافَتْ لَهَا الْأَغْنَاقُ مِنْ أُمَمِ الْكُفْرِ  
وَأَغْضَى بِكَ الْإِسْلَامُ عَيْنًا عَلَى وَثَرِ  
تَوَكَّفُ فِيهِ مِثْلُ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ  
عَوَاقِبُهُ قَتْلٌ يَجِلُّ عَنِ التَّشْرِ  
فَقَدْ - وَأَبِي - قَرَّتْ عُيُونُ ذَوِي الْغَمْرِ  
وَلَا الْمَوْتَ، فَلْتَفْرِ الْحَوَادِثُ مَا تَفْرِي  
وَعَشْرَةَ دَهْرٍ أَمْنُنَا مِنَ الْعَشْرِ  
بَكَيْنَا عَلَيْهِ بِالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ  
دَمٌ عَانِدٌ يَنْثَالُ بِالْعَلَقِ الْحُمْرِ

وَبِالْخَيْلِ يَغْلُكُنَ الشُّكِيمَ كَأَنَّمَا  
يَخُضُنَ نَجِيعاً مَائِراً بَغْدَ جَامِدٍ  
وَأَضْحَى نَهَارُ النَّاسِ لَيْلًا وَالْمَعَثُ  
وَلَمْ يُغْنِ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي قَسْطِلِ الْوَعَى  
وَأُخِمِدَتِ الْأَضْوَاتُ إِلَّا غَمَاحِمَ الـ  
وَحُذِّهَا أَيَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ وَخُذَ بِهَا  
فَمِنْ مُقْعَصٍ يَغْطُو بِفَضْلِ حُشَاشَةٍ  
يُفَرِّقُنَ أَوْصَالاً كِرَاماً أَعِزَّةً  
وَقُمْنَا إِلَى الثَّأْرِ الْمَنِيمِ فَلَمْ يَثُلْ<sup>(١)</sup>  
فَكُنَّا وَإِنْ لَمْ نُوفِ مِنْ شَيْخِنَا دَمًا  
وَنَهْدًا نَفْسًا مَا تَلَاقَى جُفُونُهَا  
وَلَكِنْ وَقَيْنَاهُ الْقَنَا بِنُحُورِنَا  
فَيَابِنَ الثَّبِيِّ الْمُضْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ  
وَيَا بَنَ اخْتِيَارِ اللَّهِ مِنْ آلِ آدَمِ  
وَيَا بَنَ عَلِيٍّ بَغْدَ وَالْحَسَنِ الَّذِي  
وَيَا بَنَ سُلَيْمَانَ الَّذِي كَانَ مَوْثِلًا  
وَمَنْ مَلَأَ الدُّنْيَا بَهَاءً وَنَائِلًا  
تَعَزَّ بِمَا قَدْ نَالْنَا مِنْ رَزِيَّةٍ  
فَإِنْ مِتَّ فِي حَبْسِ الْخَلِيفَةِ صَابِرًا  
فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ لِلْخَلِيفَةِ قَدْ هَوَى  
فَلَا أَوْرَقَتْ شَجَرَاءُ أَرْضٍ وَلَا دَحَا  
فَقُلْ لِلْمَنَايَا وَالْمَتَالِفِ اغْصِفَا  
وَقُلْ لِلْأَعَادِي أَعْلِنُوا الْآنَ أَوْ دَعُوا

وقال أحمد بن محمد الخثعمي يرثي إبراهيم بن سعيد الحميري:

[الخفيف]

(١) الفَضْح: كسر كل شيء أجوف.

(٢) يَثُلُ: ينجح.

(٣) المُلْمَعَة: الأرض يلمع فيها السراب.

أَيُّهَا النَّاعِيَانِ مَنْ تَنْعَيَانِ؟  
 انْعِيَا الثَّاقِبَ الزُّنَادِ أَبَا إِسْدَ  
 ازْجِعَا بِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَقْدُ  
 فَاَنْضَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَا  
 فَكَأْتَا وَلَمْ يَطْلُبْ بِكَ عَهْدُ  
 بَيْنَ أَذْمِ تَدْمِي، وَرَكِبَ مُنِيخِ  
 صَلَّصَلِ الصَّوْتُ فِي صَفَائِكَ بِالرَّمِ...  
 مَسْمَعِ الْقِدْحِ مِنْ خِطَارِ وُقُودِ  
 لَيْتَ أَنَا فِدَاكَ إِذْ فَنِي الطُّ  
 فَعَدَا ظَاعِنًا يُحَثُّ بِهِ التُّغِ  
 سَفَرُ شَاسِعٍ وَخَادٍ مُجِدِّ  
 شَرِبَ الْمَوْتَ مِنْهُ مَخْضَهُ دُو  
 أَيُّهَا الْمَوْتُ قَدْ نَهَضْتَ بِجَنَلِي  
 قُمْ بَأَعْلَى الْبِقَاعِ مِنْ عُغْمَدَانِ  
 هَلْ تَرَى غَيْرَ مَجْلِسِ صَخْبِ الْأَفْ  
 وَتَرَى غَيْرَ ذَابِلِ سَمْهَرِي  
 وَتَرَى غَيْرَ مُقَرَّمِ نَاصِلِ النَّا  
 وَعَدِيمِ يَعْجُبُ فِي قَدْحِ الثُّكْ

وَعَلَى مَنْ أَرَاكُمَا تَنْكِيَانِ  
 حَقَّ رَبِّ الْمَغْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ  
 رُّ إِلَى لَخْدِ قَبْرِهِ فَاغْقِرَانِي  
 نَ دَمِي مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَغْلَمَانِ  
 مَا رَأَيْتُكَ عَامِرَ الْأَغْطَانِ  
 وَعِيسَاسٍ مَلْتَوْتَةٍ وَجِفَانِ  
 .. بِ خَفِيزِ الْكَلَامِ فِي الصَّفَانِ؟  
 وَعَدِيمِ الْأَتْبَاعِ يَوْمَ الرُّهَانِ؟  
 مَ وَقَاضَتْ مَنَاهِلُ الْحَدَثَانِ  
 شُ حَثِيثِ السُّرَى وَلَيْسَ بِوَانِ  
 وَقَعُودُ بَاقٍ عَلَى الرَّقْلَانِ  
 نَ حَلِيبِهَا السُّطُورِ مِنْ قَخْطَانِ  
 نِ مِنْ الدَّمِ فِيهِ وَالْأَضْغَانِ  
 وَيَسْفَلَى الْكَثِيبِ مِنْ عُسْفَانِ<sup>(١)</sup>  
 قِي بِبَاكِ وَنَادِبِ ثُكْلَانِ  
 رَكَدَ الزُّجُ فِي مَكَانِ السُّنَانِ  
 بِ قَلِيلِ السُّمُوفِ فِي الْهَدْرَانِ  
 لِي هَدِيمِ الْخِبَاءِ وَالْبُنْيَانِ

ومن المراثي المستحسنة المقدمة، ونحتاج أن نذكر معها خبرها وهو أن مالك بن زهير بن رواحة بن جذيمة العبسي - وكان من أشرف بني عبس، وجذيمة منهم - قُتِلَ في حرب داحس. وكان جانيها أخوه قيس بن زهير، فنشبت بينهم فيما ذكر أربعين سنة. وتشاءم بهم قومهم، فوجه قيس جاريته لتعلم ما عند الربيع بن زياد العبسي أيغضب لهذا الحديث فيقوى به أو يستهين، فرأت عنده أكثر مما أحب، فرجعت إليه فقالت: سمعت عويلاً منه دون نسائه وحركة أكثر من حركة جميع الحي، وهو يقول:

[الكامل]

(١) عُغْمَدَانِ: قصر بصنعاء وعُسْفَانِ: قرية قرب مكة وهي حد تهامة (معجم البلدان: ج ٤، ص ٢١٠)

مَنَعَ الرُّقَادَ فَمَا أَغْمَضَ حَارٍ      جَلَلٌ مِنَ النَّبْلِ الْمُهِمِّ السَّارِي  
 مِنْ مِثْلِهِ تُفْسِي النِّسَاءَ حَوَاسِرًا      فَتَقُومُ مُغُولَةً مَعَ الْأَسْحَارِ  
 مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ      فَلَيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ  
 تأويل هذا البيت أنه إذا رأى ما يُصنع عليه من الجزع، عَلِمَ أَنَّ ثَارَ مِثْلِهِ لَا يُتْرَكُ.

يَجِدِ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ      يَضْرِبْنَ أَوْجُهَهُنَّ بِالْأَسْحَارِ  
 يَحْمُشْنَ حُرَّ وَجُوهِهِنَّ عَلَى فَتَى      سَهْلِ الْخَلِيقَةِ طَيِّبِ الْأَخْبَارِ  
 قَدْ كُنَّ يَكُنُنَّ الْوَجُوهَ تَسْتُرًا      فَالآنَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَارِ  
 أَفْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ      تَزْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ  
 قوله: أفبعد مقتل مالك بن زهير، مُزَاحَفٌ نَاقِصٌ جُزْءًا. وهذا في هذه  
 العروض جائز، وهي التي يُقال لها المقطوعة في الكامل. ونظيره قول حُمَيْدِ بْنِ  
 ثُور:

[الكامل]

أُبْلِغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ      طَبٌّ يَلُومُ الْمُسْتَلِيمَ وَيَغْدِرُ  
 أَنِّي كَبِزْتُ وَأَنَّ كُلَّ كَبِيرٍ      مِمَّا يُظَنُّ بِهِ يُمَلُّ وَيُقْبَرُ  
 رَجَعَ الشعر:

مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِذَوِي الْقُوَى      إِلَّا الْمَطِيَّ تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ  
 وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذْفَنَ عَدُوفًا      يَجْهَضْنَ بِالْمُهَرَّاتِ وَالْأَمْهَارِ  
 هذا مثل البيت المزاحف. يقال: ما ذقت عدوفاً ولا عُدافاً، ولا لَمَاطاً ولا  
 لَمَاقاً. وكل هذا في معنى لم أذُق شيئاً.

وَقَوَارِسًا صَدَأَ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ      فَكَأَنَّمَا طَلِي الْوُجُوهَ بِقَارِ  
 وَيَفُوزُ كُلُّ مُقْلَصٍ مِنْ خَيْلِنَا      سَلِسِ الْقِيَادِ مُعَاقِدِ التَّكْرَارِ  
 حَتَّى تُبِيرَ بِذِي الْمُرَيْقِبِ غُدُوءَ      بَذْرًا وَتُغْدَرَ مِنْ بَنِي سَيَّارِ

بدر: ابن عمرو الفزاري، وبنو سَيَّارِ بن زِيَانِ الفزاري قتلوا ابن عمهم  
 وحاربوهم غَدْرًا بغير دم ولا افقار.

وَلَرُبَّ مَسْرُورٍ بِمَقْتَلِ مَالِكٍ      كَلَّا وَرَبِّ الْبَيْتِ ذِي الْأَسْرَارِ  
 حَتَّى تُبِيرَ بِمَالِكِ سَرَوَاتِهِمْ      حَمَلًا وَفَارِسَهُمْ أَبَا حَجَّارِ

حمل: ابن بدر وكان من فرسانهم وشجعانهم، وهو الذي يقول فيه القائل  
في هذه القصة بعد أن قُتل:

[الوافر]

وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلَ بَنَ بَذْرِ بَغَى وَالْبَغْيُ مَضْرَعُهُ وَخَيْمُ  
وأبو حجار: مالك بن حمار الشَّمَخِي، وبنو شَمَخٍ من فَزَارَةَ، وفزارة ابن  
ذبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَانَ. وبنو عبس ابن بَغِيض بن رَيْث، فكان عبسُ  
وذبيان أخوين. وكانت حربهم أربعين سنة.

وحربُ الأنصار - الأوس والخزرج، ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن  
عامر - كانت أكثر من هذا فيما ذكرت الرواية وكانت لا تزال تَغْبُرُ<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى عن رسول الله ﷺ: دَرَبُوا لِي بِالْحُرُوبِ حَتَّى دَرَبُوا. وقالت عائشة  
رضي الله عنها: قَدِمْنَا عَلَيْهِمُ وَالْجِرَاحُ تَنْفُفٌ دَمًا مِنْ حَرْبٍ بُعِثَ.

فحربُ الأنصار: حربُ بُعِثَ، وحربُ ابني بَغِيض: حربُ داحس، وحربُ  
بكر وتغلب تُسَمَّى: البسوس.

وقال أبو ناظرة السَّدُوسِي، وكان رجلاً من أهل العلم والمعرفة بكلام  
العرب وحسن التصرف فيه، يرثي البصرة وأهلها بكلام عربي فصيح ينبيء أنه  
كلامٌ مُوجَعٌ يخرج عن نِيَّةٍ صادقة من أَلْفَاظِ رجلٍ لا عَجَزَ يَقْعُدُ به عن بلوغ  
الحاجة، ولا إسرافٍ في قوله وتمحّل يتجاوز به القَدْر:

[الطويل]

إِلَيْكَ، إِذَا مَا آبَ كُلُّ غَرِيبٍ!  
وَمُنْتَجِعٍ لِلْمُعْتَفِينَ خَصِيبٍ  
نَقَاءِ جُيُوبٍ مِنْهُمْ وَغُيُوبٍ  
فَلَا يَطُونُ مَسْعَاهُ مَشُوبٍ؟  
لِوَقْتِ صَبَاحٍ أَوْ لِوَقْتِ غُرُوبٍ  
تَفَتَّتْ أَكْبَادُ لَنَا وَقُلُوبٍ  
تَرَقَّرَقُ مِنْ عَيْنٍ عَلَيْكَ سَكُوبٍ  
مَجَالِسُهَا مِنْ سُودَدٍ وَخُطُوبٍ

مَنَازِلُنَا هَلْ مِنْ إِيَابٍ مُؤَمِّلٍ  
وَهَلْ نَحْنُ يَوْمًا عَائِدُونَ ذَوِي غَنَى  
وَأَذِنَةٌ فِي كُلِّ حَيٍّ يَزِينُهَا  
وَجِلْمٌ وَعِلْمٌ لَيْسَ بِالنَّزْرِ فِيهِمْ  
وَقُلْ لِدُعَاةِ الشَّمْسِ هَلْ مِنْ تَشْهَدٍ  
نُجِنٌ - وَلَمْ نَظْلِمَ - إِلَيْكَ صَبَابَةٌ  
وَقُلْ غِنَاءٌ عِبْرَةٌ مُسْتَهْلَةٌ  
أَبَى الصَّبْرَ تَذَكَارُ الدِّيارِ الَّتِي خَلَّتْ

(١) تَغْبُرُ: تظهر وتتجدد.



وَمَعْدَى ذَوِي الْحَاجَاتِ فِي كُلِّ شَارِقٍ  
وَكُلُّ مُطَاعٍ فِي الْعَشِيرَةِ مَا جِدَ  
مَنَازِلُ فَارَقْنَ الْعُهُودَ وَلَمْ تَكُنْ  
مَنَازِلُ قَوْمٍ أَسْرَعَ السَّيْفُ مِنْهُمْ  
وَكُلُّ فَتَى يَزْنُو إِلَى اللَّهْوِ وَالضُّبَا  
وَكُلُّ صَمِيمٍ مِنْ ذُؤَابَةِ قَوْمِهِ  
أَبَوْا أَنْ يَرَى اللَّهُ الْهَوَادَّةَ مِنْهُمْ  
فَأَوْدَوْا وَقَدْ عَاشُوا كِرَاماً أَعْمَةً  
تُغَادِيهِمْ ضَرْباً عَلَى الْهَامِ تَارَةً  
فَكَمْ مِنْ رَحَى دَارَتْ وَكَمْ مِنْ مُصِيبَةٍ  
عَلَى أَلْفِ أَلْفٍ مِنْ مُلُوكٍ وَسُوقَةٍ  
مُفَلَّقَةٍ هَامَاتُهُمْ وَشَرِيدُهُمْ  
إِلَى غَيْرِ رَاعٍ يُرْتَجَى التُّضَرُّ عَنْدهُ  
عَبَادِيدُ مِنْ نَاجٍ عَلَى جِذْمٍ بَغْلَةٍ  
وَمِنْ رَاسِبٍ طَافَ عَلَى الْمَاءِ شِلْوُهُ  
فَيَا أَرْضَهُمْ أَخْلُوكِ فَبِكِي عَلَيْهِمْ  
أَرَى كُلَّ قَوْمٍ لَا يَزَالُ مَظْنُونَةً  
سِوَانَا فَإِنَّا حَشَوُ كُلَّ مَدِينَةٍ  
ذَوُو أَوْجِهٍ فِيهَا كَوَابٍ وَأَغْيُنٍ  
فَمَنْ رَامَ أَنْ يَبْتَاعَ مِنَّا حَدِيقَةً  
فَذُو الْعِزِّ مِنَّا مُسْتَكِينٌ وَذُو الْغِنَى  
فَمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ مِثْلُ مُصَابِنَا  
وَكُنَّا وَلَمْ تُشَقِّقْ عَصَانَا وَلَمْ تَبِثْ  
نَمِيمَةً تُسْرِي إِلَيْنَا كَأَنَّمَا  
يُقَصِّرُ عَنْ بَغْدَادَ كُلُّ فَضِيلَةٍ  
رِجَالاً وَمَالاً يَغْرِفُ النَّاسُ فَضْلَهُ  
فَلَا الْمِرْبَدُ الْمَعْمُورُ بِالْعِزِّ وَالنُّهَى  
وَلَا قَصْرُ أَوْسٍ وَالْمُنَاخُ الَّذِي بِهِ  
بِمُرْتَجَعٍ يَوْمًا وَلَا الْمَسْجِدُ الَّذِي

إِلَى كُلِّ مَغْشِي الْفِنَاءِ مَهِيْبٍ  
مُعِينٍ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ وَهَوْبٍ  
مَعَانَا لِنَاقُوسٍ وَلَا لِصَلِيبٍ  
إِلَى كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ نَجِيبٍ  
جُرُورٍ لِأَذْيَالِ الشُّبَابِ سَحُوبٍ  
كَرِيمٍ لِغَايَاتِ الْكِرَامِ طَلُوبٍ  
لَاغُضَّةَ عَنْ دِينَ النَّبِيِّ نَكُوبٍ  
عَلَى فِتْنٍ مَرَّتْ بِهِمْ وَخُرُوبٍ  
وَذَبْحاً بِأَقْسَى أَنْفُسٍ وَقُلُوبٍ  
تَوَالَتْ وَمِنْ يَوْمٍ هُنَاكَ عَصِيبٍ  
ثَوَرًا بَيْنَ أَبْوَابٍ لَهُمْ وَدُرُوبٍ  
شِمَاطِيطُ شَتَّى أَوْجِهٍ وَسُرُوبٍ  
وَلَا عَطْنٍ يُؤْوِي إِلَيْهِ رَحِيبٍ  
وَمِنْ رَازِحٍ يَشْكُو الْكَلَالَ جَنِيبٍ  
وَذِي ظَمَأٍ أَوْدَى بِهِ وَسُغُوبٍ  
وَجُودِي عَلَيْهِمْ يَا سَمَاءُ وَضُوبِي  
مَنَازِلَهُمْ مِنْ آيِبٍ وَمَوْوَبٍ  
وَأَلْقَاؤُهَا مِنْ نَازِحٍ وَقَرِيبٍ  
بَوَاكِ وَفَقْرِ ظَاهِرٍ وَشَحُوبٍ  
مِنَ الثَّخْلِ أَعْطَى دِرْهَمًا بِجَرِيبٍ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ ذَا رُتْبَةٍ وَرَكُوبٍ  
وَسُلْطَانُنَا لِلدِّينِ حَقُّ غَصُوبٍ  
عَقَارُنَا فِيْنَا ذَوَاتِ دَبِيبٍ  
تُطَالِبُنَا فِي مِضْرِنَا بِذَنُوبٍ  
خُصِصْنَا بِهَا إِسْهَابُ كُلِّ خَطِيبٍ  
عَلَى كُلِّ حَالٍ رَائِحٍ وَغَرِيبٍ  
وَكُلُّ فَتَى لِلْمَكْرُمَاتِ كَسُوبٍ  
وَمَا حَوْلَهُ مِنْ رَوْضَةٍ وَكَثِيبٍ  
إِلَيْهِ تَنَاهَى عِلْمُ كُلِّ أَدِيبٍ

بِهِ كُؤْلَةُ أَوَادٍ إِلَيْهِ مُنِيبٍ  
لِكُلِّ مُسِيرٍ حَوْلَهُ وَمُهَيِّبٍ  
وَإِذْ مُغْتَفَاهُ الدَّهْرُ غَيْرُ جَدِيبٍ  
مَنَاظِرٌ لَذَاتِ عَفْثٍ وَشُرُوبٍ  
عَلَى ظَهْرِ مُثْقَادٍ إِلَيْهِ صَبُوبٍ  
كَتَائِبُ زَنْجٍ كَالطَّنِينِ دُبُوبٍ  
تَوَقَّدُ فِي كَهْرُورَةٍ وَقُطُوبٍ

قوله «كهرورة» إنما هي القُطُوب والعُبُوس كما قال زيد الخيل<sup>(١)</sup>:

[الطويل]

إِذَا طَلَعَتْ أُولَى الْمُغِيرَةِ أَغْبِسُ  
وَقَدْ دَرَبُوا بِالْحَرْبِ أَيُّ دُرُوبٍ  
تَرُوحُ وَتَغْدُو غَيْرَ ذَاتِ عَكُوبٍ  
الجُون: السُّود. يعني: الخيل. والعَكُوب: الغبار، وبه سمي عكابة.

بِكُلِّ حُسَامٍ فِي الْعِظَامِ رَسُوبٍ  
عَلَى سَنَوَاتٍ تَغْتَرِي وَجُدُوبٍ

ذَوَاتُ جُمُومٍ تَحْتَهَا وَنُضُوبٍ  
يُسَاقِطْنَ فِي دَيْمُومَةٍ وَشَيُوبٍ؟  
ذَوَاتِ وَسُومٍ فِيهِمْ وَنُدُوبٍ  
وَلَكِنْ رَقِيبٌ مِنْ وَرَاءِ رَقِيبٍ  
عَلَى خَطَرٍ مِنْ مُجْتَنَاهُ عَجِيبٍ  
لَدَى مَشْهَدٍ مِثْلًا وَلَا بِمَغِيبٍ؟  
تَجَاوَزُ أَحْيَاءُ بِهَا وَشُعُوبٍ  
وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ . . . . وَخُطُوبٍ

وَلَا قَائِمٌ لِلَّهِ انْءَاءٌ لَيْلِهِ  
وَلَا عَائِدٌ ذَاكَ الْحَزِينُ كَعَهْدِهِ  
وَلَا الشَّطُّ إِذْ فِيهِ لَنَا الْخَيْرُ كُلُّهُ  
وَبِالْفَيْضِ وَالتَّهْرِينِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
وَإِذْ مَا نَرَاهُ مِنْ سَفِينٍ وَرَاكِبٍ  
وَدِجَلَةٍ أَحْمَى جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا  
مُؤَلَّلَةٌ أَسْنَانُهُمْ وَعُيُونُهُمْ

وَلَسْتُ بِذِي كَهْرُورَةٍ غَيْرَ أَتْنِي  
طَمَاطِمُ لَا رَبَّ لَهُمْ يَغْرِفُونَهُ  
وَجُونِ نَوَاجٍ مُنْجِيَاتٍ لَوَاحِقِ  
الجُون: السُّود. يعني: الخيل. والعَكُوب: الغبار، وبه سمي عكابة.

تُسَاجِلُنَا فِيهَا الْمَنَايَا عَبِيدُنَا  
أَتَسَلِّبُهَا غُلْبًا ضَوَامِنَ لِلْقَرَى

يعني النَّخْل، والأغلب: الغليظ العنق.  
جَدَاوِلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ  
وَمَا النَّخْلُ فِي اجْلَابِنَا عَنْ كَوَاعِبِ  
وَمَا فِي خِيَامِ الزَّنْجِ مِنْ حُرٍّ أَوْجِهٍ  
وَلَا ذُو مُحَامَاةٍ وَلَا ذُو حَفِیْظَةٍ  
عَلَى الثَّمَرِ الْمَفْجُوعِ أَرْبَابُهُ بِهِ  
يَقُولُونَ حُشْرَى قَسَا مِنْ مُدَافِعِ  
وَقَالُوا تَنَاسَوْهَا فَلَيْسَ بِعَائِدِ  
وَإِنِّي لَا زَجُو أَنْ أَرَى ذَاكَ مِنْهُمْ

(١) زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد رضا من طيء «أبو مكنف»: من أبطال الجاهلية لقب «زيد الخيل» لكثرة خيله كان طويلاً جسيماً جميلاً وشاعراً وخطيباً وكريماً أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ فسر به وأسماه «زيد الخير» مات محموراً على عين ماء اسمها فردة (٩/٠ هـ) (الأعلام: ج ٣، ص ٦١).

نَعَتْ أَرْضَنَا الدُّنْيَا إِلَيْنَا وَأَذْبَرَتْ  
وَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا سِوَى الْبَلَدِ الَّذِي  
وَمَا عَيْشُ هَذَا النَّاسِ بَعْدَ ذَهَابِهِ  
إِذَا الدَّمْعُ لَمْ يُسْعِدْ كَثِيباً فَإِنِّي  
عَلَى دِمْنٍ جَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ بَعْدَنَا  
وَمَا كُلُّ بَضْرِيَّ شَكَا بِمُقْنَدٍ  
وَلَوْ أَنَّ بَضْرِيّاً بَكَى كُنْهَ شَجْوِهِ  
فَمَنْ مَبْلَغُ عَنِّي بُرْيَهَا وَرَهْطُهُ  
إِذَا أَنْتُمْ غَادَزْتُمُوهَا كَأَنَّهَا  
فَلَا تَرْفَعُوا الْأَبْصَارَ إِلَّا كَلِيلَةً  
فَيَا بَضْرَ كَمْ مِنْ هَالِكٍ مَاتَ حَسْرَةً  
يَظَلُّ شِعَاعاً قَلْبُهُ وَمَبِيتُهُ  
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِتْنَا فَإِنَّا

بِكُلِّ نَعِيمٍ فِي الْحَيَاةِ وَطَيْبِ  
خَلَا الْيَوْمَ مِنْ دَاعٍ بِهِ وَمُجِيبِ  
بِعَيْشٍ وَلَا مَغْنَاهُمْ بِرَغِيبِ  
سَأْبُكِي وَأُبْكِي الدَّهْرَ كُلَّ كَثِيبِ  
ذُيُولِ الْبِلَى مِنْ شَمَالٍ وَجَنُوبِ  
وَلَا كُلُّ بَضْرِيَّ بَكَى بِمَعِيبِ  
بَكَى بِدَمٍ حَتَّى الْمَمَاتِ صَبِيبِ  
وَمَا أَنَا فِي حُبِّيهِمْ بِمُزِيبِ  
مَنَازِلُ عَادٍ غَيْرُ ذَاتِ عَرِيبِ  
إِلَى النَّاسِ أَوْ مُنْهَلَةً بِغُرُوبِ  
عَلَيْكَ وَمِنْ صَبٍّ إِلَيْكَ طُرُوبِ  
عَلَى سَنَنِ مِنْ رُبْعِهِ وَنَحِيبِ  
نَرَى الْعَيْشَ إِلَّا فِيكَ غَيْرَ حَبِيبِ  
وقال عمرو بن الأслع يرثي أبا جُنَيْد بن عمرو بن الأسلع العبسي ويذكر

قَتْلَ حُذَيْفَةَ بْنِ بَذْرِ<sup>(١)</sup> إِيَّاهُ:

[الوافر]

فَلَا يَكُنِ الْوَدَاعُ أَبَا جُنَيْدٍ  
فَإِنْ خَابَتْ حِيَالُ بَنِي سُبَيْعٍ  
فَلَا تَيَأْسُ بِذَلِكَ وَأَنْتَظِرْنِي  
أَتُوكَ كَأَنَّهَا عُقْبَانُ دَجْنٍ  
وقال مُهْلَهُلُ بْنُ رَبِيعَةَ:

وَأَخِرُ حَاجَةِ السَّفَرِ الْوَدَاعُ  
وَنِعْمَ الْبِقَوْمِ إِنْ قَوْمٌ أَضَاعُوا  
وَشَرُّ حَدِيثٍ قَائِلِهِ سَمَاعُ  
تَجَاوَبَ فِي حَنَاجِرِهَا الْيَرَاعُ

[الكامل]

قَتَلُوا كُلِّيباً ثُمَّ قَالُوا ازْبَعُوا  
حَتَّى تَبِيدَ قَبِيلَةٌ وَقَبِيلَةٌ  
وَتَجُولَ رَبَّاتُ الْخُدُورِ حَوَاسِرَا  
حَتَّى يَعْضُ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيمِهِ

كَذَبُوا وَرَبَّ الْجِلِّ وَالْإِخْرَامِ  
وَيَعْضُ كُلُّ مُذَكَّرٍ بِالْهَامِ  
يَمْسَخُنْ غُرْضَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ  
مِمَّا يَرَى جَزَعاً عَلَى الْإِنْهَامِ

(١) حُذَيْفَةُ بْنُ بَذْرِ: يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي سُرْعَةِ السَّيْرِ كَانَ فِي عَصْرِ الْمُنْذَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ (.. / ..)

(الأعلام: ج ٢، ص ١٧١).

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ      ضَرَبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ<sup>(١)</sup>  
وَلَقَدْ وَطِئْنَ بُيُوتَ يَشْكُرَ وَطْأَةً      أَخْوَالَنَا، وَهُمْ بَنُو الْأَعْمَامِ  
وقال أيضاً:

[المديد]

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُليْبًا      يَا لَبَكْرٍ أَيَّنَ أَيَّنَ الْفَرَارُ؟  
تِلْكَ شَيْبَانُ تَقُولُ لِذَهْلِ      صَرَخَ الشَّرُّ وَيَانَ السَّرَارُ  
وَبَنُو يَشْكُرَ قَامُوا فَقَالُوا      قِصَّةُ عَوْجَاءَ فِيهَا اسْتِتَارُ  
وَبَنُو عَجَلٍ تَقُولُ لِقَيْسٍ      وَلَتَنِمِ اللَّاتُ سَيَرُوا فُسَارُوا  
وسنملي بعقب ذكرٍ مهلهل هذا خبر وقائعهم ليفهم مجرى هذه المراثي وما  
يتبعها من أمثالها من لم يفهمه، ليعلم أن هذه الأشعار بُنِيَتْ على أساساتٍ من  
حِكَمِ العرب، تفيد أمثالاَ عجيبة ومذاهبَ غزيرة وأقوالاً على أمورٍ يُنتَفَعُ بها في  
مثل ما قصدوا له وفي غيره من غير بابِه. والحديث ذو شجون. وبالله الحَوْل  
والقوة.

بكر وتغلب - ابنا وائل - شعبان ضخمان سادهما جميعاً كليبُ بن ربيعة  
التغلبِي، وهو الذي يقال له كُليب وائل، فيضرب به المثل، حتى اذعت ربيعة في  
كليب أن العرب كلها تنقاد لشرفها. وفيه يقول النابغة الجعدي لرجل من أهله بغى  
وَتَعَدَّى يُخَوِّفُهُ عُدْوَانُ الظلم:

[الطويل]

كُليْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً      وَأَهْوَنُ ذَنْباً مِنْكَ ضَرْجٌ بِالْدَمِ  
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَحَرَّ بِطَغْنَةٍ      كَحَاشِيَةِ الْبِرْدِ الْيَمَانِي الْمُسَهَّمِ  
وكان سبب قتله على عِزَّةٍ من قومه وَلَحْمَتِهِ على أَنَّهُ كَانَ لَا يُرْفَعُ بِحَضْرَتِهِ  
صَوْتُ وَلَا يُسْمَعُ فِي نَادِيهِ كَلِمَةٌ خَنَا. وفي ذلك يقول المهلهل في مراثيه إِيَّاهُ:

[الكامل]

ذَهَبَ الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ      وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُليْبُ الْمَجْلِسُ  
وَتَنَازَعُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ      لَوْ كُنْتُ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبَسُوا  
ومُهلهل أخو كليب واسمه عدي، وهما ابنا ربيعة، وكان مُهلهل يُسَفِّهُهُ  
كُليْبُ ويصفه بالغزل والتحدث إلى النساء يَذْمُرُهُ بذلك فيقول: أنت زيرُ نساء.

(١) القُدَار: الطباخ والنقِيعَة: الطعام الذي يهيئه القادم من السفر لزيائِهِ.

وكان شرف بكر بن وائل في ولد ذي الجَدَّين وهو عبد الله بن هَمَّام بن مُرَّة بن ذُهل بن شَيْبان . وهؤلاء أشراف وأبناء أشراف . وهم بيت بكر بن وائل وشرفها .

وكانت إحدى بنات مُرَّة تَحْتَ كُليب بن ربيعة ، وكان عديُّ المُهلhel آخى هَمَّام بن مُرَّة . وكان عاقده وعاهده ألا يَكْتُم أحدهما صاحبه خبراً يقع إليه . فجاءت جارية لهَمَّام فسارَّته بشيء ، فتغير وجهه ، فقال المُهلhel : ما قالت لك يا أخي؟ فَوَرَّى فقال له : العَهْدُ! فقال : خَبَّرْتَنِي أَنَّ أَخِي قَتَلَ أَخَاكَ . فقال له المُهلhel : لا تُرَغ ، فَإِنَّ هِمَّةَ أَخِيكَ لَا تَبْلُغُ ذَاكَ .

وَسَيَصِلُ الْخَبْرُ مُسْتَقْصَى بِوَقَائِعِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وكانت حربهم أربعين سنة في مقتل كليب ، وهو موصول بما ابتدأناه بما فيه من مراثيهم وغيرها . فقالت ماوِيَّةُ بِنْتُ مُرَّة امرأة كليب ، تشتكي ما بها من قتل أخيها زوجها ، وهي قصيدة محيطية بالمعنى المقصود ، جيِّدة الكلام بوفرة التشكي :

[الرمل]

تَعَجَّلِي بِاللُّومِ حَتَّى تَسْأَلِي  
عِنْدَهَا اللَّوْمُ فَلُومِي وَاعْذِلِي  
شَفَقِي مِنْهَا عَلَيْهِ فَافْعَلِي  
قَاطِعُ ظَهْرِي وَمُفْنِ أَجَلِي  
أُخْتِيهَا فَأَنْفَقَاتِ لَمْ أَحْفَلِ  
تَحْمِلُ الْأُمُّ قَذَى مَا تَفْتَلِي  
سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعاً مِنْ عَلِ  
وَبَدَا فِي هَذَا بَيْتِي الْأَوَّلِ  
رَمِيَّةَ الْمُضْمَى بِهِ الْمُسْتَأْصَلِ  
خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْءٍ مُغْضَلِ  
مِنْ وَرَائِي وَلَظَى مُسْتَقْبَلِي  
إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمِ يَنْجَلِي  
دَرَكِي ثَأْرِي تُكَلُّ الْمُشْكَلِ  
دَرَكاً مِنْهُ دَمَاءٌ مِنْ أَكْحَلِي  
حَسَرَتَا عَمَّا انْجَلَتْ أَوْ تَنْجَلِي

يَا بِنْتَ الْأَقْوَامِ إِنْ شِئْتِ فَلَا  
فَإِذَا أَنتِ تَبَيَّنْتَ التِّي  
إِنْ تَكُنْ أُخْتُ امْرِئٍ لِيَمَثَّ عَلَى  
قَتْلِ جَسَّاسٍ عَلَى وَجْهِ بِهِ  
لَوْ بَعَيْنِي قُدَيْثُ عَيْنُ سَوَى  
تَحْمِلُ الْعَيْنُ قَذَى الْعَيْنِ كَمَا  
يَا قَتِيلاً قَوْضَ الدَّهْرِ بِهِ  
هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي اسْتَخْدَثْتُهُ  
وَرَمَانِي قَتْلُهُ مِنْ كَثْبِ  
يَا نِسَائِي دُونَكَ الْيَوْمَ قَدْ  
خَصَّنِي قَتْلُ كُلَيْبٍ بِلَظَى  
لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ  
دَرَكَ الثَّائِرَ شَافِيهِ وَفِي  
لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاخْتَلَبُوا  
جَلَّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَّاسٍ قِيَا

إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةً وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَزْتَاحَ لِي

قال أبو العباس: قرأت على أبي محمد النحوي المعروف بالتَّوْزِي عن أبي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى التَّيْمِيِّ مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ بْنِ مُرَّةَ، مِنْ قَرِيشٍ عَنْ مُقَاتِلِ الْأَحْوَلِ ابْنِ سَنَانٍ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ طَرَفَةٌ:

[الطويل]

رَأَيْتُ سُعُوداً مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ فَلَمْ أَرِ سَعْداً مِثْلَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ

قال مقاتل: هذا عدي وأخوه كليب وسالم وفاطمة بنو ربيعة بن الحارث بن جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمِ بْنِ تَغْلِبِ. وَكَانَ كَلِيبُ بْنُ رِبْعَةَ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ بِكَرِيٍّ وَلَا تَغْلِبِيٍّ أَجَارَ رَجُلًا وَلَا بَعِيرًا إِلَّا بِإِذْنِ كَلِيبٍ، وَلَا كَانَ يَحْمِي حِمًى إِلَّا لَمْ يُقَرَّبْ. وَكَانَ لِمُرَّةَ بْنِ ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ عَشْرَةُ بَنِينَ مِنْهُمْ جَسَّاسٌ. وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ. وَكَانَتْ أُخْتُهُمْ عِنْدَ كَلِيبٍ. قَالَ مُقَاتِلُ: وَأُمُّ جَسَّاسِ بْنِ مُرَّةَ: هَيْلَةُ بِنْتُ مُنْقِذِ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ. ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَ مُرَّةَ بْنِ ذُهَلِ سَعْدُ بْنُ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. قَالَ فِرَاسٌ: وَهِيَ أُمُّنَا وَخَالَه جَسَّاسٌ يَقَالُ لَهَا الْبَسُوسُ.

قال أبو برزة: الْبَسُوسُ أُخْتُ هَيْلَةَ، فَجَاءَتْ فَنَزَلَتْ عَلَى جَسَّاسٍ، فَكَانَتْ جَارَةً لِبَنِي مُرَّةَ وَمَعَهَا نَاقَةٌ اسْمُهَا «السَّرَابُ» وَكَانَتْ خَوَّارَةً صَفِيًّا<sup>(١)</sup> مِنْ نَعَمِ بَنِي سَعْدٍ، وَمَعَهَا فَصِيلٌ لَهَا.

قال أبو برزة: وَقَدْ كَانَ كَلِيبٌ قَالَ لِصَاحِبَتِهِ - أُخْتِ جَسَّاسٍ: - هَلْ تَعْلَمِينَ عَلَى الْأَرْضِ عَرَبِيًّا يَمْنَعُ مِنِّي ذِمَّتَهُ؟ فَسَكَتَتْ، ثُمَّ أَعَادَ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَسَكَتَتْ، ثُمَّ أَعَادَ ذَلِكَ عَلَيْهَا الثَّلَاثَةَ فَقَالَتْ: نَعَمْ، أَخِي جَسَّاسٌ وَنَدْمَانُهُ ابْنُ عَمِّهِ عَمْرِو بْنُ أَبِي رِبْعَةَ بْنِ ذُهَلٍ. وَعَمْرُوهُ هُوَ الْمُزْدَلِفُ.

وَأَمَّا مُقَاتِلُ فزَعَمَ أَنَّ امْرَأَةً كَلِيبٍ بَيْنَا تَغْسِلُ رَأْسَ كَلِيبٍ وَتُسَرِّحُهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ قَالَ لَهَا: مَنْ أَعَزُّ وَائِلٌ؟ فَضْمَزَتْ<sup>(٢)</sup> فَأَعَادَ عَلَيْهَا فَضْمَزَتْ. فَلَمَّا أَكْثَرَ قَالَتْ: أَخَوَايَ جَسَّاسٌ وَهَمَامٌ! فَنَزَعَ رَأْسَهُ مِنْ يَدِهَا وَأَخَذَ الْقَوْسَ فَرَمَى فَصِيلَ نَاقَةِ الْبَسُوسِ، خَالَه جَسَّاسٌ وَجَارَةُ بَنِي مُرَّةَ، فَأَقْصَدَهُ، فَأَغْمَضُوا عَلَى مَا فِيهَا

(١) ناقة خوارة وصفي: غزيرة اللبن.

(٢) ضمزت أي سكتت ولم تجب.

وسكتوا. ثم لقي كليبَ ابنَ البسوس، فقال: ما فعل فصيل ناقتكم؟ قال: قتلته وأخليت لنا لبنَ أمه، فأغمضوا على هذه أيضاً. ثم إن كليباً أعاد بعد هذا على امرأته فقال: من أعزُّ بني وائل؟ قالت: أخوأي، فأضمرها، وأسرَّها كليب وأسكت حتى مرَّت إبلُ جساس فإذا الناقة، فاستنكرها فقال: ما هذه الناقة؟ قالوا: لخاله جساس. قال: أو قد بلغ من أمر ابن السَّعدية أن يُجير عليَّ بنغير إذني؟ أزم ضرعها يا غلام، فشقه. قال: فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة، فالتقط لبنها ودمها. وراحت الرعاء على جساس فأخبروه بالأمر فقال: إحلبوا لها مكياً لا من لبنها ولا تذكروا لها من ذلك شيئاً، وأغمضوا عليها.

قال مقاتل: حتى أصابتهم سماء. فغدا في غبها عمرو بن ذهل بن شيبان فطعن عمرو كليباً فقصم صلبه.

وأما أبو برزة فزعم أن جساساً أمسك حتى ظعن ابنا وائل، فمرت بكر على نهني<sup>(١)</sup> يقال له شبيث، فأبعدهم عنه كليب وقال: لا تذوقوا منه قطرة ثم مروا على آخر يقال له الأحص فأبعدهم عنه. ثم مروا على بطن الجريب<sup>(٢)</sup> فمنعهم إياه فمضوا حتى نزلوا الدنائب، واتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليهم، فمرَّ عليه جساس وهو واقف على غدير الدنائب، فقال: أبعدت أهلنا عن المياه حتى كذت تقتلهم من العطش. فقال كليب: ما أبعدناهم إلا عن شيء نحن له شاغلون. فمضى جساس ومعه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة. ثم ناداه جساس: هذا كفعلك بناقة خالتي. قال: أو قد ذكرتها! أما إني لو وجدتها في غير إبل بني مرة بن ذهل لاستحللت تلك الإبل بها! فعطف عليه جساس الفرسَ فطعنه بالرمح، فأنفذ حِصْنِيهِ<sup>(٣)</sup>. فلما تداءمه<sup>(٤)</sup> الموت قال: يا جساس، اسقني من الماء. قال: ما عقلتُ استسقاءك من الماء مُذْ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ قبل ساعتك هذه.

قال أبو برزة: فعطف عليه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة فحزَّ رأسه.

وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل هو الذي طعنه فقَصَمَ صلبه، ففي ذلك يقول مُهلِهل:

[الوافر]

(١) النهي: الغدير.

(٢) بطن الجريب: واد عظيم يصب في الرمة بنجد (معجم البلدان: ج ٢، ص ١٣١).

(٣) الحِصْنِي: ما دون الإبط إلى الكشح.

(٤) تداءمت عليه الأمور: تراكت.

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ الْمَرْءِ عَمْرٍو      وَجَسَّاسٍ بِنِ مُرَّةَ ذُو ضَرِيرٍ  
وقال نابغة بني جعدة لعقال بن خويلد العُقَيْلِيّ لما أجار بني وائل بن معن،  
وقد قتلوا رجلاً من بني جعدة، فحذَّره عُذْوَانُ الظُّلَمِ واقتَصَّ له أَمْرَ كُليبٍ وحديثه:

[الطويل]

كُليبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً      وَأَيْسَرَ ظُلْماً مِنْكَ ضُرْجَ بَالِدَمِ  
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَحَرَّ بِطَغْنَةٍ      كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِي الْمُسَهَّمِ  
وَقَالَ لِحَسَّاسٍ: أَغْنِنِي بِشَرْبَةٍ      تَفْضُلُ بِهَا طَوْلًا عَلَيَّ وَأَنْعِمِ  
فَقَالَ: تَجَاوَزْتَ الْأَخْصَصَ وَمَاءَهُ      وَبَطْنَ شَبِيثٍ وَهُوَ ذُو مُتَرَسِّمٍ<sup>(١)</sup>  
وهي في كلمة.

وقال العباس بن مِرْدَاسٍ لكُليبِ بنِ عَهْمَةَ الظَّفَرِيّ أَخِي عَبَّاسٍ وَمَالِكِ بْنِ  
عَهْمَةَ، وَكَانُوا شُرَكَاءَ فِي الْقَرْيَةِ فَجَحَدَهُمْ كُليبٌ حَظَّهُمْ مِنْهَا فَحَذَّرهُ غِبَّ الظُّلَمِ وَمَا  
لَقِي كُليبٌ مِنْهُ:

[الكاسل]

أَكْلَيْبُ مَالِكَ كُلِّ يَوْمٍ ظَالِماً      وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ، وَجْهُهُ مَلْعُونُ  
فَأَفْعَلُ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلٍ      يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْعُونُ  
وَأَظُنُّ أَنَّكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا      فِي صَفْحَتَيْكَ سِنَائِهَا الْمَسْنُونُ  
إِنَّ الْقَرْيَةَ قَدْ تَبَيَّنَ شَأْنُهَا      لَوْ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَكَ التَّبْيِيرُ  
أَجَحَذَنِي ثُمَّ انْطَلَقْتُ تَخْطُهَا      وَأَبُو يَزِيدَ بَجَوْهَا مَذْفُونُ

وقال رجل من بكر بن وائل في الإسلام، وهو يحمل على الأعشى -  
وزعموا أنه شُيْلُ بن عريرة:

[الطويل]

وَنَحْنُ قَهْرْنَا تَغْلِبَ ابْنَةُ وَائِلٍ      بِقَتْلِ كُليبٍ إِذْ طَغَى وَتَخَيَّلَا  
أَبَانَاهُ<sup>(٢)</sup> بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعَهَا      فَأَصْبَحَ مَوْطِوءَ الْجَحْمَى مُتَذَلَّلَا  
وهي كلمة.

قال: ومقتل كُليبٍ بالدَّنَائِبِ عَنْ يَسَارِ فَلَجَّةٍ مُضْعِداً إِلَى مَكَّةَ، وَذَلِكَ قَوْلُ  
الْمُهْلَلِ:

[الوافر]

(١) المترسم: موضع الماء.

(٢) أباء القاتل بالقتيل: قتله به.



وَلَوْ نَبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلِيبٍ      فَيُخْبَرُ بِالدَّنَائِبِ أَيُّ زِيرٍ  
قال أبو برزة: فلما قتله جساس أُمال بيده الفرس حتى انتهى إلى أهله خارجة  
ركبته. قالت أخته: يا أمتاه، إن جساساً قد جاء خارجةً ركبته. قالت: والله ما  
خرجت ركبته إلا لأمرٍ عظيم. قالت: ما وراءك؟ قال: ورائي، والله، أني قد طعنته  
طعنةً لَتَشْتَغِلَنَّ منها شيوخُ وائلِ رقصاً. قالت: أقتلتَ كليباً؟ قال: نعم. قالت: واللَّهِ  
لَوَدِدْتُ أَنَّكَ وَإِخْوَتُكَ كُنْتُمْ مِثِّي قَبْلَ هَذَا. ما بي إلا أن يَتَنَاقَدَ بي أبناءُ وائلِ.  
وزعم مقاتل أن جساساً قال لأخيه نُضْلَةَ بن مُرَّة - ويُقال لهما اليوم عَصُدا  
الْحِمَارِ -:

[الوافر]

وَإِنِّي قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرْباً      تُغِصُّ الشَّيْخُ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ  
فأجابه أخوه نُضْلَةُ بن مُرَّة فقال:  
فَإِنْ تَكُ قَدْ جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرْباً      فَلَا وَإِنْ لَأَرَتْ السُّلَّاحِ  
وإنما ذكرنا أول هذه الوقائع والسبب الذي هَيَّجَهَا تَطَرُّقاً إلى مرثي مهلهل  
أخاه وقومه ليقع ذلك على معرفةٍ عند مَنْ لم يكن عرفها.  
قال الْمُهْلَهْلُ يرثي أخاه ويذكر أشراف مَنْ قُتِلَ به، وأن ذلك ليس بكفاء:

[الوافر]

أَلَيْلَتْنَا بِذِي حُسْمٍ أَنِيرِي      إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تُحُورِي  
فَإِنْ يَكُ بِالدَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي      فَقَدْ يُبْكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ  
فَلَوْ نَبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلِيبٍ      فَيُخْبَرُ بِالدَّنَائِبِ أَيُّ زِيرٍ  
معنى ذا أن كليباً كان يُعِيرُ مُهْلَهلاً فيقول: أنت زير نساء. وإنما يُقال ذلك  
لمؤثر اللُّهُو بالنساء والحديث إليهنَّ على المساعي وطلب الذكر، وكان مُهْلَهْلُ أوقع  
بهم بالدَّنَائِبِ وقعة منكرة فيقول: لو رأى كليبٌ ما صنعتُ لَعَلِمَ أَنِي غَيْرُ زِيرٍ.

بِیَوْمِ الشَّعْثَمَیْنِ لَقَرَّ عَیْنَا      وَكَيْفَ لِقَاءِ مَنْ تَحْتَ الْقُبُورِ؟<sup>(١)</sup>  
وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتِ      بُجَيْراً فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ  
خَبَرُ بُجَيْرٍ: وهو ابن الحارث بن عباد بن ضُبَيْعَةَ بن قيس بن ربيعة، وكان  
الحارث من فرسانهم، فاعتزل هذه الحرب. وجاء بُجَيْرٌ يُقاتِلُ مع قومه يوم  
واردات، وهو مشهور من أيامهم. فَأَخِذَ أسيراً فقتله مُهْلَهْلُ وقال: بُوْ بِشْسَعِ  
كَلِيبِ، فَقِيلَ للحارث بن عباد إن ابنك بُجَيْراً قُتِلَ. فقال الحارث: إنه لأَعْظُمُ

(١) يوم الشعثمين: من أيام العرب وقيل هو يوم واردات والأبيات من الوافر.

قتيل بركة إن أصلح الله بين ابني وائل . فقيل له : إن مهلهلاً حين قتله قال : بؤ  
بشسع كليب . فقال عند ذلك :

[المديد]

لَقِحتُ حَرْبَ وائِلَ عَنْ حِيالِ  
هُ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِ  
طُ كُليبُ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلالِ

قَرِيباً مَرْبِطَ التُّعَامَةِ مِنِّي  
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللّٰهُ  
لَا يُجَيِّرُ أَغْنَى فِتِيلاً وَلَا رَهْ  
ثم دخل في الحرب .

رجع إلى شعر مهلهل :

وَبَعْضُ الْعَشْمِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ  
إِذَا بَرَزَتْ مُخَبَّأَةُ الْخُدُورِ  
عَلَيْهِ الْقُشْعَمِينَ<sup>(١)</sup> مِنَ النُّسُورِ  
وَيَخْلِجُهُ خَدَبٌ<sup>(٢)</sup> كَالْبَعِيرِ  
صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرِغُ بِالذُّكُورِ  
كَأَسَدِ الْغَابِ لَجَتْ فِي الزُّئِيرِ  
بَعِيدِ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورِ  
بِجَنْبِ عُثَيْرَةِ رَحِيَا مُدِيرِ  
كَأَنَّ الْخَيْلَ تَنْهَضُ فِي غَدِيرِ

هَتَكَتْ بِهِ بِيوتَ بَنِي عُبادِ  
عَلَى أَنْ لَيْسَ يُشْفِي مِنْ كُليبِ  
وَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا  
يَنْوَاءَ بَصْذَرِهِ وَالرُّمُحُ فِيهِ  
فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلَ حَجَرِ  
فَدَى لِبَنِي الشَّقِيقَةِ يَوْمَ جَاوُوا  
كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِئْرِ  
كَأَنَّا غُدُوءَةٌ وَبَنِي أَبِينَا  
نَكُرُّ عَلَيْهِمْ عَوْدًا وَبَدَاءَ  
وقال أيضاً يرثيه :

[الخفيف]

ءَ لَعُوبٌ لَذِيذَةٌ فِي الْعِناقِ  
يَا عَدِيٍّ لَقَدْ وَقَّتْكَ الْأَوَاقِي  
قَدْ أَرَاهُمْ سُقُوا بِكَأْسِ حَلَاقِ  
وَقَتِيلِي صَدُوفَ وَإِنِّي عَنَاقِ  
ثُمَّ خَلَّى عَلَيَّ ذَاتَ الْعَرَاقي  
مَ رَمَاهُ الْكُماةُ بِالْإِيفاقِ  
وَخَصِيماً أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقِ  
مَنْ قال «مِغْلَاق» أراد : إذا عَلَقَ خَصَمَهُ بِلِغْ مِنْهُ . وَمَنْ قال : «مِغْلَاق» أراد :

طَفَلَةٌ مَا ابْنَةُ الْمُحَلَّلِ بَيْنَا  
ضَرَبَتْ نَحْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ  
مَا أَرْجِي بِالْعَيْشِ بَغْدَ نَدَامِي  
بَغْدَ عَمُرِي وَعَامِرِ وَخِيَّيْ  
وَأَمْرِي الْقَيْسِ مَيِّتَ يَوْمَ أَوْدِي  
وَكُليبُ غُبِرَ الْفُوارِسِ إِذْ حُـ  
إِنَّ تَحْتَ الْأَخْجَارِ حَزْماً وَجُوداً  
مَنْ قال «مِغْلَاق» أراد : إذا عَلَقَ خَصَمَهُ بِلِغْ مِنْهُ . وَمَنْ قال : «مِغْلَاق» أراد :  
يَغْلِقُ الْحُجَّةَ عَلَى الْخَصْمِ .

(٢) الخدب : الضخم .

(١) القشعم : الممن من النُسُور .

حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَزْبَدُ لَا يَنْدُ      فَعُ مِنْهُ السَّلِيمُ نَفْتُ الرَّاقِي  
وقد أطلنا القول في المراثي والتعازي وما بهما من المواعظ . وأحرّ بما  
أُطِيلَ أَنْ يُمَلَّ . وقد قال أحد المتقدمين : من أطال الحديث فقد عرّض نفسه  
للملل ولسوء الاستماع . وقد كنا ذكرنا أشعاراً من أشعار المتقدمين ، فقلنا نملّيها  
على وجهها . ثم رجعتُ إلى أنها مجموعة في الكتاب الكامل على شرح جميع  
إعرابها ومعانيها ، فإن رجعتُ رجعتُ مُعَادَةً ، وهو يُؤْخَذُ مِنْ ثَمٍّ . وقد أتى للقاضي  
رحمه الله أكثر من الحَوْلِ . وقد قال لبيد :

وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَرَ

ولكننا نُشِيعُ مَا قَدْ مَضَى مِنَ الْأَخْبَارِ بِأَخْبَارِ طَرِيفَةٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَأَشْعَارِ  
ظَرِيفَةٍ مُخْتَصَرَةٍ ، يَنْقُطِعُ الْكَلَامُ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ الْقُوَّةُ .

حُدِّثْتُ أَنَّ رَجُلًا عَزَى يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ<sup>(١)</sup> عَنْ حُرْمَةٍ لَهُ فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ،  
تَقْدِيمُ الْحَرَمِ مِنَ النِّعَمِ ، وَتَمَثُّلُ :

[الوافر]

تَعَزَّرَ إِذَا رُزِئَتْ بِخَيْرِ دِرْعٍ      تَسْرِبِلُ لِلْمَصَائِبِ دِرْعَ صَبْرِ  
وَلَمْ أَرِ نِعْمَةً شَمَلَتْ كَرِيمًا      كَعُورَةَ مُسْلِمٍ سُبِرَتْ بِقَبْرِ  
وَسَمِعَ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ الْفَزَارِي نَائِحَةً بِالْكُوفَةِ تَقُولُ :

[المتقارب]

فَمَنْ لِلْمَنَابِرِ وَالْخَافِقَاتِ      وَلِلْجُودِ بَغْدَ زِمَامِ الْعَرَبِ  
وَمَنْ لِلْعُنَاةِ وَحَمْلِ الدِّيَاتِ      وَمَنْ يَفْرِجُ الْكَرْبَ حِينَ الْكَرْبِ  
وَمَنْ لِلطَّعَانِ غَدَاةَ الْهِيَاكِ      وَمَنْ يَمْنَعُ الْبَيْضَ عِنْدَ الْهَرَبِ  
فَقَالَ : مِثْلُ هَذَا فَلْيُبْكُ . ثُمَّ قَالَ :

[الكامل]

يَا خَدُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْنًا      وَسُدَّتْ بَغْدَ الْمَوْتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ  
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ فِي حَيَاتِكَ صَالِحًا      فَلَتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ  
وقال عبد الله بن العباس : مَا اتَّعَظْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَمَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
كَمَا اتَّعَظْتُ بِكِتَابِ كُتْبِهِ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيَّ ، وَكَانَ كِتَابُهُ : أَمَا بَعْدُ . فَإِنَّ الْمَرْءَ

(١) يحيى بن خالد بن برمك «أبو الفضل» : الوزير السريّ الجواد سيد بني برمك ومربي الرشيد سجنه  
الرشيد في الرقة بعد نكبة البرامكة ومات فيها (١٢٠ - ١٩٠ هـ) (الأعلام : ج ٨ ، ص ١٤٤) .

يَسْرُهُ دَرَكٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُووُهُ فَوْتٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُذْرَكَهُ. فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ. وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَا نِلْتَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَا تَتَّعَمَّ بِهِ فَرَحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ جَزَعًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَمِعْتُ بَكَاءَ رَاهِبٍ فَنَادَيْتُ: يَا رَاهِبُ، مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكَانِي أَمْرٌ عَرَفْتَهُ فَجُرْتُ عَنْ سَبِيلِهِ، وَقَصَّصْتُ فِي طَلْبِهِ، وَيَوْمَ مَضَى أَوْزَنِّي عَبْرَتَهُ وَحَسْرَتَهُ، نَقَصَ لَهُ أَجَلِي، وَلَمْ يَنْقُصْ لَهُ أَمَلِي.

وَرُوِيَ أَنَّ بَعْضَ مَلُوكِ الْفَرَسِ كَانَ شَدِيدَ الْغَضَبِ، فَكَتَبَ ثَلَاثَ رِقَاعٍ، ثُمَّ وَكَّلَ رَجُلًا حَازِمًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: إِذَا اشْتَدَّ غَضَبِي فَادْفَعُوا إِلَيَّ الْأُولَى، فَإِذَا سَكَنْتُ بَعْضَ السَّكُونِ فَادْفَعُوا إِلَيَّ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ ادْفَعُوا إِلَيَّ الثَّالِثَةَ، فَكَانَ فِي الْأُولَى: إِنَّكَ لَسْتَ بِالْإِلَهِ، إِنَّمَا أَنْتَ بَشَرٌ يَوْشِكُ أَنْ يَمُوتَ، وَيَأْكُلَ بَعْضُكَ بَعْضًا. وَفِي الثَّانِيَةِ: اِرْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ. وَفِي الثَّالِثَةِ: خُذِ النَّاسَ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَائِشَةَ: لَمَّا أَتَيْتُ بِحُجْرٍ بَنَ عَدِي وَأَصْحَابِهِ لِيُقْتَلَ بِعَذْرَاءٍ<sup>(١)</sup> قَالَ: مَا اسْمُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ قَالُوا: عَذْرَاءُ. قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَوَّلُ فَارِسٍ وَعَرَ أَهْلِهَا يَوْمَ افْتَتَحْنَاهَا. فَلَمَّا قَرَّبَ لِيُقْتَلَ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَأَظْهَرَ جَزْعًا قِيلَ لَهُ: أَتَجْزَعُ؟ فَقَالَ: وَلِمَ لَا أَفْعَلُ؟ كَفَنُ مَنَشُورٍ، وَسَيْفٌ مَشْهُورٌ، وَقَبْرٌ مَحْفُورٌ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّوْدِينِي إِلَى جَنَّةٍ أَمْ إِلَى نَارٍ.

فَلَمَّا قُتِلَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلِيفَةَ الطَّائِي يَرِثِيهِ:

[الطويل]

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالشَّيْبَةَ أَغْصُرَا	وَذَكَرُ الْهَوَى بَزْخَ عَلَى مَنْ تَذَكَّرَا
أَقُولُ وَلَا وَاللَّهِ أَنَسَى مُصَابَهُمْ	سَجِيسَ اللَّيَالِي أَوْ أَمُوتَ فَأُقْبِرَا <sup>(٢)</sup>
عَلَى أَهْلِ عَذْرَاءِ السَّلَامِ مُضَاعَفًا	مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَتْ السَّحَابُ الْكَنْهَوْرَا <sup>(٣)</sup>
وَلَأَقَى بِهَا حُجْرٌ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً	فَقَدْ كَانَ أَرْضَى اللَّهِ حُجْرٌ وَأَعْذَرَا
فَيَا حُجْرٌ مَنْ لِلْخَيْلِ تُطْعَنُ بِالْقَنَا	وَلِلْمَلِكِ الْمُغْزِي إِذَا مَا تَغْشَمَرَا <sup>(٤)</sup>
فَقَدْ عِشْتَ مَحْمُودَ الْحَيَاةِ وَإِنِّي	لَأُطْمَعُ أَنْ تُغْطَى الْخُلُودَ وَتُخْبِرَا

وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ يَرِثِي جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَعَبْدَ

(١) عَذْرَاءُ: قَرْيَةٌ بِغَوَاطَةِ دِمَشْقٍ فِيهَا قُتِلَ حَجْرُ بْنُ عَدِي (مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ: ج ٤، ص ٩١).

(٢) سَجِيسَ اللَّيَالِي: أَبَدًا. (٣) الْكَنْهَوْرُ: الْمَتْرَاكُ الثَّخِينُ. (٤) تَغْشَمَرُ: طَغَى.

الله بن رَواحة وكان قد أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جيش مُؤتة :

[الطويل]

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أَغْسَرُ  
لِذِكْرِي حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لَكَ عَبْرَةً  
بَلَى، إِنَّ قُفْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ  
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا  
فَلَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ فَتْلِي تَتَابَعُوا  
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا  
غَدَاةَ مَضَى بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ  
أَغْرُ كَضْوَاءِ الْبَذْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  
فَطَاعَنَ حَتَّى مَاتَ غَيْرَ مُوسَّدٍ  
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ  
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ  
وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  
وَهُمْ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ  
بَهَا لَيْلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ  
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ  
بِهِمْ تُفْرَجُ اللَّأْوَاءُ فِي كُلِّ مَغْرَكٍ  
هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ

ومما يستحسنه الناس من المراثي وَيَخْفُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ قَصِيدَةُ مُحَمَّدِ بْنِ  
مُنَازِرِ الصُّبَيْرِيِّ<sup>(٢)</sup> مَوْلَى بَنِي صُبَيْرٍ بْنِ يَزْبُوعٍ فِي عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ  
الثَّقَفِيِّ حَتَّى قَدْ خَلَطُوا فِي الرِّوَايَةِ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. وَنَحْنُ نَخْتَارُ اخْتِيَاراً  
مِنْهَا تَقَعُ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ مِنْ قَوْلِ الْمَخْلُوقِينَ، وَالْكَلَامُ الْمَرْضِيّ مِنْ ذَلِكَ،  
وَهِيَ الَّتِي أَوْلَاهَا:

[الخفيف]

(١) مَغْرَكٌ عَمَاسٌ: شَدِيدٌ.

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ مُنَازِرِ الْيَرْبُوعِيِّ بِالْوَلَاءِ «أَبُو جَعْفَرٍ» شَاعِرٌ كَثِيرُ الْأَخْبَارِ وَالنُّوَادِرِ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَدَبِ  
وَاللُّغَةِ غَلَبَ عَلَيْهِ الْمَجُونُ وَالزُّنْدَقَةُ وَأَصْلُهُ مِنَ الْيَمَنِ أَوِ الْبَصْرَةِ وَفِيهَا مَنْشُؤُهُ مَدَحُ الْبَرَامِكَةِ وَأَخْرَجَ  
بَعْدَ نَكْبَتِهِمْ إِلَى مَكَّةَ حَيْثُ تَهْتَكُ وَمَاتَ فِيهَا (١٩٨/٠ هـ) (الأعلام: ج ٧، ص ١١١).

كُلُّ حَيٍّ لَاقِيَ الْحِمَامِ قَمُودٍ      مَا لِحَيٍّ مُؤَمِّلٍ مِنْ خُلُودٍ  
لَا تَهَابُ الْمَنُونُ حَيًّا وَلَا      تُبْقِي عَلَى وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ  
يَقْدَحُ الدَّهْرُ فِي شِمَارِيخِ رَضْوَى      وَيَحْطُ الصُّخُورَ مِنْ هَبُودٍ  
يزعمون أنه غلط في هذا، وأن هبود حفيرة، وليس كما قالوا، إنما الحفيرة هبوب. والذي قال هو: هبود. وذكروا أنها أكمة.

وَلَقَدْ تَشْرَكَ الْحَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ      وَهِيَ فِي الصَّخْرَةِ الصَّيْخُودِ  
لَيْسَ يَبْقَى عَلَى الْحَوَادِثِ حَيٌّ      غَيْرَ وَجْهِ الْمُهَيَّمِنِ الْمَغْبُودِ  
ومما استحسنت منها ولم أزدل غيره، قوله:

أَيْنَ رَبُّ الْحِضْنِ الْحَصِينِ بِسُورَا      ءَ وَرَبُّ الْقَضْرِ الْمُنِيفِ الْمَشِيدِ  
شَادَ أَزْكَائِهِ وَبَوَّبَهُ بِأَ      بَنِي حَدِيدٍ وَخَفَّهُ بِجُنُودِ  
كَانَ يُجْبَى إِلَيْهِ مَا بَيْنَ صَنَعَا      ءَ فَمِضِرٍ إِلَى قُرَى يَبْرُودِ  
وَتَرَى حَوْلَهُ زُرَافَاتٍ خَيْلِ      جَافِلَاتٍ تَغْدُو بِمِثْلِ الْأُسُودِ  
فَرَمَى شَخْصَهُ فَأَقْصَدَهُ الدَّفَرُ      رُبَّ سَهْمٍ مِنَ الْمَنَايَا سَدِيدِ  
ثُمَّ لَمْ يُنْجِهِ مِنَ الْمَوْتِ حِضْنُ      دُونَهُ خُنْدَقٌ وَبَابَا حَدِيدِ  
وَمُلُوكٌ مِنْ قَبْلِهِ عَمَرُوا الْأَزْ      ضَ أُعِينُوا بِالنُّضْرِ وَالتَّأْيِيدِ  
فَلَوْ أَنَّ الْأَيَّامَ أَخْلَدَنَ حَيًّا      لِعَلَاءٍ أَخْلَدَنَ عَبْدَ الْمَجِيدِ  
مَا دَرَى نَعِشُهُ وَلَا حَامِلُوهُ      مَا عَلَى النُّعْشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ  
وَنَحَّ أَيْدٍ حَثَّتْ عَلَيْهِ وَأَيْدٍ      دَفَنْتُهُ، مَا غَيَّبَتْ فِي الصَّعِيدِ  
غَيَّبَتْ فِي الصَّعِيدِ حَزْمًا وَعَزْمًا      وَلِزَارَ الْخَضَمِ الْأَلَدُ الْعَنُودِ  
إِنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى      هَذَا رُكْنًا مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ  
هَذَا رُكْنِي عَبْدَ الْمَجِيدِ وَقَدْ كُنْتُ      تِ بِرُكْنٍ مِنْهُ - أَبْوء - شَدِيدِ  
حِينَ تَمَّتْ آدَابُهُ وَتَرَدَّى      بِرْدَاءٍ مِنَ الشُّبَابِ جَدِيدِ  
وَسَمَتْ نَخْوَةُ الْغُيُوثِ وَمَا كَا      نَ عَلَيْهِ لِزَائِدٍ مِنْ مَزِيدِ  
وَكَأَنِّي أَذْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبُ      حِينَ أَدْعُوهُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدِ  
وَلَيْتَ كُنْتُ لَمْ أُمْتُ مِنْ جَوَى الْحُزْ      نِ عَلَيْهِ، لِأَبْلُغَنَّ مَجْهُودِي  
لَأُقِيمَنَّ مَا تَمَّا كُنْجُومِ      اللَّيْلِ زُهْرًا يَلْطِمَنَّ حُرَّ الْخُدُودِ  
مُوجَعَاتٍ يَبْكِينَ لِلْكَبِدِ      الْحَزَى عَلَيْهِ وَلِلْفُؤَادِ الْعَمِيدِ  
وَلَغَيْنِ مَطْرُوفَةٍ أَبَدًا قَا      لَ لَهَا الدَّهْرُ: لَا تَنَامِي وَجُودِي

كُلَّمَا عَزَّكَ الْبُكَاءُ فَانْفَذَ      تِلْكَ لِعَبْدِ الْمَجِيدِ سَجْلًا فَعُودِي  
لَفَتْنِي بِخُسْنِ الْبُكَاءِ عَلَيْهِ      وَفَتْنِي كَانَ لَامْتِدَاحِ الْقَصِيدِ  
فَكُلُّ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ غُرَّةٌ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي بِبَلَاغِ إِخَالِهِ صَحِيحًا أَنَّ عَبْدَ الْمَجِيدِ كَانَ  
لِلْمَدْحِ حَيَاتَهُ مَوْضِعًا، وَلِلْمَرَاثِي بَعْدَ مَوْتِهِ مُسْتَوْجِبًا، عَفَافًا وَجَمَالًا وَأَدْبًا وَشَبَابًا.  
وَقَالَ الْقَائِلُ:

[البسيط]

وَإِنْ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ      بَيْنْتُ - يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ - صَدَقَا  
وَأَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ - وَإِنْ جَلَّ قَدْرُ الْمُؤْمِنِ - بِكَاءِ الرَّجُلِ عَلَى نَفْسِهِ - وَإِنْ كَانَ  
حَيًّا، لَمَا يَتَوَقَّعُهُ. كَمَا قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ:

[السريع]

كَمْ سَتَرِي فِي النَّاسِ مِنْ هَالِكٍ      وَهَالِكٍ حَتَّى تُرَى هَالِكَا  
فَهَذَا مَاخُذٌ مِمَّا يَرَوِي أَنَّ الصَّدِيقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ يُكْثِرُ إِنْشَادَهُ وَهُوَ:

[مجزوء الكامل]

تَنْفَكُ تَسْمَعُ مَا حَيِّيتَ      بِهَالِكٍ حَتَّى تَكُونَهُ  
وَالْمَرْءُ قَدْ يَرْجُو الرَّجَا      مَغَيَّبًا وَالْمَوْتُ دُونَهُ  
وَمَعَ قَوْلِهِ هَذَا:

[السريع]

أَضْبَحَتِ الدُّنْيَا لَنَا عِبْرَةً      وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ  
اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى ذَمِّهَا      وَمَا تُرَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكَا  
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ:

[الطويل]

تُنَافِسُ فِي الدُّنْيَا وَتَخُنُ نَعِيبُهَا      وَقَدْ حَدَرْتَنَاهَا لَعَنَمِي خُطُوبُهَا  
وَمَا نَحْسِبُ السَّاعَاتِ تُقْطَعُ مُدَّةً      عَلَى أَنَّهَا فِينَا سَرِيعُ دَبِيبُهَا  
كَأَنِّي بِرَهْطِي يَحْمِلُونَ جَنَازَتِي      إِلَى حُفْرَةٍ يُخْشَى عَلَيَّ كَثِيبُهَا  
وَبَاكِئَةٍ حَرَّى تَنُوحُ وَإِنِّي      لَفِي غَفْلَةٍ عَنْ صَوْتِهَا لَا أُجِيبُهَا  
وَإِنِّي لَمَمَّنْ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَالْبَلَى      وَيُعْجِبُنِي رَوْحُ الْحَيَاةِ وَطِيبُهَا  
فَحَتَّى مَتَى حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى      يَدُومُ طُلُوعُ الشَّمْسِ لِي وَغُرُوبُهَا  
أَيَا هَادِمِ اللَّذَاتِ مَا مِنْكَ مَهْرَبٌ      تُحَاذِرُ نَفْسِي مِنْكَ مَا سَيُصِيبُهَا  
رَأَيْتُ الْمَنَايَا قُسِمَتْ بَيْنَ أَنْفُسٍ      وَنَفْسِي سَيَأْتِي بَعْدَهُنَّ نَصِيبُهَا

وقال منصور النَّمري يرثي يزيد بن مَزِيد:

مَتَى يَبْرُدُ الْحُزْنُ الَّذِي فِي فُؤَادِيَا  
أَبَا خَالِدٍ مَا كَانَ أَذْهَى مُصِيبَةً  
أَبَا خَالِدٍ لَا بَلْ عَمَمَتْ بِتُكْبَةِ  
وَنَاعٍ عَدَا يَنْعَى يَزِيدَ بْنَ مَزِيدٍ  
أَعَيْنِي جُودًا بِالدُّمُوعِ وَأَسْعِدَا  
سَمِعْتُ بِكَاءِ النَّائِحَاتِ بِسُحْرَةٍ  
أَلَا عَذَرَ اللَّهِ الْعُيُونِ الْبَوَاكِيا  
لَعَمْرِي لَيْسَ سُرَّ الْأَعَادِي وَأَظْهَرُوا  
وَحَلَفْتُ لَيْسَ غَابَتَيْنِ كِلَاهُمَا  
فَسِبْهُكَ أَخْلَاقًا وَعِزَّةً أَنْفُسِ

قال «النفس» في موضع «النفوس».

سُقِيتَ السَّوَارِي وَالْغَوَادِي وَقَدْ أَرَى  
نُعْزِي بِكَ الْإِسْلَامَ إِنَّكَ دُونَهُ  
مُشْمَرُ أَذْيَالٍ تَحُوطُ حَرِيمَهُ  
وَكُنْتَ شِهَابًا لِلْخَلِيفَةِ ثَاقِبًا  
وَكُنْتَ سِنَانًا نَافِذًا فِي يَمِينِهِ  
وَكُنْتَ إِذْ نَادَى لِأَمْرِ عَظِيمَةٍ  
.... نَوِينَا جَانِبًا وَالسَّوَانَا  
وَقُمْتَ بِأَمْرِ الثُّغْرِ بَعْدَ فُسَادِهِ  
فَقَدْ مَاتَ مَعْرُوفٌ وَمَاتَتْ تِجَارَةٌ  
نُعْزِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ  
لَقَدْ كَانَ فِي أَعْدَائِهِمْ ذَا شَكِيمَةٍ  
وَمَلَانِ مِنْ وَدِّ الْخَلِيفَةِ صَدْرُهُ  
مَضَى مَا جَدَّ الْأَيَّامِ رَافِعَ هِمَّةٍ  
وَأِنْ عُدَّ فِي دُنْيَا فَذِكْرُ مَكَارِمِ  
عَلَى مِثْلِ مَا لَاقَى يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ  
فَتَى كَانَتْ الْأَبْطَالُ تَغْرِفُ أَنَّهُ

خَيَالِكَ يَسْرِي ثُمَّ يُضْبِحُ غَادِيَا  
إِذَا نَكَلَ الْحَامُونَ كُنْتَ مُحَامِيَا  
وَتَحْمِي لَهُ أَطْرَافُهُ وَالْقَوَاصِيَا  
وَكَوُكْبَةٍ تَرْمِي الْعِدَا وَالْمُنَاوِيَا  
وَسَيْفًا لَهُ عَضْبًا يَقْدُ الْهَوَادِيَا  
وَلَمْ يَكْ مَنْ يَكْفِي أَصَابِكَ كَافِيَا  
وَشَمَّرْتَ أَذْيَالًا وَلَبَّيْتَ دَاعِيَا؟  
وَأَوْشَكَتَ مِنْهُ رَقَعَ مَا كَانَ وَاهِيَا  
وَمَاتَ غَنَاءٌ يَوْمَ وَدَّعْتَ مَاضِيَا  
بِسَيْفٍ لَهُ مَا كَانَ فِي الْحَرْبِ نَابِيَا  
لَهُمْ نَاهِكًا بَدَا وَقَدْ كَانَ نَاكِِيَا؟  
يُؤَدِّي إِلَيْهِ التُّضَحُّ مُذْ كَانَ نَاشِيَا  
إِلَى الْخُلُقِ الْأَعْلَى، مِنْ الدَّمِ نَاجِيَا  
وَإِنْ عُدَّ فِي دِينٍ فَلَمْ يَكْ تَالِيَا  
عَلَيْهِ الْمَنَايَا فَالِقَ إِنْ كُنْتَ لَاقِيَا  
إِذَا قَارَعَتْهُ لَيْسَ بِالضَّيْمِ رَاضِيَا



فَإِنْ تَكُ أَفْنَتْهُ السَّيَالِي فَأَوْشَكَتْ      فَإِنْ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي السَّيَالِيَا  
 حَلَفْتُ لَقَدْ أَبْقَى يَزِيدُ لِرَهْطِهِ      مَعَالِي لَا تَنْفَكُ تَبْنِي مَعَالِيَا  
 كنا أردنا أن نملي أشعاراً من أشعار المحدثين في ضروب من المراثي  
 فأشفقنا من أن يُستخفَّ بهذا الكتاب، والمراثي لا تنقضي ما كان الناس؛ فأخبينا  
 أن نختمه ونأخذ في غيره، وأن يكون ما نختمه به شريفاً بهياً، فاخترنا له قصيدة  
 أنشدناها الرياشي لرجل من غطفان من بني عبد الله، كانت له صُحبة، قُتِلَ يوم  
 جُلُولاء<sup>(١)</sup> يقال له سالم، يَزِيهِ رسول الله ﷺ:

[المقارب]

أَفَاطِمُ بَكِّي وَلَا تَسْأَمِي      لِيُصْخَبِكَ مَا طَلَعَ الْكَوْكَبُ  
 فَقَدْ هَدَّتِ الْأَرْضُ لِمَا تَوَى      وَأَيُّ الْبَرِّيَّةِ لَا يُنْكَبُ  
 فَمَالِي بَعْدَكَ حَتَّى الْمَمَا      تِ إِلَّا جَوَى دَاخِلُ مُنْصَبُ  
 جَوَى حَلْ بَيْنَ الْحَشَا وَالشَّغَافِ      فَخَيِّمَ فِيهِ فَمَا يَذْهَبُ  
 فَيَا عَيْنُ وَيَحْكِ لَا تَسْأَمِي      وَمَا بَالُ دَمْعِكَ لَا يَسْكُبُ!  
 وَقَدْ بَانَ مِنْكَ الَّذِي تَعْلَمِينَ      وَضَاقَتْ بِكَ الْأَرْضُ وَالْمَذْهَبُ  
 وَمَنْ ذَا - لَكَ الْوَيْلُ - بَعْدَ الرَّسُولِ      يُبَكِّي مِنَ النَّاسِ أَوْ يُنْذَبُ  
 فَإِنْ تَبْكِيهِ تَبْكُ خَيْرَ الْأَنَامِ      كَثِيرَ الْفَوَاضِلِ لَا يُجْدِبُ  
 وَإِنْ تَبْكِيهِ تَبْكُ سَهْلَ الْجَنَّا      بِ مَخْضِ الضَّرَائِبِ لَا يُؤْشِبُ  
 وَإِنْ تَبْكِيهِ تَبْكُ نُورَ الْبِلَا      دِ ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ لَا يُخْسِبُ  
 وَإِنْ تَبْكِيهِ تَبْكُ خَيْرَ الْأَنَامِ      سَرِيعاً سَوَابِلُهُ مُخْصِبُ  
 وَإِنْ تَبْكِيهِ تَبْكُ وَارِي الزُّنَادِ      صَدُوقَ الْمَقَالَةِ لَا يَكْذِبُ  
 وَتَبْكِي الرَّسُولَ وَحَقَّتْ لَهُ      شُهُودُ الْمَدِينَةِ وَالْغُيْبُ  
 وَتَبْكِي لَهُ الضُّمُّ، ضُمُّ الْجِبَالِ      وَشَرْقُ الْمَدِينَةِ وَالْمَغْرِبُ  
 وَتَبْكِيهِ شُعْثًا، مَضْرُورَةً      إِذَا حُجِبَ النَّاسُ لَا تُخْجِبُ  
 وَتَبْكِيهِ شَيْخَ أَبِي وَلَدَةٍ      تُطَيِّفُ بِعَقُوتِهِ أَشْيِبُ  
 وَتَبْكِيهِ أَهْلَ النَّاسِ وَالْحَجَى      مِنَ النَّاسِ وَالطَّارِقُ الْأَخْيِبُ  
 وَتَبْكِيهِ ضَيْفَ جَعَاهُ الصَّدِيقُ      وَذُو النَّسَبِ الدَّاخِلُ الْأَقْرَبُ

(١) جُلُولاء: طسوج من غمسابج السواد في طريق خراسان كانت فيها الواقعة المشهورة على الفرس

١٦ هـ (معجم البلدان ١٠: ٢٠٧ ص ٢٥٦)

وَيَبْكِيهِ شَفَتْ خِمَاصُ الْبُطُونِ أَضَرَّ بِهِمْ زَمَنٌ أَنْكَبُ  
وصلّى الله على محمد وآله وسلم تسليماً.  
هذا آخر الكتاب . وقيل : ما قيل فيه ﷺ قليل وإن كان كثيراً في اللفظ ،  
ويسيراً وإن كان جليلاً في النفس ، وعليه رحمة الله وبركاته .  
وهذا حديث نذكره لِيَتَّبَعَهُ ذِكْرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ويعودُ به عائذ ، ويأتّم به  
مؤتمّ :

حدثني الرياشي العباس بن الفرّج قال : أخبرنا أحمد بن شبيب قال : أخبرنا  
أبي عن رَوْح بن القاسم عن أبي جعفر الخطّي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن  
حُنيف عن عمه بن حُنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رحمة الله  
عليه في حاجة له ، وكان عثمان لا ينظر إليه ولا يلتفت إلى حاجته . فلقي  
عثمانَ بنُ حُنيف فشكا ذلك إليه ، فقال له عثمان بنُ حُنيف : إيتِ الميضاة  
فتوضأ ، ثم ائتِ المسجد فصلّ ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك بنبيّ محمد ،  
نبيّ الرحمة ، يا محمد ، إني أتوجه بك إلى ربي فيَقْضِي لي حاجتي - وتذكر  
حاجتك ، ثم رُخ حيث تروح .

فانطلق الرجل فصنع ذلك . ثم أتى باب عثمان بن عفان ، رحمة الله عليه  
فأخذ البوّاب بيده ، فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله عنه فأجلسه معه على  
الطَّنْفُسة ، فقال له : حاجتك ؟ فذكر له حاجته فقضاها ، ثم قال : ما فهمتُ حاجتك  
حتى كانت الساعة . وقال : انظر ما كانت لك من حاجة .

ثم إن الرجل خرج فلقي عثمانَ بن حُنيف ، فقال له : جزاك الله خيراً . ما  
كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته ، فقال عثمان بن حُنيف : ما  
كلمته ، ولكنني سمعت رسول الله ﷺ - وجاء ضريّر فشكا إليه ذهابَ البصر ، فقال  
رسول الله ﷺ : أوْ تصبر ؟ فقال : يا رسول الله ، إنه ليس لي قائد ، وقد شقَّ عليّ .  
فقال النبي ﷺ : إيتِ الميضاة فتوضأ ثم صلّ ركعتين ، ثم قل : اللهم ، إني أسألك  
وأتوجه إليك بنبيّ محمد نبيّ الرحمة ﷺ . يا محمد ، إني أتوجه بك إلى ربي  
لِيَرُدَّ لي بصري . اللهم شَفِّعْهُ فيّ ، وشَفِّعْني في نفسي . قال عثمان بن حُنيف :  
فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضرر .

تم كتاب التعازي والمراثي بأسره ، والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

وكان الفراغ منه في العشر الأوسط من جمادى الآخرة

من سنة ثلاث وستين وخمس مائة

## فهرس المحتويات

المقدمة .....	٣
باب من التعازي .....	٧
باب من الشعر .....	١٢
وهذا باب من التعازي والمواعظ .....	٣١
وهذا باب من التعازي والتعزي في الأشعار .....	٤٩
وصية أبي بكر الصديق رحمه الله .....	٧٣
وصية عُمَر بن الخطاب رحمه الله .....	٧٣
وصية علي بن أبي طالب رحمه الله .....	٧٤
وصية معاوية بن أبي سفيان رحمه الله .....	٧٤
وصية أبي عُبيدة بن الجراح .....	٧٦
وصية عبد الملك بن مروان رحمه الله .....	٧٧
وصية الربيع بن خُثيم .....	٨١
وصية جندب بن عبد الله البجلي .....	٨١
وصية المهلب بن أبي صُفرة الأزدي .....	٨٢
باب الجُفاة عند الموت .....	١٤٤
باب من تكلم في مرضه بشيء حكى عنه .....	١٥٦
مصادر تحقيق كتاب التعازي والمراثي للمبرّد .....	١٨٣